الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

العلاقات المملوكية العثمانية بين عامي 1453- 1517م

"دراسة سياسية"

مشروع بحث أعد لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة

جوليا عوض

إشراف

أ. د. عبد المنعم الأحمد

العام الدراسي

1440هـ/2020م

المحتويات

ملخص الدراسة:.....ج
المقدمة.....1
التمهيد التاريخي:.....8
الفصل الأول:.....22
واقع العلاقات المملوكية – العثمانية بين عامي 1453-1481م.....22
الفصل الأول: واقع العلاقات المملوكية – العثمانية بين عامي 1453-1481م.....24
المقدمة.....24
أولاً: قيام الإمارات التركمانية وأثرها على العلاقات بين الدولتين:.....25
1- إمارة دلغادر (ألبستان):.....26
2- إمارة رمضان:.....27
3- إمارة قرمان:.....30
4- إمارة القره قوينلو (الخروف الأسود) :.....42
5- إمارة الآق قوينلو (الخروف الأبيض):.....47
ثانياً : الصراع على النفوذ في إمارة ذي الغادر.....53
1- العلاقات بين إمارة دلغادر والسلطنة المملوكية:.....54
2- العلاقات بين إمارة دلغادر والسلطنة العثمانية.....60
3- التنافس والصراع العثماني- المملوكي على النفوذ في إمارة دلغادر:.....65
الفصل الثاني :.....68
تأزم العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية وثم انفراجها 1481-1500م.....68
أولاً : تأزم العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية 1481-1491م.....70
1- المرحلة الأولى: السلطان بيازيد والصراع مع أخيه جم (جمجمة) وموقف السلطنة المملوكية .71
2- المواجهة العثمانية – المملوكية المباشرة عام 1484- 1485م 81
3- مرحلة توقيع الصلح الأول بين الطرفين عام 1486- 1488م:.....89
4- مرحلة تجدد المعارك بين الطرفين عام 1488- 1491م 90
ثانياً تحسن العلاقات بين السلطنة والدولة العثمانية وإتمام الصلح بينهما من عام 1491 – 1500م97
الفصل الثالث :.....101
تحسن العلاقات بين الدولتين ثم توترها 1500- 1514م 101
أولاً : تحسن العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العمانية مابين عامي1500- 1514م.....103

1- أسباب الانفراج وتحسن العلاقات بينهما 106
أ- التهديد البرتغالي لكلا الدولتين: 106
ب- التهديد الصفوي لكلا الدولتين بعد إخضاع الشاه اسماعيل بن حيدر لإمارة دلغادر 1507-1512م 110
2- تنازل السلطان بيازيد واستلام الأمير سليم العرش عام 1512- 1514م: 124
3- معركة جالديران عام 1514م بين العثمانيين والصفويين 126
ثانياً: توتر العلاقات بين السلطة المملوكية والدولة العثمانية مابين عامي 1514 – 1516م.....131
1- عدم مساندة المماليك للعثمانيين أثناء حربهم مع الصفويين 131
2- رفض المماليك تسليم ابن أخ السلطان سليم الذي لجأ إليهم: 132
3- تعيين على بن شاه سوار على إمارة دلغادر 133
4- كشف السلطان سليم عن إقامة تحالف بين السلطان الغوري والشاه اسماعيل 136
ثالثاً-احتلال العثمانيين لبلاد الشام ومصر 1516- 1517م.....138
1- معركة مرج دابق عام 1516م واحتلال بلاد الشام..... 139
2- معركة الريدانية عام 1517 م واحتلال مصر 148
الخاتمة 155
الملاحق: 158
قائمة المصادر والمراجع المستخدمة:.....164
abstract 176

ملخص الدراسة

عند بحث العلاقات المملوكية العثمانية ما بين عامي 1453 -1517م تم العمل على دراسة كيفية قيام الإمارات التركمانية في الأناضول وعلاقتها مع كلا الدولتين المملوكية والعثمانية وما الأثرالذي تركه قيام تلك الإمارات على العلاقات بين الدولتين.

وبعد الدراسة تبين أن الذي أجج التنافس والصراع بينهما هو سعي كل طرف إلى تعيين أمراء موالين له في تلك الإمارات التركمانية وخصوصاً إمارتا قرمان ودلغادر، وبالرغم من تعرض البلاد للخطر المغولي لم تتحالفا لصده بسبب انتهاك السلطان بيازيد الملقب بالصاعقة وهجومه على المناطق المشمولة بالحماية المملوكية، وهذا الأمر سهل على تيمورلنك الهجوم على بلاد الشام ومن ثم هجومه على الأناضول وانتصاره على بيازيد عام 1402م.

بعد موت القائد المغولي تيمورلنك عام 1405م اتسمت العلاقات بالود وتبادل الهدايا، لكن عند فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني عام 1453م وبالرغم من الاحتفالات التي أقيمت في البلاد المملوكية إلا أنها زادت من حسد سلاطين بني مملوك فطويت صفحة علاقات الود وفتحت صفحة اتسمت بالغيرة والتنافس بسبب تصادم المصالح من جهة، ونية السلطان محمد تزعم العالم الإسلامي من جهة ثانية، وهذا الأخير السبب الرئيس الذي أسفرعن حصول تنازع وصراع بين الدولتين.

بعد وفاة السلطان محمد عام 1480م حصل نزاع بين أبنائه (بيازيد وجم) على عرش السلطنة العثمانية، وبسبب وقوف السلطان قايتباي إلى جانب الأمير جم* (جمجمة) ** أجج الصراع وأسفر عن تصادم مباشر بينهما عام 1486م ولم ينتهِ إلا بتوقيع معاهدة الصلح بينهما عام 1491م.

ومع استلام السلطان قانصوه الغوري عام 1500م حرص على إصلاح الأمور مع السلطان بيازيد الثاني بسبب ظهور الخطر البرتغالي وتهديده للأماكن المقدسة من جهة، وظهور الخطر الصفوي من جهة ثانية، فاستمرت العلاقات على أحسن حال من تعاون وإقامة علاقات ود واحترام متبادل من خلال تبادل الهدايا والسفارات، حتى وفاة السلطان بيازيد الثاني واستلام ابنه الأمير سليم عرش السلطنة عام 1512م. وبالرغم من خوضه حرباً مع إخوته التي استمرت عامين بادر إلى شن حربين لتزعم العالم الإسلامي، الأولى مع الصفويين في جالديران عام 1514م والثانية مع المماليك في مرج دابق عام 1516م وتصفية السلطنة المملوكية نهائياً في معركة الريدانية عام 1517م بعد شنقه للسلطان طومان باي على باب زويلة في القاهرة وتحويل مصر إلى ولاية تابعة للسلطنة العثمانية.

---

* الأمير جم: ولد عام 1459م في استنبول، ووصف بأنه عالي الهمة شجاعاً وكفؤاً ونحس الطالع، نازع أخاه بيازيد على العرش إلى أن توفي في نابلولي عام 1495م. انظر: البكري الصديقي: المنح الرحمانية في الدولة العثمانية وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، ت: ليلى الصباغ، دار البشائر، دمشق، ط1، 1995، ص56.

** حيث ورد اسمه جمجمة في كتاب مفاكهة الخلان في حوادث الزمان للمؤلف أحمد بن طولون، ص39.

المقدمة

المقدمة:

أدت المتغيرات السياسية التي طرأت على المشرق العربي إبّان القرن الثالث عشر الميلادي إلى إضعاف دولة السلاجقة في الأناضول بعد الانتصار الذي حققه المغول في معركة كوسة داغ عام 1243م، والذي أسفر بدوره عن ظهور الإمارات التركمانية* التي انضوت تحت راية المغول، لكن الانتصار الذي حققه المماليك على المغول في معركة عين جالوت* عام 1260م أسفر عن تقديم تلك الإمارات التركمانية الولاء للسلطنة المملوكية التي أصبحت قوة إسلامية في المشرق العربي ومدافعة عن المسلمين ضد هجمات المغول. أيضاً قيام الإمارة العثمانية علي يد الغازي عثمان عام 1299م وتحولها إلى دولة مترامية الأطراف فيما بعد في الروميلي والأناضول في عهد السلطان مراد الأول* (1360- 1389م) وابنه السلطان بيازيد الصاعقة (1389- 1402م) اللذان لهما محاولات جادة في إتمام السيطرة على آسيا الصغرى (الأناضول) بما فيها تلك الإمارات أسفر بدوره عن حصول صراع بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية المتنامية على النفوذ في هذه الإمارات، وسعي كل طرف إلى تعيين أمراء وحكام موالين لهما فيها. وهذا ما أجج التنافس والصراع بين الدولتين وأدى في نهاية المطاف إلى جعل العلاقات تسوء بينهما.

وبعد زوال الخطر المغولي بموت تيمورلنك* عام 1405م عادت العلاقات الطيبة بين الدولتين، واتسمت قبل فتح القسطنطينية* على يد السلطان محمد الثاني (1451- 1481م) عام

---

* التركمان: شعب تركي منتشر في بلاد التركستان والقوقاز، اختلف الباحثون في أصله، فمنهم من يرى بأنهم من أصل صيني، بينما يرى البعض الآخر بأنهم شعب تركي، وقد استقرت أعدادٌ كبيرة منهم في آسيا الصغرى. انظر: محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، ط1، 1971، ج2، ص671.

* عين جالوت منطقة بين نابلس وبيسان من أعمال فلسطين إليها انتهى عسكر المغول فلاقاهم بها المماليك وانتصروا عليهم. انظر: صفي الدين عبد الحق البغدي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ت: محمد علي البجاوي، بيروت، عام 1954، مج2، ص977.

* السلطان مراد الأول ولد عام 1326 واستلم السلطنة بعد وفاة أبيه أورخان عام 1360 ومدة حكمه 25 سنة قضاها في ترتيب أمور الدولة وفي عام 1389 قتل بعد انتصاره في معركة كوسوفو أثناء تفقد القتلى للمزيد عدنان العطار: الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، دار وحي القلم، دمشق، ط1، 2006، ص29.

* تيمورلنك: هو بن طرغاى الحفظاني، الأعرج، ولد عام 1333م في كيش الواقعة جنوب سمرقند وينتمي إلى الأسرة النبيلة في بلاد ما وراء النهر. عام 1369م تربع على عرش خرسان وقاعدتها سمرقند ثم واصل تحركاته فاستولى على بغداد والجزيرة وديار بكر إلى الفرات انظر شمس الدين السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، د.ت، ج3، ص46. أيضاً أحمد عبد الرحيم مصطفى : أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، ط3 2003، ص55.

* القسطنطينية: مدينة أسسها الامبراطور قسطنطين الأول عام 337م وأطلق عليها اسمه، ونقل كرسي العرش الروماني من روما إليها، وتقع على ضفاف البوسفور. انظر: أبي العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915، ج5، ص376.

1453م بالود وتبادل الهدايا والوفود بين الطرفين، لكن فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني عام 1453م وبالرغم من إقامة الزينة ابتهاجاً بالنصر في القاهرة وإرسال السلطان الأشرف إينال* وفوداً محملة بالهدايا لتهنئة السلطان محمد بهذا الفتح العظيم، إلا أن صفحة العلاقات الطيبة بين الدولتين طويت وزال آخر مظهر من مظاهر الوفاق بين الطرفين وفتحت صفحة جديدة سادها الغيرة والتنافس وحتى العداء بسبب تصادم المصالح وخصوصاً عندما شعر المماليك بتعاظم شعبية بني عثمان بين المسلمين بعد الفتح، وبروز دولتهم الآخذة بالإتساع في الأناضول وصولاً إلى حدود دولتهم في الشمال، لذا تغيّرت مشاعر المماليك من الاعتزاز بالانتصارات التي يحققها سلاطين بني عثمان في البلقان إلى مشاعر الغيرة، والذي تحول إلى صراع بينهما حول الهيمنة على زعامة العالم الإسلامي، والذي عدّ السبب الرئيس للنزاع المملوكي العثماني.

وقد أخذ المماليك يراقبون بقلق شديد تلك القوة العثمانية المتنامية على حدود دولتهم في شمال بلاد الشام في الوقت الذي كانوا يعانون فيه من ضعف وتنازع على السلطة وانتشار الرشوة للحصول على الوظائف. لكن الذي زاد من قلقهم هو سعي سلاطين بني عثمان إلى تغير نظام العلاقات بينهما بعد أن أخذوا يلقبون أنفسهم بالسلاطين وزاد الطين بلة الصراع على إمارات الحدود وخصوصاً إمارة دلغادر* التي جعلت العلاقة بين الدولة العثمانية والسلطنة المملوكية في غاية التوتر والتنافس والصراع ويتخللها في بعض الأحيان الروح العدائية والصدام العسكري.

وبعد وفاة السلطان محمد الفاتح عام 1481م والصراع الذي حصل بين الأمير بيازيد وأخيه الأمير جم على عرش والديهما، وبعد هزيمة الأخير لجأ إلى السلطان قايتباي فرحب به وحرضه على أخيه وعدّه غاصباً للعرش فساءت العلاقات بين الطرفين، وأدت إلى أول صدام مسلح بينهما عام 1484م، وبالرغم من توقيع صلح بينهما عام 1486م تجددت المعارك بين الطرفين وانتهت بتوقيع الصلح والسلام عام 1491م، لتتحسن العلاقات بينهما بعد وفاه الأمير جم

* الأشرف إينال: هو الأشرف أبو النصر سيف الدين العلائي الظاهري من ملوك دولة المماليك الجراكسة بمصر وبلاد الشام والحجاز جلس على العرش سنة 1453م ولُقِّبَ بالملك الأشرف. انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 2002، ج2، ص25-36.

* دلغادر: عرفت هذه الإمارة بأسماء عديدة مثل: ذو الغادر، ذو القادر، ذو القدر لكن آثرت بتسميتها دلغادر بناءً على التحقيق الذي أجراه أحد الباحثين بشأن التسمية الصحيحة. انظر: محمد بن محمود الحلبي: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك بن مهدي الدوادار، ت: محمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1986، ص23-24.

عام 1495م، ومع استسلام السلطان قانصوه الغوري* عام 1500 – 1516 م الذي حرص على إصلاح الأمور مع السلطان بيازبد الثاني واعترافه بمواقف السلطان بيازيد الثاني في الجهاد، ووصفه له بالسلطان الغازي تحسنت العلاقات أكثر وتطورت مع ظهور الخطر البرتغالي وتهديده للأماكن المقدسة (مكة والمدينة) فضلاً عن الخطر الصفوي الذي هدد الطرفين بعد إخضاعه لإمارة دلغادر عام 1507م.

وقد بقيت العلاقات جيدة بين الطرفين حتى وفاة السلطان بيازيد الثاني 1512م. ومع استلام الأمير سليم الأول عرش السلطنة العثمانية رسم لنفسه خطة كانت تراوده منذ أن كان أميراً على طرابزون*، وهي القضاء على النفوذ الصفوي في الأناضول ودحره داخل بلاد فارس ثم التوجه نحو بلاد الشام ومصر للقضاء على السلطنة المملوكية وتزعم العالم الإسلامي.

وهذا ما حصل بالفعل بعد أن متن جبهته الداخلية وتخلص من أخوته المنافسين له أعدّ العدة واتجه نحو بلاد فارس ولقن الشاه اسماعيل درساً في جالديران عام 1514 م وبعد سيطرته على بلاد الأناضول والإمارات المشمولة بالحماية المملوكية مثل إمارة دلغادر بعد اتهامها بعرقلة وصول الإمدادات أثناء حربه مع الصفويين أخذ يعد العدة للقضاء على السلطنة المملوكية متهماً إياها بإقامة تحالف مع الصفويين، وأنها غير قادرة على حماية الأماكن المقدسة من الخطر البرتغالي، وفي نهاية المطاف انتصر على المماليك في معركة مرج دابق عام 1516م وسيطر على بلاد الشام، ومن ثم أنهى الوجود المملوكي في مصر بعد انتصاره على السلطان طومان باي في معركة الريدانية وتحويل أملاك السلطنة المملوكية إلى ولايات تابعة للسلطنة العثمانية.

وبالتالي تكمن أهمية الدراسة كونها تتناول فترة مهمة من تاريخ العلاقة بين دولتين إسلاميتين، بينهما حدود وروابط مشتركة إبّان الفترة الواقعة مابين 1453- 1517م وخصوصاً كما أسلفنا بالقول قد تغيّرت طبيعة العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية قبل فتح القسطنطينية وبعدها على يد السلطان محمد الثاني عام 1453م وهل كان سببه قوة الدولة العثمانية المتنامية وبالمقابل دولة تعيش حالة الضعف والانحطاط، فضلاً عن الصراع على النفوذ

---

* الملك الأشرف قانصوه الغوري (1500- 1516) تولى عرش السلطنة وعمره 60 سنة في ظل ظروف لا يحسد عليها، حيث الأحوال مضطربة والفتن مستمرة، فضلاً عن الأخطار الخارجية المحيطة بالسلطنة والممثلة بالخطر البرتغالي والصفوي والعثماني، وأواخر حكمه زحف العثمانيين نحو حلب فخرج لهم واشتبك معهم في معركة مرج دابق، وأثناء المعركة قتل الغوري وانهارت السلطنة المملوكية. انظر: عمار النهار: تاريخ المماليك، ص74.

* إمارة طرابزون: هي في الأصل ميناء كانت تجلب إليه السلع من القسطنطينية، ثم تحمل فيه إلى البلاد الإسلامية حتى أطلق على البحر الأسود في وقت من الأوقات بحر طرابزون، وتم إلحاق هذه الإمارة ولفترة طويلة للسلاجقة. *الأتراك، وفيما بعد للمغول ثم للعثمانيين على يد محمد الفاتح عام 1461م. انظر: كي ليسترنج: بلدان الخلافة الإسلامية، ت: بشير فرنسيس توكوكيسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985، ص168.

في الإمارات الحدودية كإمارة دلغادر وإمارة قرمان؟ أم أن حب السيطرة والتوسع وتزعم العالم الإسلامي بعد القضاء على السلطنة المملوكية والسيطرة على الأماكن المقدسة ودحر النفوذ البرتغالي الذي هدد تلك الأماكن؟ هذا ما تم دراسته في مضمون البحث المعنّون: **العلاقات المملوكية العثمانية بين عامي 1453- 1517م.**

قسمت الدراسة إلى مقدمة وتمهيد تاريخي وثلاثة فصول، حيث تناول التمهيد التاريخي قيام كل من الدولة العثمانية والمملوكية بشكل مختصر ثم الانتقال لمعرفة طبيعة العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية قبيل فترة الدراسة.

أما فصول الدراسة فهي على الشكل الآتي:

الفصل الأول المعنوّن (واقع العلاقات المملوكية العثمانية 1343- 1481م" من خلال تبيان قيام الإمارات التركمانية وأثرها على العلاقات بين الدولتين وخصوصاً إمارة دلغادر وإمارة رمضان وإمارة قرمان وإمارتا القره قوينلو والآق قوينلو*. بعد ذلك تم دراسة الصراع على النفوذ في إمارة دلغادر ومعرفة طبيعة العلاقات بين هذه الإمارة والسلطنة المملوكية فضلاً عن معرفة العلاقات بين إمارة دلغادر والسلطنة العثمانية، وهذا بدوره قاد إلى معرفة سبب التنافس والصراع العثماني – المملوكي على النفوذ في إمارة دلغادر.

أما الفصل الثاني والمعنون "تأزم العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية ثم انفراج تلك العلاقات ما بين عامي 1481- 1500م" حيث تم التركيز على تأزم العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية ما بين عامي 1481- 1491م من خلال دراسة الصراع بين السلطان بيازيد الثاني وأخيه جم وموقف السلطنة المملوكية والذي أدى في نهاية المطاف إلى المواجهة المباشرة بينهما عام 1484م، ثم التطرق إلى مرحلة توقيع الصلح الأول بين الطرفين عام 1486م وأسباب اندلاع الحرب بينهما 1488م. وخُتم الفصل بالأسباب التي أدت إلى توقف الحرب وإقامة سلام وصلح بين الطرفين عام 1491م وعلى إثر ذلك تحسنت العلاقات بينهما.

وبالنسبة للفصل الثالث والمعنون "تحسن العلاقات بين الدولتين ثم توترها مابين عامي 1500- 1517م" من خلال هذا الفصل تم درسة الأسباب التي أدت إلى الانفراج وتحسن العلاقات بينهما والتي تمحورت حول التهديد البرتغالي لكلا الدولتين ثم التهديد الصفوي بعد إخضاع الشاه اسماعيل لإمارة دلغادر عام 1507 حتى عام 1512م وأثر التهديد الصفوي للأناضول وتنازل السلطان عن العرش لابنه الأمير سليم عام 1512م ثم دراسة فترة استلام الأمير

* الآق قوينلو: قبيلة تركمانية، سكنت في تركستان وسميت بالخروف الأبيض وحكمت ديار بكر وشرقي الأناضول وأذربيجان 1338- 1580م كانت نهايتها على يد الصفويين. انظر: حسن حلاق وعباس الصباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1999، ص12.

سليم عرش الدولة حتى عام 1514م، وانتصار السلطان سليم على الصفويين بعد ذلك العوامل التي أسهمت في توتر العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية ما بين عامي 1514-1516م والتي تتمحور حول:

أ- عدم مساندة المماليك للعثمانيين أثناء حربهم مع الصفويين

ب- رفض المماليك تسليم ابن أخ السلطان سليم الأول الذي لجأ إليهم

ج- تعيين علي بن شاه سوار على إمارة دلغادر

د- كشف السلطان سليم عن إقامة تحالف بين السلطان الغوري والشاه اسماعيل

كما تم دراسة الاشتباك الذي حصل بين السلطان سليم الأول وقانصوه الغوري في مرج دابق عام 1516م والذي أسفر عن انتصار السلطان سليم ومقتل السلطان الغوري وذكر أهم الأسباب التي أدت إلى انتصار العثمانيين في هذه المعركة.

وتم إنهاء الفصل بالحديث عن معركة الريدانية التي جرت بين السلطان سليم الأول والسلطان طومان باي عام 1517م والتي أسفرت عن انتصار العثمانيين ودخولهم القاهرة.

اعتمد البحث على مجموعة من **المصادر والمراجع** ذات الصلة بموضوع الرسالة أذكر أهمها:

1. **كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور لمؤلفه محمد بن أحمد بن إياس (1448- 1524م)** عُدّ هذا الكتاب شاملاً لتاريخ مصر من التاريخ الإسلامي إلى عام 1522م وشمل هذا الكتاب خمسة أجزاء، وقد استفدت كثيراً منه كونه يتناول تاريخ العلاقات العثمانية المملوكية وخصوصاً الفصل الثالث والرابع، أي سقوط الدولة المملوكية وبداية الحكم العثماني لمصر حيث اعتمد على تقارير رسمية في كتابة مؤلفه.
2. **كتاب مفاكهة الخلان في حوادث الزمان لمؤلفه شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن طولون (1475- 1546م)** ويتناول الكتاب تاريخ مصر والشام ما بين عامي 1444م حتى عام 1520م وقد سجل الكثير من الأحداث التي سبقت سقوط السلطنة المملوكية.
3. **كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لمؤلفه: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (1411- 1441م)** وكتابه سرد لتاريخ مصر إبّان العصر المملوكي خصوصاً عهد الناصر فرج حتى عهد السلطان الأشرف قايتباي.
4. **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لمؤلفه تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (1363-1441م)** يعد من أبرز من كتب عن تاريخ مصر في العصر الأيوبي والمملوكي وخصوصاً ج1 وج2، تحقيق محمد زيادة، القاهرة 1958م.

5. **كتاب واقعة السلطان الغوري وسليم العثماني لمؤلفه الشيخ أحمد الرّمال ابن زنبل** كونه يؤرخ عن نهاية دولة المماليك حتى بعد مرج دابق التي حصلت بين السلطان المملوكي قانصوه الغوري والسلطان سليم العثماني أي من سنة خروج الغوري عام 1515م حتى عام 1522م.

أما أهم المراجع التي اعتمدت عليها:

1. **كتاب الفتح العثماني لبلد الشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة لمؤلفه أحمد فؤاد متولي** والكتاب مهم جداً كونه يسرد الرسائل التي حصلت بين سلاطين بني عثمان والسلاطين المماليك منذ أيام السلطان مراد الأول 1360- 1389م حتى عصر السلطان سليم الأول 1512- 1520م وهذه الرسائل مترجمة من اللغة العثمانية إلى اللغة العربية.
2. **كتاب تاريخ المماليك لمؤلفه الأستاذ الدكتور عمار النهار** وكان مرجعاً هاماً حيث تناول تاريخ المماليك منذ النشوء حتى السقوط على يد السلطان سليم، وقد استفدت منه كثيراً وخصوصاً التعريف بالسلاطين وبعض المواقع المهمة.
3. **كتاب تاريخ العلاقات العثمانية – المملوكية 1464- 1517م للمؤلف غيثاء أحمد نافع** الذي تناول تاريخ العلاقات بين الدولتين أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر وخصوصاً الحرب العثمانية المملوكية الأولى 1484م والحرب الثانية التي أدت إلى إخضاع بلاد الشام ومصر للسيطرة العثمانية.
4. **تاريخ الدولة العثمانية من جزئين للمؤلف التركي يلماز اوزتونا.** وهو كتاب هامٌ جداً كونه يتناول تاريخ الدولة العثمانية منذ النشأة حتى الانهيار وعلاقاتها مع الدول المجاورة وخصوصاً الدولة الصفوية والسلطنة المملوكية.

وأخيراً أضع هذه الدراسة التي تم إنجازها بين يدي الأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة لإبداء آرائهم وملاحظاتهم القيمة، وتصحيح الأخطاء التي غُفل عنها، مع خالص الشكر لكم ولجهدكم الذي بذلتموه ليكون هذا البحث خدمة للمعرفة التاريخية.

وفي النهاية لا بد لي من توجيه كلمة شكر وعرفان إلى من وضع بصماته وجهده في مساعدتي على إنجاز الرسالة أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عبد المنعم الأحمد لسعة صدره بسبب أسئلتي المتكررة واستفساراتي الكثيرة حول البحث، فضلاً عن جهوده الكبيرة وتوجيهاته القيمة والثمينة، ولولا المتابعة المستمرة منه والوقوف على كل شاردة وواردة في البحث لما أصبح بهذه الصورة، فله مني كل الشكر والتقدير والامتنان... والله ولي التوفيق.

التمهيد التاريخي

التمهيد التاريخي:

يتناول التمهيد التاريخي نبذة قصيرة عن قيام الدولتين العثمانية والمملوكية، ومن ثم معرفة طبيعة العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية قبيل فترة الدراسة.

أولاً: قيام الدولة العثمانية: أجمعت معظم الدراسات التاريخية أن بني عثمان يعودون في أصولهم إلى عشيرة قايي (الحجر)*[1] وهي من العشائر التركمانية التي كانت تقطن تركستان، ثم نزحت من موطنها الأصلي نحو الغرب هرباً من القلاقل التي أحدثتها غارات جنكيز خان[2] في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي، وكان يقود هذه العشيرة سليمان شاه والد أرطغرل* وجد عثمان الذي سميت الدولة باسمه.[3] وقد استقرت هذه العشيرة في الأناضول عند أخلاط في أعالي الفرات وبعد زوال خطر المغول أراد سليمان شاه العودة إلى بلاده، وأثناء عبوره نهر الفرات عند قلعة جعبر غرق وجرفته المياه، وعلى إثر ذلك انقسمت العشيرة بين أبنائه الأربعة حيث تولى الزعامة ابنه سنقور تكن الذي رجع مع أخيه كون طوغدي إلى موطنه الأصلي، أما أرطغرل وأخيه دندن تابعا طريقهما نحو الأناضول ومعهم أربعمئة خيمة (أسرة)[4] وترأس هذه العشيرة أرطغرل وفي الطريق أرسل أحد أبنائه، ويدعى ساروجي، إلى السلطان السلجوقي علاء الدين في قونية* يسترحم منه أن يقطع لعشيرته مقاطعة تعيش عليها. لكن ساروجي توفي قبل أداء مهمته وفي تلك الأثناء شاهد أرطغرل جيشان يقتتلان فانضم إلى الجيش الأقل عدداً دون أن يعرف هويته بدافع النخوة ونصرة الضعيف، فإذا به ينضم إلى الجيش السلجوقي فضمن له

---

* قبيلة تركمانية حكمت مقاطعة ماهان الصغيرة في الجزء الشمالي الغربي من إيران في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي. انظر: محمود محمد الحويري: تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات القاهرة، 2002م، ص35.

[1] أحمد بن لطف الله منجم باشي: جامع الدول (التاريخ العثماني 1299- 1481م)، تح وتع تر: أحمد أغير أقجة، إنسان يانلري، استانبول، د.ت، ص14.

[2] ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1998م، ص31.

* أرطغرل: هو ابن سليمان شاه ينتمي إلى عشيرة قايي التي وفدت إلى الأناضول تحت هجمات المغول وبعد موت سليمان شاه انقسمت العشيرة، قسم ذهب إلى الأناضول برئاسة أرطغرل، والقسم الثاني عاد إلى موطنه الاصلي. انظر: محمود عامر: تاريخ الدولة العثمانية، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2007، ص22-23.

[3] عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت، دمشق، ط2، 1968م، ص25.

[4] ابراهيم حليم بك: تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1988، ص31. وأيضاً علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4 2002، ص12.

* قونية: تقع على بعد 450 كم جنوب شرق أنقرة في داخلها قلعة تم إنشاؤها من قبل المهاجرين اليونان وعرفت باسم ايقونيوم وبعد سيطرة السلاجقة تحولت إلى اسم قونية. انظر: شمس الدين سامي: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي استنبول 1308هـ، مج6، ص46637.

النصر على المغول* عام 1232م وتقديراً له كافأ السلطان علاء الدين السلجوقي أرطغرل بأن أقطعه أرضاً في أقصى الشمالي الغربي من الأناضول على الحدود البيزنطية في سكودا* وتبلغ مساحتها نحو 2000كم^2. لكن إثر الجهاد الذي مارسه أرطغرل ضد البيزنطيين توسعت تلك المساعدة فبلغت نحو 4800 كم^2 [1] ومع ذلك بقيت تلك العشيرة التي تحولت إلى قبيلة تابعة للسلطنة السلجوقية ولقب الغازي أرطغرل من قبل السلطان علاء الدين السلجوقي بلقب (أوج بكي) محافظ الحدود[2]. لكن الانحطاط الذي جعل السلطنة السلجوقية تدخل في طور الضعف سهل على المغول أن ينتصر عليها في معركة كوسة داغ (الجبل الأقرع) عام 1243م * وعلى إثر ذلك تم إلحاق الدولة السلجوقية بالايلخانيين*[3] ولم يتوجه المغول إلى أماكن تواجد القبيلة التي يقودها محافظ الحدود الأمير أرطغرل، فاستغل ذلك الأخير وأخذ يهاجم ممتلكات الدولة البيزنطية في الأناضول فنجح في سياسته التوسعية حيث ضم مدينة اسكي شهر*[4] عام 1258م، وبعد وفاة أرطغرل عام 1281م تولى أكبر أبنائه عثمان رئاسة الإمارة بمباركة من السلطان السلجوقي علاء الدين، وإثر ذلك استطاع الغازي عثمان أن يقود إمارته إلى الاستقرار والأمان[5].

---

* البعض يقول: إنه جيش مغول والبعض الآخر يقول: بيزنطي. علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، ص13، هامش رقم 1.

* سكودا: تقع في الأناضول في ولاية خداوندكار، وسكودا أول مدينة يعطيها سلطان قونية السلجوقي إلى أرطغرل والد عثمان/ انظر موستراس؛ س: المعجم الجغرافي للدولة العثمانية، ت عصان محمد الشحادات، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2002، ص299.

[1] علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، ص12- 13.

[2] عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، 2ج، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1980، ج1، ص34.

* وقعت هذه المعركة بين المغول والسلاجقة عام 1243 حيث تلقى الجيش السلجوقي هزيمة كبرى وعلى أثرها أخذت الدولة السلجوقية بالانهيار للمزيد: كليفور وبوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي جراسة في التاريخ والنسب، ت حسين اللبودي، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ط2، 1995، ص187.

* الايلخانيين: جمع إيلخان: وهو لفظ فارسي تركي معناه رئيس قبيلة أو عشيرة وأطلق فيما بعد على أمراء المغول في إيران الذين أسسوا الدولة الايلخانية للمزيد: انظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996، ص59.

[3] ادريس البدليسي: شرفنامة في تاريخ الدولة العثمانية، ت محمد علي العوني، دار الزمان، دمشق 2006، ج2، ص15.

* المدينة القديمة: تقع في الجزء الغربي من إقليم الأناضول الأوسط على نهر بورصوق وهو فرع من نهر سقاريا انظر: عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ج1، ص35، هامش 1.

[4] عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ج1، ص35.

[5] محمود عامر: جواري القصور السلطانية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2019، ص28.

وفي مطلع القرن الرابع عشر الميلادي بدأت الدولة الإيلخانية* بالإنهيار فأسفر هذا عن تشكيل عدة إمارات تركمانية في الأناضول، ومن هذه الإمارت إمارة أبناء كرمان وإمارة أبناء كرميان* وإمارة أبناء صاروخان[1] وأهم هذه الإمارات إمارة آل عثمان حيث استغل الغازي عثمان انهيار الدولة الايلخانية ووفاة السلطان السلجوقي علاء الدين عام 1299م وانفرد بإمارته، حيث سك النقود وأقر الخطبة باسمه، ولذا عدّت هذه السنة رسمياً قيام الإمارة العثمانية،[2] وفيما بعد استطاعت هذه الإمارة أن تبتلع الإمارات المتصارعة، وأن توحد الأناضول متخذة من مدينة يني شهر* عاصمة لإمارتها الفتية. ولإعطاء هذه الإمارة هوية أعطى الغازي عثمان اسمه لجنوده الذين خرجوا معه من بلاد ما وراء النهر، تاركاً اسم الترك لبقية الأتراك، ومن ثم شرع العثمانيون في توسيع دولتهم على حساب ممتلكات الدولة السلجوقية المنهارة وأراضي الدولة البيزنطية.[3]

ومن ثَمَّ فقد عُدّ الغازي عثمان المؤسسَ الفعلي للإمارة العثمانية والتي حملت اسمه، حيث سعى إلى تنظيم دولته اقتصادياً واجتماعياً، وفي عهده (1281- 1326م) تحدد الوضع الديني والعسكري للأتراك واستمر في توسيع دولته على حساب البيزنطيين، فتم السيطرة على العديد من المدن والقلاع والحصون[4] فقد حاصر نيقية* وهزم البيزنطيين في بافيون عام 1301م وسيطر على مناطق أقصى الشمال أقرب ما يكون لبيزنطة والبلقان، ومن ثَمَّ كان الغزو عاملاً مهماً في تأسيس الدولة العثمانية

---

* الدولة الايلخانية: تعد إحدى فروع الامبراطورية جنكيز خان، أنشأها هولاكو في بلاد فارس، وامتدت من نهر جيحون إلى المحيط الهندي، ومن السند إلى الفرات انظر عبد السلام فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص253- 254.

* كرميان: (1260-1429) كانت من أقوى الإمارات التركمانية بعد قرمان وكانت عاصمتها كوتاهية نالت استقلالها عن الايلخانيين عام 1335. انظر: يلماز أوزتونا: المدخل إلى التاريخ التركي، ت: أرشد الهرمزي، الدار العربية للمطبوعات، بيروت، 2005م، ص390.

[1] سوف نتكلم عن هذه الإمارات في الفصل الأول من الرسالة.

[2] محمود عامر: جواري القصور السلطانية، ص28.

* يني شهر: أصل الكلمة يكي شهر فتلفظ نوناً وتكتب يني شهر ومعناها البلد الجديد، وتقع في الشمال الشرقي في بورصة. انظر: محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العثمانية، ت: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط1، 1981م، ص115.

[3] أحمد جودت: تاريخ جودت، ترجمة عبد القادر أفندي الدنا، بيروت، 1980، مج1، ص38.

[4] محمد سهيل طقوش: التاريخ الإسلامي الوفير، دار النفائس، بيروت، ط3، 2006، ص346.

* نيقية: مدينة إغريقية قديمة على ساحل الأناضول الغربي عند بحر مرمرة أطلق عليها الأتراك حديثاً أزنيق انظر: موستراس: المعجم التاريخي للدولة العثمانية، ص54.

وتطورها[1] وفيما بعد ويقول الشيخ عبد الغني النابلسي في منظومته الشعرية: ((الطلعة البهية في تاريخ ملوك الدولة العثمانية)) ما نصه:

وأعلم بأنّ أوّل الملـــــوك من آل عثمان ذوي السلـــوك
عثمان بك بن أمير أرطغرل وجـــــده سليمان الآجـــــل
فنزلوا بالملك الســـلجوقـي شاه علاء الدين ذوي الحقـــوق
وضعفت سلطنة السلجوقـي والشمس في عثمان في شروق[2]

وبعد وفاة الغازي عثمان عام 1326م تولى الحكم ابنه أورخان (1326- 1359م)* وتابع سياسة والده الحربية فسيطر على بورصة*عام 1326 واتخذها عاصمة لدولته كما سيطر على غاليبولي* عام 1354م على الشاطئ الأوربي فكانت أول مدينة على البر الأوربي تسيطر عليها الجيوش العثمانية،[3] وبعد سيطرته على نيقية أصبح العثمانيون في مواجهة أوروبا.

ومن أعمال السلطان أورخان سك أول عملة فضية في بورصة عام 1327م وأسس مدرسة في نيقية عام 1321[4] فضلاً عن إحداث بعض التنظيمات اللازمة للدولة كإعادة تنظيم الجيش من خلال تأسيسه الجيش الانكشاري* الذي كان له دور هامٌ في توسيع رقعة الدولة العثمانية ومن ثم انهيارها فيما بعد.[1]

---

[1] خليل اينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2002، ص15.

[2] محمود أفندي حمزة: البرهان على بقاء ملك بني عثمان إلى آخر الزمان، بيروت، 1890، ص60.

* أورخان: هو أورخان بني عثمان غازي ثاني سلاطين الدولة العثمانية ولد عام 1281 وتولى السلطنة عام 1326 وضع نظم وقوانين مات حزناً على ولده سليمان عام 1360 انظر: يوسف آصف عزتلو تاريخ سلاطين بني عثمان منذ نشأتهم حتى الآن تحقيق محمد زينهم محمد غرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، ص35- 36.

* بورصة: منطقة ومدينة في آسيا الصغرى اتخذها السلطان أورخان عاصمة للدولة العثمانية مابين عامي 1326- 1360 للمزيد أحمد بن زنبل: أخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، 1998، ص260.

* غاليبولي: مدينة وشبه جزيرة واقعة على الشاطئ الأوربي، وهي تابعة لولاية أدرنة تبعد عن استانبول ب212 كلم جنوبا وهي أول مدينة استولى عليها العثمانيون في أوروبا الروميلي. انظر اسماعيل سرهنك اليلاري: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج2، د.ت، ص464.

[3] ياسين طه ظاهر: "قراءة في عوامل نهوض الدولة العثمانية وفي أسباب سقوطها" مجلة كلية المأمون، عدد 18، 2011، ص60.

[4] خليل اينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص17.

* الجيش الانكشاري: يني تشاري لر الجند الجديد يقال: إن أروخان بن عثمان قد اصطحب الفرقة الأولى من هؤلاء المجندين إلى الشيخ بكتاش ورجاه أن يباركهم ويخلع عليهم اسماً فوضع الحاج بكتاش فوق رأس أحدهم ثم قال إن القوات التي أنشأتها ستحمل اسم يني جري وستكون وجوههم بيضاء مضيئة وتخليداً لبركة الحاج بكتاش أصبح الجند الجديد =

وبعد وفاة السلطان أروخان عام 1360م استلم الحكم ابنه مراد الأول (1360- 1389) واستطاع السلطان مراد الأول مد حدود الدولة العثمانية إلى شواطئ نهر الدانوب وحدود البوسنة* في عمق أوربا الشرقية، في عام 1366م سيطر على أدرنه وجعلها عاصمة للدولة العثمانية، وإليه يعود تحديد لون العلم العثماني وشكله.[2] وفي عام 1387م صد السلطان مراد هجوم إمارة قرمان وانتصر عليهم وأسفر عن ذلك قبول الإمارات المستقلة في الأناضول، كقرمان وفرع سلالة حميد في أنطاليا بسيادة السلطان العثماني. وفي عام 1389م شُكّل تحالف أوروبي ضد العثمانيين واشتبكوا مع السلطان مراد في معركة دامية انتصر فيها العثمانيون وتم توحيد حكمهم في البلقان، لكن تمكن أحد الصرب الجرحى من قتل السلطان مراد في أرض المعركة فأدى ذلك إلى تمرد الأسر الحاكمة في الأناضول[3] وبما أن عهد السلطان مراد الأول كان بداية للعلاقات مع السلطنة المملوكية سوف أكتفي عند هذا الحد من قيام الدولة العثمانية.

ومن ثَمَّ فإن قيام الدولة العثمانية كان من أبرز المتغيرات التي شهدها العالم في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، والتي تطورت من مجرد عشيرة إلى إمارة ثم دولة، وفيما بعد إلى إمبراطورية مترامية الأطراف شملت قارات العالم القديم (آسيا – إفريقيا- أوروبا). وهذا بدوره أدى إلى إشغال معظم المؤرخين بهذه الدولة من مختلف الأجناس والقوميات وأبرز ما أهتموا به هؤلاء الجذور التاريخية لنشأة الدولة وتطورها وأسسها ومرتكزاتها السياسية والدينية، وخصوصاً كيفية ترسيخ كيان الدولة في مجتمع تعج به القبائل والإمارات التركمانية التي اشتهرت بالاقتتال العشوائي، فضلاً عن التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت تلك الدولة.

ثانياً: قيام السلطنة المملوكية:

عُدّ قيام السلطنة المملوكية حدثاً فريداً في التاريخ الإسلامي، حيث امتد عصرهم ما بين قيام الدولة عام 1250م وسقوط الأيوبيين إلى مجئ العثمانيين وقضائهم على السلطنة المملوكية عام 1517م،

= يضع قلنسوة من اللباد الأبيض كذكرى للحاج بكتاش انظر سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية والعثمانية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1 2000، ص 41.

(1) محمد سهيل طقوش: التاريخ الإسلامي الوفير، ص349.

* البوسنة: تقع في البلقان جنوب شرق أوربا انظر حسام الدين عثمان: موسوعة دول العالم، دار العلوم القاهرة، ط1، 2012، ص47.

(2) محمد سهيل طقوش: التاريخ الإسلامي الوفير، ص349.

(3) خليل اينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص27- 28.

فانقسموا خلالها إلى دولتين هما، الدولة البحرية* ومؤسسها عز الدين أيبك* وحكمت حتى عام 1383م والدولة الثانية هي دولة المماليك الجراكسة* ومؤسسها السلطان برقوق العثماني الجركسي واستمرت حتى عام 1517[1].

برزت قوة الأمراء المماليك البحرية في مصر عام 1250م عندما تمكنوا من إلحاق الهزيمة بالحملة الفرنجية السابعة على مصر بقيادة لويس التاسع (1266 -1270م) ملك فرنسا وتزامن هذا مع وفاة السلطان الصالح نجم الدين أيوب 1250م، وهذا بدوره هيأ الظروف لقيام دولة المماليك البحرية، وبعد قتلهم للسلطان تورانشاه ابن الصالح نجم الدين أيوب واستلام زوجة الأخير شجرة الدر الحكم[2] لكن حكمها لم يطل فكانت أول سلطان وآخرهم في تاريخ المسلمين بسبب معارضة أهالي مصر وبلاد الشام. وللخروج من هذا الموقف الحرج تزوجت بأتابك العسكر عز الدين أيبك ثم خلعت نفسها عن الحكم له[3] فعدّ عز الدين أيبك أول سلاطين دولة المماليك البحرية،[4] واستمر المعز أيبك في الحكم ثماني سنوات 1250- 1257م ثم توفي إثر ضربات تلقاها من زوجته شجرة الدر بسبب خلافات أسرية، فتولى من بعده ابنه المنصور علي بن أيبك، وكان صغير السن وسرعان ما ظهر التنافس بين كبار الأمراء، فبرز على إثر ذلك الأمير سيف الدين قطز، وبسبب الخطر المغولي الداهم، والصراع الدائر بين الأمراء الأيوبيين في الشام والأمراء المماليك والذي سببه إقدام أمراء المماليك على قتل تورانشاه آخر ملوك بني أيوب في مصر، حينها وجد الأمير قطز الفرصة المناسبة لإزاحة الصبي من الحكم واعتلاء العرش عام 1259م.[5] وبعد اعتلاء السلطان المظفر سيف الدين قطز عرش المماليك عام 1259 – 1260م

---

* في البداية أطلقت على طائفة من المماليك في تأسيس دولتهم، وهذه الطائفة هي التي أسكنها سيدها الصالح نجم الدين الأيوبي بقلعة الروضة على نهر النيل، فعرفوا بعد قيام الدولة بالمماليك البحرية. انظر: عمار النهار: تاريخ المماليك، منشورات جامعة دمشق، ص28.

* عز الديت أيبك: عُدّ مؤسس دولة المماليك البحرية وامتد حكمه من 1250- 1257 دخل في نزاع مع أيوبي الشام انتهت بتوقيع اتفاق، ثم تفرغ للحركات المناوئة لحكمه، وفي نهاية المطاف تم قتله على يد زوجته شجرة الدر. انظر: عمار نهار: تاريخ المماليك، ص57.

* سميت بذلك لأن معظم ملوكها من بلاد الجركس فضلاً عن تسميتهم بالبرجية؛ لأن السلطان المنصور قلاوون أسكنهم في أبراج القلعة، ويعدّ السلطان الظاهر برقوق الجركسي مؤسس هذه الدولة. انظر عمار النهار: تاريخ المماليك، ص28.

[1] عمار نهار: تاريخ المماليك، ص27.

[2] جمال الدين اسماعيل أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، القاهرة، 1323هـ، ج3، ص182.

[3] وليم موير: تاريخ دولة المماليك في مصر، ت: محمود عابدين وسليم حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1995، ص43-44.

[4] عمار النهار، تاريخ المماليك، ص44.

[5] وليم موير: تاريخ دولة المماليك في مصر، ص44.

استطاع أن يستقطب فئات المماليك كافةً ثم تصدى للزحف المغولي في معركة عين جالوت عام 1260م. وبما أن الظاهر بيبرس البندقداري كان قائد طليعة القوى العسكرية، وبعد الانتصار الذي حققه الجيش المملوكي على المغول وسيطرتهم على بلاد الشام حتى نهر الفرات، وقد طلب بيبرس بسبب مركزه المتقدم من السلطان سيف الدين قطز أن يقطعه حلب جراء القوة التي أظهرها في المعركة، وبعد أن خاب رجاؤه انقلب على السلطان وقتله أثناء عودته إلى مصر وتبوأ عرش السلطنة المملوكية عام (1260- 1277م) فأقدم على تنفيذ إجراءات عديدة الهدف منها: تثبيت أقدامه بالحكم، ومنها إحياء الخلافة العباسية في القاهرة عام 1261م وإثبات أحقية المماليك في تولي الحكم في مصر فضلاً عن إخماد الثورات التي قامت أثناء فترة حكمه وحصر وراثة العرش في أسرته، وأيضاً حارب الصليبيين والمغول ووضع حداً لنشاط الأرمن في مملكتهم في أرمينية الصغرى بسبب تحالفهم مع المغول وعرقلتهم للنشاط التجاري المملوكي.[1] هذه الجهود الجبارة التي بذلها المماليك هدفها مضايقة المغول والقوى المتحالفة معهم في آسيا الصغرى والتي أسفرت في نهاية المطاف عن دخول سيس* عاصمة أرمينيا الصغرى عام 1265م.[2] وبعد وفاة الظاهر بيبرس عام 1277م تولى أولاده الحكم وهم: السعيد محمد بن بيبرس وسيف الدين سلامش، لكن قوة قلاوون في الدولة جعلته يخلع سيف الدين سلامش ويتولى الحكم مكانه.

وقد عُدّ السلطان المنصور سيف الدين قلاوون 1279 – 1290م أعظم سلاطين الدولة المملوكية على الإطلاق لفتوحاته وأعماله الجليلة، وبعد وفاته استلم ابنه الأشرف صلاح الدين خليل 1290-1293م الذي تفرغ لمحاربة الصليبيين فتحررت مدن عدة في عهده.[3] وبعد وفاته تولى عدة سلاطين كان بعضهم على مستوى جيد من الكفاءة وختم بوفاة محمد بن قلاوون* عام 1340م الذي عدّت أزهى

---

[1] محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص60.

* سيس: بلدة محاطة بالقلاع في ولاية أدنة (كيليكية) كانت عاصمة الأرمن انتقلت إلى سلطة الإمارة الدلغارية في عهد أميرها زين الدين قراجا بن دلغادر. انظر: ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك من مهدي الدوادار، هامش 9، ص22.

[2] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 14ج، المؤسسة المصرية للتأليف، القاهرة، 1963، ج1، ص140.

[3] عمار النهار: تاريخ المماليك، ص59.

* محمد بن قلاوون (1293- 1340م) حكم السلطنة ثلاث مرات؛ الأولى عندما كان صغيراً لا يتجاوز عمره تسع سنوات، فدبر شؤون السلطنة نائب السلطان كتبغا، واستمر من عام 1293 -1294م، أما الثانية 1299- 1309 استلم أمور السلطنة وانتصر على التتر في موقعة مرج راهط بالقرب من دمشق، أما الثالثة فكانت 1310- 1340م حيث ألغى منصب نائب السلطان بعد الفتك بهم ومن أهم أعماله محاربة الفساد وإبطال الضرائب الظالمة، وبنى المساجد والقصور، كما أهدى مكة المكرمة باباً من الخشب الأحمر مغطى بالفضة. انظر: عمار النهار: تاريخ المماليك، ص61- 63.

مراحل التاريخ المملوكي، وبين وفاة الناصر محمد وسقوط دولة المماليك البحرية عام 1382م أصيبت الدوائر الحكومية بفساد شديد أسفر عن سقوط دولتهم وبروز دولة المماليك البرجية عندما تولى الحكم السلطان برقوق (1382- 1299م) فكانت أولى خطواته تثبيت وضعه الداخلي وترسيخ أقدامه في الحكم معتمداً على المماليك الجراكسة، ولذا واجه خطرين أحدقا بدولته الجركسية هما الخطر المغولي الذي أدى إلى تقارب مع الدولة العثمانية الفتية، وتنامي الأخيرة في آسيا الوسطى.[1]

وبما أن العلاقات بدأت تتنامى مع الدولة العثمانية في عهد السلطان برقوق سوف اكتفي عند هذا الحد من قيام دولة المماليك في مصر وبلاد الشام.

ثالثاً طبيعة العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية قبيل الدراسة:

مرت العلاقات المملوكية العثمانية بمراحل وظروف تاريخية عديدة، ففي البداية كانت علاقات ودية بين قوتيين إسلاميتين، فكان ظهور السلطنة المملوكية عقب المتغيرات السياسية التي شهدتها منطقة المشرق الإسلامي إبان الغزو المغولي لها عام 1258م وتصدي المماليك لهم في (عين جالوت) عام 1260م وردهم إلى الضفة الثانية نهر الفرات،[2] وهذا حتم على السلطنة المملوكية في الدور الأول من قيام سلطنتهم في مصر وبلاد الشام الحفاظ على الكيان السياسي للمسلمين في المشرق بعدّهم القوة الإسلامية الصاعدة والمدافعة عن المسلمين.[3] أما العثمانيون، كما ذكرنا سابقاً، فقد انشغلوا بعد قيام إمارتهم في الأناضول بالحرب الجهادية ضد البيزنطيين الذين كانوا يعاونوا من الانقسام[4] لكن عدم توجه الحملة المغولية الايلخانية التي قادها السلطان محمود غازان عام 1301* والتي تمكنت من إزالة قوة سلاجقة الروم من قاعدتهم قونية إلى أماكن تواجد العثمانيين في شمال شرق الأناضول فتح المجال للغازي عثمان أن يوسع أراضيه في الأناضول مستغلاً الفوضى والإهمال الذي كان مسيطراً على الأراضي البيزنطية في الأناضول.[5] لكن على الرغم من أن العثمانيين أمراء حدود لم يكونوا بعيدين عن مراقبة المتغيرات السياسية في المشرق الإسلامي، والذي برزت فيه السلطنة المملوكية كقوة إسلامية في مصر وبلاد الشام وصولاً إلى الأطراف الشمالية منه، والذي يجاور الإمارات العثمانية إمارة قرمان عام 1286م، وإمارة أولاد بني كرميان عام 1286م وإمارة بني رمضان عام 1378م، وإمارة دلغادر عام

---

[1] محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص355.

[2] أبي الفداء: المختصر في تاريخ البشر، ج2، ص112.

[3] سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965، ص37.

[4] سيار الجميل: بقايا وجذور التكوين العربي الحديث، دار الأهلية، عمان، 1997، ص70.

* السلطان محمود غازان: هو غازان بن أرغون تولى حكم المغول الإيلخانيين سنة 1296 وبدأ حكمه في اعتناق الإسلام وغير اسمه إلى محمود غازان، وأصدر فرماناً باتخاذ الإسلام ديناً لجميع المغول. انظر: حسن الجاف: الوجيز في تاريخ إيران، بغداد، 2003، ج2، ص303.

[5] محمد فؤدا كوبريلي: قيام الدولة العثمانية، ت أحمد سليمان، دار الكاتب العربي، بيروت، 1965، ص180.

1353م،[1]* وعند محاولة كل من الدولة العثمانية والسلطنة المملوكية لإخضاعهم من أجل أن يقويا دولهما في المنطقة سيؤدي إلى احتكاك بين الدولتين. فمثلاً عندما وجه السلطان الظاهر برقوق* (1382 – 1399م) عام 1382م أمراً إلى نائبه في حلب لإخضاع التركمان القاطنين في الأطراف من بلاد الشام في الأناضول[2] وبالإضافة إلى ذلك كان للعثمانيين محاولات مماثلة لاحتواء التركمان، وضمهم إلى دولتهم المتنامية كونهم يوسّعون بنيتهم المكانية ويوفرون الطاقة البشرية[3] اللازمة للحركة التوسعية التي أنتهجها سلاطين بني عثمان الأوائل لانسجامها مع سياسة الغزو والجهاد للدولة العثمانية.

ويذكر القلقشندي أنه حصل نوع من تبادل الرسائل بين الدولة العثمانية والسلطنة المملوكية في وقت مبكر منذ أيام السلطان أورخان بن الغازي عثمان (1326- 1360م) صاحب بورصة الملقب بسيف الدين.[4] ويذكر المقريزي أن الدولة العثمانية هي البادئة بالسعي لتأكيد الصداقة مع المماليك وإيجاد نوع من الروابط معهم كونها أقوى دولة إسلامية آنذاك، حيث أرسل السلطان مراد الأول (1360-1389م) رسله إلى القاهرة من أجل تقديم سفن حربية لنجدة السلطان الأشرف شعبان (1363- 1377م) على تملك قبرص[5] بعد غزوهم للإسكندرية وتخريبها.[6] وفي عام 1384م أرسل السلطان مراد الأول سفيره إلى السلطان برقوق (1382- 1399م) لتحذيره من مغبة تحرك تيمورلنك نحو الغرب وخطره الداهم على المماليك والعثمانيين على حدٍّ سواء، لكن السلطان برقوق على الرغم من مخاوفه من الخطر القادم نحو بلاده كان يخاف أكثر من أطماع العثمانيين.[7] لكن مهما يكن من أمر فإن الخطر المغولي عزز العلاقات الودية بين العثمانيين والمماليك، ففي عام 1388م أرسل السلطان مراد الأول سفارة إلى القاهرة

---

* سنتكلم عن تلك الإمارات بالتفصيل في الفصل الأول.

* هو الملك الظاهر سيف الدين البلغاوي، سمي برقوق لنتوء عينه كأنه برقوق، هو أول من تولى مصر من الممالك البرجية. نودي به سلطاناً على مصر في سنة 1372م توفي عام 1389م، انظر فننك وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، ت أحمد زكي باشا، المكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1916، ج1، ص558.

[2] تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ت محمد زيادة، نشر التأليف والترجمة، القاهرة، 1956، ج3، ق2، ص472.

[3] أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، 2ج، ت صالح سعداوي، استانبول، 1999، ج1، ص10.

[4] أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ت: بوسف علي الطويل، دار الكتب العربية، بيروت، د.ت، ج8، ص15.

[5] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص293.

[6] عمار النهار: تاريخ المماليك، ص65.

[7] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، دار الزهراء للإعلام العربي، 1995، ص14.

تحمل هدية ورسالة تحث السلطان برقوق على اليقظة والحذر من الخطر المغولي الذي توجه باتجاه الشرق إلى سمرقند.*[1]

لكن السلطان الظاهر برقوق كان قد أخذ حذره وبادر إلى إرسال حملة عسكرية من القاهرة عام 1387م متجهة إلى حلب قاصدة ديار بكر حيث اشتبكت مع قوات مغولية وألحقت بها الهزيمة بالقرب من ديار بكر وأسرت أطلامش أحد قادة تيمورلنك.[2]

لكن السؤال المطروح لماذا اقتصر السلطان مراد الأول في رسالته الأخيرة عام 1388م على إرسال سفارة، وعلى السلطان برقوق أن يتوخى الحذر واليقظة من الخطر المغولي الذي أصبح يشكل تهديداً للمشرق الإسلامي؟ قد يكون السبب في ذلك لإنشغال السلطان مراد الأول في مواجهة التحالف الذي ظهر ضد العثمانيين في البلقان بمباركة البابوية في روما.[3]

وعند استلام السلطان بيازيد الصاعقة عرش الدولة العثمانية (1389- 1402م) سار على خطى والده في زيادة التقارب من الدولة المملوكية لصد الخطر المغولي[4] لكن السلطان الظاهر برقوق كان يتخوف من أطماع السلطان بيازيد الصاعقة أكثر من تيمورلنك. في عام 1390م تعرض العثمانيون لإمارة قرمان المشمولة بالحماية المملوكية ودخلوا مدينة قيصرية[5] فكان رد فعل المماليك أن غضوا الطرف وبادر للتدخل كوسطاء لإحلال الصلح بين العثمانيين وإمارة قرمان عام 1392م بسبب الخطر المغولي الذي هدد العالم الإسلامي برمته[6] وعلى إثر ذلك أحس السلطان بيازيد بالحرج والخطأ التي أقدم عليه، فقدم اعتذاراً للسلطان الظاهر برقوق عما أقدم عليه وأرسل هدية ثمينة مع الرسل وطلب من السلطان الظاهر برقوق أن يبعث إليه بأحد أطبائه المهرة لكي يشرف على علاجه فتم تلبية طلبه، وبعد ذلك تبادل السلطانان رسائل الود والصداقة للتأكيد على التحالف بينهما في إحدى الرسائل المرسلة من السلطان برقوق إلى السلطان بيازيد يذكر فيها "**إن المملكتين كروحين في جسد وساعدين في عضد**"[7].

---

* سمرقند: تقع في آسيا الصغرى في بلاد أوزبكستان ومعنى الإسم قلعة الأرض. الموسوعة الحرة ويكيبديا: سمرقند 15-3-2018.

[1] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج5، ص203.

[2] محمد بن أحمد بن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ت: محمد مصطفى، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة، 1984، ج1، ض267.

[3] أكمل الدين أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج1، ص15-16.

[4] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2005، ص50.

[5] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق م، ص749.

[6] أحمد بن علي العسقلاني: أنباء الغمر بأنباء العمر، ت: حيدر أباد الدكن، مطبعة المعارف العثمانية، 1967، ج1، ص453.

[7] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص14-15.

وفي عام 1394م أرسل السلطان بيازيد الأول* سفارة إلى مصر يبشر المسلمين بانتصاره على الأوربيين في موقعة نيقوبوليس عام 1396م، ومعها هدية إلى السلطان برقوق ممثلة بمائتي أسير من الفرنج[1].

إن أطماع العثمانيين بالمناطق المشمولة بالحماية المملوكية كانت تدفعهم بين الحين والآخر للإغارة عليها وهذا أدى إلى عدم استمرارية العلاقات الطيبة بين الدولتين.[2] استغل السلطان بيازيد الأول فرصة انقسام الأمراء في مصر إثر وفاة السلطان الظاهر برقوق عام 1499[3] واطمئنانه من ناحية تيمورلنك الذي توجه إلى القتال في بلاد الهند.[4] فاستولى عام 1400م على ملطية* وحاصر دارنده المشمولتين بالحماية المملوكية[5] والهدف من ذلك رغبة السلطان بيازيد تزعم العالم الإسلامي وحرمان دولة المماليك من تلك الزعامة، لكن هذا ينم عن استهتاره بالعلاقات السياسية بين البلدين في كل الظروف الصعبة التي تمر بها المنطقة، ولذا يعد هذا العمل الذي ارتكبه السلطان بيازيد خطأ لايغتفر، والدليل على ذلك عندما زحف تيمورلنك غرباً نحو الحدود المشتركة بين الدولتين العثمانية والمملوكية أرسل السلطان بيازيد طلب التحالف مع السلطان فرج بن برقوق* (1400- 1412م) لصد خطر تيمورلنك[6]. ورفض السلطان فرج بن برقوق ذلك التحالف بعد مشاورة أمرائه[7] الذين بيدهم الأمر مذكرين

---

* بيازيد الأول: هو ابن السلطان مراد الأول ولد عام 1340م ولقب بيلدرم بيازيد لخفته وسرعة انتقاله بين الأناضول والروميلي اعتلى عرش السلطنة عام 1389م وحول الدولة إلى إدارة مركزية، أسر عام 1402م أمام تيمورلنك ومات قهراً عام 1402م. للمزيد انظر: أورخان محمد علي: روائع من التاريخ العثماني، دار الكلمة، القاهرة، ط3، 2007، ص22-23.

[1] عبد العزيز محمود عبد الدايم: مصر في عصري المماليك والعثمانيين 1250- 1517م، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1996م، ص194. بينما يذكر طقوش في كتابه تاريخ المماليك في مصر والشام (بأن عدد الأسرى المقدمين للسلطان برقوق نحو 100 أسير) ص401.

[2] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص20.

[3] عبد العزيز محمود عبد الدايم: مصر في عصري المماليك والعثمانيين 1250- 1517م، ص194.

[4] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج12، ص217.

* ملطية: مدينة في وسط تركيا على نهر الفرات قرب التقاء نهري قره صو ومراد صو اللذين شكلا النهر المذكور. ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك هامش 59، ص47.

[5] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص20.

* هو الناصر فرج بن برقوق (1398 – 1405) تولى الحكم بعد وفاة أبيه وكان عمره 12سنة، فسير أمور الدولة الأتابكي أيتمش البحاسي وعندما انقلب على السلطان دارت بينهما معركة انتصر السلطان فرج وهرب ايتمش إلى الشام انظر عمار النهار: تاريخ المماليك، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ط1، 2014، ص 67.

[6] عبد العزيز محمود عبد الدايم: مصر في عصري المماليك والعثمانيين 1250- 1517، ص194.

[7] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص20.

إياه بإغارته على ملطية عام 1400[1] وعندئذ وجد تيمورلنك الفرصة مواتية لضرب كل من الدولتين، فهاجم الدولة المملوكية واستطاع أن يستولي على مدن شمالي بلاد الشام ثم دخل حلب واستولى على دمشق، وارتكب جنوده أعمال السلب والنهب والتدمير والقتل ثم تركوا المنطقة خاوية على عروشها وزحفوا باتجاه الشمال فاصطدموا بالسلطان بيازيد الأول وتغلبوا عليه في معركة أنقرة* 1402م وأخذ أسيراً.[2]

وبعد وفاة تيمورلنك عام 1405م وتفكك دولته أتاح الفرصة لدولتي المماليك والعثمانيين للتخلص من أثر الضربات التي أنزلها بهما تيمورلنك.[3] وعند تولى السلطان محمد شبلي عرش السلطنة بعد نزاع مع أخوته دام نحو عشر سنوات حتى عام 1413م أرسل كتاب تهنئته للسلطان المؤيد سيف الدين شيخ المحمودي* (1412- 1421م) بمناسبة اعتلائه عرش السلطنة المملوكية ويطلب منه تجديد أواصر الصداقة القديمة.

أصبحت العلاقات بين الدولتين المملوكية والعثمانية في غاية الصفاء في عهد السلطان الأشرف برسباي* (1422- 1438م) والسلطان مراد الثاني* (1421- 1451م) بسبب عدائهما لشاه رخ ابن تيمورلنك[4] حيث أرسل السلطان مراد الثاني بعثة إلى القاهرة عام 1424م لتهنئة السلطان الأشرف برسباي بمناسبة اعتلائه عرش السلطنة محملة بالهدايا وظل الطرفان يتبادلان رسائل الصداقة والمحبة

---

[1] عبد العزيز محمود عبد الدايم: مصر في عصري المماليك والعثمانيين 1250- 1517م، ص194.

* أنقره هي من أهم المدن في الدولة العثمانية، أصبحت مستقلة بعد سقوط دولة السلاجقة، حتى سيطرة السلطان مراد الأول عليها، وقد جرت فيها معركة أنقرة بين تيمورلنك وبيازيد الأول عام 1402م. انظر: أمين واصف بك: معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، ت: أحمد زكريا باشا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1916، ص18.

[2] أحمد بن محمد الدمشقي ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق، أحمد فايز الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ص205- 294.

[3] عبد العزيز محمود عبد الدايم: مصر في عصري المماليك والعثمانيين 1250- 1517، ص195.

* الشيخ المحمودي: هو المؤيد النصر (1412- 1421م) تولى حكم السلطنة بعد خلع الخليفة العباسي المستعين بالله خلع الطاعة عليه نائب الشام نوروز فهزمه ثم قتله ثم تتالت ثورات الشام عليه لكن انتصر عليهم، وانتابه المرض فتوفي، وكان شيخ شجاعاً محباً للعلم. انظر: عمار النهار: تاريخ المماليك، ص69.

* حكم ما بين عامي (1422-1438) بدأ حكمه بغزو قبرص وبلاد الأرمن، نجح في فتح قبرص وفشل في تأديب الأرمن اهتم بالعلم وأقام المدارس واشتهر بضربة الدنانير المعروفة بالأشرفية توفي 1438م. انظر: عمار النهار: تاريخ المماليك، ص70.

* مراد الثاني: هو سادس سلاطين بني عثمان ولد 1403م. قام بتنظيم الدولة العثمانية التي أصبحت تضم إمارات الأناضول الغربية والوسطى بالإضافة إلى البلقان، تنازل عن العرش مرتين لابنه محمد الثاني. للمزيد انظر: محمد بن عبد الملك الزعبي: مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، دار التقوى، القاهرة، ط1، 2010، ص225.

[4] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص20-21-28.

كلما تحقق نصر لأحد الطرفين[1] لكن في عام 1433م تعكرت العلاقات بين الطرفين بسبب لجوء الأمير سليمان وأخته فاطمة شهرزاده* فراراً من السلطان مراد الثاني، وعندما طالب بهما السلطان مراد الثاني رفض السلطان برسباي طلبه خوفاً عليهما من القتل.[2] في عهد السلطان الظاهر أبي سعيد جقمق* 1438- 1453م ازدادت مظاهر الصداقة والود بين الطرفي، وكثرت الهدايا والتهنئة المتبادلة بينهما وغير ذلك من مظاهر المجاملة،[3] لكن الذي متن العلاقات بينهما هو زواج السلطان جقمق من فاطمة شهرزادة بعد وفاة زوجها السابق السلطان برسباي.[4]

ومع استلام السلطان محمد الثاني بن مراد الثاني عرش السلطنة العثمانية 1451- 1481م بقيت العلاقات بينهما ودية حتى وفاة السلطان جقمق عام 1453م والدليل على ذلك لما فتح السلطان محمد الثاني القسطنطينية عام 1453م وأرسل إلى السلطان الأشرف سيف الدين إينال يبشره بانتصاره فدقت البشائر بالقلعة وزينيت القاهرة[5] لكن صفحة علاقات الود والصداقة بين الدولتين ما لبثت أن طويت وفتحت صفحة أخرى تنم عن اصطدام المصالح. وهذا سيتم معالجته في الفصل الأول من الرسالة.

---

[1] محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص483.

* هما أبناء الأمير أورخان جلبي ابن السلطان بيازيد الصاعقة وتم تهريبهما إلى مصر عن طريق أحد عبيد أورخان جلبي بعد موته عام 1433م خوفاً على حياتهما من السلطان مراد الثاني. انظر: أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص59.

[2] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص37.

* السلطان جقمق (1438- 1453م) في بداية حكمه سادت الفتن حيث خرج الأتابكي قرقماش الشعباني فقام بقتله ثم خرج على طاعته نائب الشام ثم قام بقتله، أما في الفترة الثانية من حكمه ساد الهدوء والاستقرار ثم مرض فتنازل عن الحكم لابنه، وتميز عهده بحبه للعلماء. انظر عمار النهار: تاريخ المماليك، ص70.

[3] عبد العزيز محمود عبد الدايم: مصر في عصري المماليك والعثمانيين 1250- 1517، ص196.

[4] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص40.

[5] عبد العزيز محمود عبد الدايم: مصر في عصري المماليك والعثمانيين 1250- 1517، ص196.

الفصل الأول:

واقع العلاقات المملوكية – العثمانية بين عامي 1453-1481م

الفصل الأول

واقع العلاقات المملوكية – العثمانية بين عامي 1453-1481م

مقدمة

أولاً: قيام الإمارات التركمانية وأثرها على العلاقات بين الدولتين

إمارة دلغادر (البستان)

إمارة رمضان

إمارة قرمان

إمارة القره قوينلو (الخروف الأسود)

إمارة الآق قوينلو (الخروف الابيض)

ثانياً: الصراع على النفوذ في إمارة دلغادر

العلاقات بين إمارة دلغادر والسلطنة المملوكية

العلاقات بين إمارة دلغادر والسلطنة العثمانية

التنافس والصراع العثماني– المملوكي على النفوذ في إمارة دلغادر

الفصل الأول: واقع العلاقات المملوكية – العثمانية بين عامي 1453-1481م

المقدمة:

اتسمت العلاقات المملوكية العثمانية قبل فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني* عام 1453م بالمجاملة والمؤازرة عن طريق المراسلة وتبادل الهدايا والوفود، وكان سلاطين بني عثمان يعترفون بالأولوية الدينية والسياسية للمماليك كزعماء للعالم الإسلامي. وعندما تم فتح القسطنطينية عام 1453م ظل المماليك ينظرون إلى تحركات العثمانيين الجهادية كجزء من الأعمال الإسلامية المنوطة بهم، والدليل على ذلك عندما أرسل محمد الثاني عام 1453م رسالة إلى السلطان الأشرف إينال (1453 – 1460م) ليبشره فيها بفتح القسطنطينية، أمر بإقامة الزينات ابتهاجاً بالمناسبة، وأرسل وفوداً محملة بالهدايا لتهنئة الفاتح بهذا الفتح العظيم.[1]

وقد أراد السلطان الأشرف إينال استمرار علاقات الود والصداقة مع العثمانيين، والدليل على ذلك في عام 1454م تدخل السلطان محمد الفائح في شؤون الإمارة القرمانية الداخلية تحت حماية المماليك، وعندما شكى أميرها إبراهيم للسلطان إينال لم يلتفت للشكوى[2] لكن الفتح العثماني للقسطنطينية طوى صفحة العلاقات الجيدة بين السلطنتين المملوكية والعثمانية، ونال آخر مظهر من مظاهر الوفاق المملوكي العثماني، وفتحت صفحة جديدة سادها العداء بفعل تصادم المصالح، ولاسيما بعد أن ضم العثمانيون شبه جزيرة البلقان (الروم ايلي) وتحولوا نحو آسيا الصغرى لاستكمال ضمها لدولتهم الصاعدة، حيث توسع العثمانيون في الأناضول والجزيرة الفراتية شمالاً والبحر المتوسط وجبال طوروس جنوباً، وعلى أثر ذلك تنامى الفتور بالعلاقات بين الدولتين، وخصوصاً عندما شعر المماليك بتعاظم شعبية العثمانيين بين المسلمين بعد فتح القسطنطينية، فضلاً عن بروزهم كقوة آخذة بالاتساع على حدود دولتهم الشمالية، أما تزايد قلق المماليك وخوفهم كان عندما سعت الدولة العثمانية إلى تغيير نظام العلاقات بين الدولتين فأصبح حكام بني عثمان

---

* محمد الثاني: ولد عام 1431م وهو سابع سلاطين الدولة العثمانية، ارتقى العرش لأول في حياة والده في عمر لا يتجاوز اثني عشر سنة، إلا أنه أقيل من منصبه وعقب وفاة والده استلم العرش. اتسم بعبقريته الحربية والإدارية فنظم أمور الدولة ووضع قانون نامة، لقب بالفاتح بعد فتحه القسطنطينية عام 1453م. توفي مسموماً وهو في طريقه لفتح إيطاليا عام 1481م انظر: عبد الفتاح رجب حمد محمد ((السلطان محمد الثاني الفاتح 1451-1481م فتحه للقسطنطينية وسياسته الداخلية)) عدد 29، ليبيا 2015، ص1- 7.

[1] محمد بن أحمد بن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ت: محمد مصطفى، دار الإحياء الكتب العربي، بيروت، ط1، 1922، ج2، ص316. وأيضاً انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت، 1972م، ص367.

[2] محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، القاهرة، ط1، 1997، ص484.

نداً لسلاطين بني مملوك، فضلاً عن تأكيدهم على الدور العالمي الذي تطمح به السلطنة العثمانية. وعلى إثر ذلك تغيرت نظرة المماليك من مشاعر الاعتزاز بالانتصارات التي حققها بنو عثمان إلى مشاعر الغيرة ثم تحول إلى صراع بينهما حول الهيمنة على العالم الإسلامي، والذي عدّ السبب الرئيس للنزاع المملوكي العثماني، ومما زاد الطين بلة عندما عدّ السلطان محمد الفاتح نفسه وريث أباطرة الروم البيزنطيين من جهة، ووريثاً شرعياً للسلاجقة أسياد الأيوبيين الذين هم بدورهم أسياداً على المماليك من جهة أخرى. وقد ظهر أول نزاع للعلن وهو الفضيحة الدبلوماسية التي حصلت عام 1463م في عهد السلطان المملوكي الظاهر سيف الدين خشقدم (1461 – 1467م)* عندما رفض السفير العثماني الانحناء أمام السلطان في القاهرة.[1]

وقد زاد الأمر سوءاً تقليل السلطان محمد الفاتح من ذكر الألقاب والنعوت المعتادة بين الطرفين عند مخاطبة السلطان خشقدم.[2] ناهيك عن ذلك أن قيام الإمارات التركمانية على أطراف آسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين أثر بشكل مباشر وغير مباشر على العلاقات بين السلطنة المملوكية والسلطنة العثمانية، فضلاً عن ذلك صراع كلا الدولتين على النفوذ في إمارة ذي القدر (ألبستان).

أولاً: قيام الإمارات التركمانية وأثرها على العلاقات بين الدولتين:

إن الغزو المغولي لمنطقة الشرق الإسلامي نجم عنه متغيرات سياسية جديدة متمثلة بانهيار دولة السلاجقة أمام المغول عام 1256م، وهذا بدوره كان له أثره الكبير والداعم إلى ظهور العديد من زعماء التركمان الذين استفادوا من الأوضاع السياسية التي طرأت على المنطقة فانخرطوا تحت راية المغول فأقرهم هولاكو على تلك المنطقة.[3] لكن انتصار المماليك على المغول في موقعة عين جالوت عام 1260م، وطردهم من بلاد الشام قلب موازين القوى لصالحهم، وكان له أثره في انسحاب التركمان من راية المغول وانضمامهم إلى راية المماليك والعمل تحت أمرتهم.[4]

---

* خشقدم: هو السلطان الظاهر أبو سعيد سيف الدين خشقدم (1461 – 1467م)، وهو السلطان الثامن والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، والأول من الأروام تسلم السلطنة عام 1461م. للمزيد انظر: ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، القاهرة، ط1، 1975، ج16، ص253.

[1] نيقولاي ايفانوف: الفتح العثماني للأقطار العربية 1516- 1574م، ت: يوسف عطا الله، بيروت، 1988، ص54. وأيضاً: علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، القاهرة، 1954، ص343.

[2] ابن تغري بردي: حوادث الدهور في معرفة الأيام والشهور، تحقيق: وليم بوبر، كاليفورنيا، 1931، ج3، ص471.

[3] بن تغردي بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد أمين، دار الكتب، القاهرة، ط2، 1990، ج2، ص221.

[4] اسماعيل بن علي أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد أيوب، دار الكتب المصرية، بيروت، ط1، 1997، ج4، ص81.

وقد بادر التركمان إلى إنشاء إمارات لأنفسهم في مناطق الأناضول الجنوبية الشرقية والمناطق المتاخمة لبلاد الشام شمالاً والتي عرفت باسم الثغور* ومن هذه الإمارات: إمارة ذو القدر، إمارة رمضان، إمارة قرمان، إمارة الآق قوينلو، وإمارة القراقوينلو. وبسبب قرب تلك الإمارات من حدود السلطنة المملوكية كان من المقرر أن تتبع لها، ولكن الذي حصل أن هذه الإمارات لم تبق على ولائها للماليك، وإنما كثيراً ما استغلت الظروف السياسية للخروج عليهم، ومهاجمة أراضي السلطنة، مما سبب لهم الكثير من المتاعب على حدود دولتهم الشمالية والشمالية الشرقية[1] فضلاً عن ذلك أن هذه الإمارات شكلت تهديداً دائماً لقوافل التجارة القادمة من الشرق إلى بلاد بني عثمان لأنها تعد المنفذ المؤدي للأناضول.

وإذاً فقد كان المماليك راضين بالسيادة الإسمية على تلك الإمارات بسبب ظروفها الداخلية والخارجية، فإن السلطنة العثمانية كانت جادة في إتمام السيطرة على آسيا الصغرى بما فيها تلك الإمارات. ونظراً إلى أهمية تلك المنطقة بالنسبة للعثمانيين والمماليك سعى كلا الطرفين لإتمام سيطرته ونفوذه عليها تأميناً لسلامة أراضيه وإبعادها عن الخطر الذي يهددها من جيرانه، ولذا حصل صراع بين الطرفين على النفوذ في تلك الإمارات التي تضمها المنطقة الواقعة على الحدود بينهما. وسعي كل منهما إلى تعيين أمراء وحكام موالين له، مما جعل العلاقات تسوء بينهما وتؤدي في نهاية المطاف إلى نشوب الحرب بينهما.[2]

وقبل التكلم بالتفصيل عن علاقة تلك الإمارات التركمانية بالسلطنة المملوكية وأثرها على العلاقات بين كلا الدولتين المملوكية والعثمانية الناشئة لا بد لنا من إلقاء الضوء على نشأة كل إمارة على حده.

1- إمارة دلغادر (ألبستان):

إمارة تركمانية معظم سكانها من التركمان الأوجاقية الذين نزحوا من آسيا الوسطى نحو الأناضول فراراً من الزحف المغولي الكاسح أيام جنكيز خان[3] أسس زين الدين قراجه بن دلغادر هذه الإمارة وخصوصاً عندما استولى على ألبستان من أرتنة بك عام 1339م وجعلها عاصمة لإمارته ثم ضم إليها

---

* الثغور: هي الحصون التي بنيت على تخوم الشام والجزيرة لصد غارات، والروم لذا سميت بالثغور الشامية وتمتد بموازاة جبال طوروس وتشمل مسيس والاورنين أدرنة وطرطوس والمصيصة واياس وهي تؤمن الحماية للشام. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج3، ص107.

[1] محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص445.

[2] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة، مركز الزهراء للإعلام، القاهرة، ط1، 1995، ص72.

[3] محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص446.

مرعش* فيما بعد.[1]

وقد زعم أبناء دلغادر بأن نسبهم يرجع إلى الملك الفارسي كسرى أنوشروان ويذكرون هذا النسب في نقودهم باسم ((دلغادر الساساني))[2] لكن ابن الوردي المعاصر لهم ينفِ ذلك ويؤكد أنهم من طائفة التركمان.[3]

شملت المناطق التي سيطرت عليها هذه الإمارة بعد اتساعها مرعش وما حولها، عينتاب*، أنطاليا، هارونية، أندرين، قيوشهر، دارنده، خربوط، حصن منصور، كختة، كركر، الرها، ديار بكر، جرميك، قلعة الروم، بلاد سيس وغيرها. وهذه المناطق هي أماكن حدودية بين الدولتين المملوكية والعثمانية،[4] لكن مع مرور الزمن أصبحت هذه الإمارة مناوئة للعديد من القوى المجاورة لها، ومن هذه القوى السلطنة المملوكية والعثمانية والإمارات التركمانية الأخرى التي استوطنت في منطقة آسيا الصغرى، وفي نهاية المطاف أصبحت هذه الإمارة منطقة صراع ونزاع على النفوذ بين المماليك والعثمانيين، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في فقرة الصراع على النفوذ في إمار دلغادر.

2- إمارة رمضان:

بنو رمضان عشيرة تركمانية وفدت مع الأتراك العثمانيين إلى الأناضول إبّان العهد السلجوقي.[5] وفي عهد الغازي أرطغرل استقرت في إقليم أذنه (أضنة) وأقامت إمارتها فيها فسيطرت على سيس وبياس وإياس وطرسوس* وغيرها.[6]

---

* مرعش: مدينة من الثغور بين الشام وبلاد الروم وهي مدينة حصينة وفيها سور عرف بالمرواني نسبة للحاكم الأموي مروان بن محمد. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص107.

[1] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة، ص73.

[2] أحمد بن يوسف القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ت: فهمي سعيد وأحمد حطيط، عالم الكتب، ط1، 1992م، ج3، ص339.

[3] عمر بن المظفر بن أبي الفوارس ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ج2، ص458.

* عينتاب: بلدة في جنوب تركيا قرب الحدود السورية فيها قلعة صغيرة تشبه قلعة حلب وفي جنوبها قلعتان إحداهما تعرف ببرج الرصاص والأخرى بتل بشار. ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك هامش رقم 49، ص40.

[4] محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص446.

[5] القلقشندي: صبح الأعشى، ج7، ص189، وأيضاً القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج3، ص105.

* طرسوس: مدينة تركية تقع في الجنوب الغربي من أدنه. انظر: ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك هامش، 79، ص54.

[6] محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص447.

وفي عام 1360م سيطر عليها المماليك وجعلوها نيابة تابعة لهم، وقد اعترف السلطان المملوكي لأميرهم أحمد بن رمضان بحكم المصيصة وبياس وبعض نواحي أرساق وطرسوس التي سيطر عليها عام 1415م[1] لكن هذا الأمر كثيراً ما أغار على حدود السلطنة المملوكية ونهبها.[2] توفي عام 1416م فوقع الخلاف بين أبنائه، وانتهى بتولي ابنه ابراهيم الحكم من بعده، واستمر في حكم الإمارة حتى عام 1428م حيث قتل على يد المماليك.[3] وعلى إثر ذلك بقيت هذه الإمارة تابعة للمماليك. خلال حكم السلطان بيازيد الثاني (1481- 1512م) هاجم إمارة رمضان واستولى على بعض أملاكها (أدنة، طرسوس) عام 1485[4] ورغم هذا الاعتداء الذي قام به بيازيد الثاني حرص كلا الطرفين على حصر نطاق الحرب قرب الحدود وعدم تحويلها إلى حرب شاملة؛ لأن هدف العثمانيين من هذه الحرب هو الاستيلاء على إمارة، أما طموح المماليك فهو السيطرة على إمارة دلغادر، والدليل على ذلك عندما ذهب حاكم إمارة رمضان الأمير محمود بك إلى استانبول وإعلان تخليه عن التبعية للسلطنة المملوكية، وإعلان تبعيته للدولة العثمانية، وعلى الفور رد المماليك على هذا الإجراء الذي قام به محمود بيك حاكم إمارة رمضان باجتياح إمارة دلغادر من قبل القائد المملوكي أوزبك بك الذي تمكن من إبادة الجيش العثماني المرابط في ملاطية، ولم يكتف بذلك بل اجتاح إمارة رمضان بعد أن أجبر العثمانيين على الانسحاب منها. وفي عام 1486م حاول العثمانيون استعادة إمارة رمضان لكن محاولتهم باءت بالفشل، وتم أسر القائد العسكري أحمد بن هرسك وهو صهر السلطان بيازيد الثاني. لكن السلطان المملوكي قايتباي أطلق سراح القائد العسكري أحمد بن هرسك، وحمله رسالة إلى السلطان بيازيد الثاني مفادها استعداد السلطان قايتباي لعقد صلح مع العثمانيين وأن الحرب الدائرة بينهما لا فائدة منها والعودة إلى حدود ما قبل الحرب. لكن هذه العروض المقدمة لم تؤد إلى نتائج ملموسة، فواصل العثمانيون التحرش بإمارة رمضان حتى سيطروا على طرسوس عام 1487م. وفي عام 1488م ضموا الإمارة بالكامل للدولة العثمانية. لكن المماليك استطاعوا عام 1489م السيطرة على مدينة أدنة وأسر القائد العثماني أحمد بن هرسك وتم اقتياده إلى القاهرة للمرة الثانية.[5]

---

[1] القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج3، ص105.

[2] محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص447.

[3] القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج3، ص105.

[4] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة، ص77.

[5] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، 2ج، ترجمة محمود سليمان، استانبول، 1988، ج1، ص190-191.

وفي عام 1491م بعث السلطان بيازيد الثاني رسولاً إلى السلطان قايتباي حاملاً معه مفاتيح القلاع التي سيطر عليها العثمانيون[1] بهدف إحلال الصلح بين الطرفين. وعندما وصل رسول السلطان بيازيد إلى القاهرة تم استقباله وإكرامه من قبل السلطان قايتباي ولإظهار النية الحسنة أصدر قراراً بإطلاق الأسرى العثمانيين كافةً المتواجدين في القاهرة، وبالفعل تم الصلح بين الطرفين عام 1491م من قبل السلطان التونسي يحيى الثالث (1488- 1494م)* الذي نجح في إقناعهما على ترك الوضع على حاله كما كان قبل بداية الاحتكاك[2] أي الاعتراف بتبعية إمارة رمضان للدولة المملوكية، وإمارة دلغادر إلى العثمانيين[3] وإبرام اتفاقية بإحلال السلام بين العثمانيين والمماليك[4] وبقيت العلاقات حسنة بين الطرفين منذ أن وقع الطرفان هذا الصلح حتى نهاية حكم بيازيد الثاني 1512م .

وفي عام 1515م ذهب حاكم إمارة رمضان محمود بك إلى استنبول وعرض على السلطان سليم الأول الدخول في طاعته، وعندما سمع المماليك بهذا التصرف أعلنوا خلعه عن عرش الإمارة، وتعين سليم بك مكانه، فاستاء السلطان سليم الأول من هذا العمل فتدخل لصالح محمود بك وعينه على الإمارة وهذا تأكيد على ولائه للعثمانيين. وأثناء اشتباك سليم الأول مع المماليك في معركة مرج دابق عام 1516م والريدانية عام 1517م كان حاكم إمارة رمضان معه وقتل في المعركة الأخيرة فعين السلطان سليم الأول أكبر أبنائه مكانه وهو قباد بك، وظل بنو رمضان يحكمون إمارتهم حتى ضمت نهائياً إلى الدولة العثمانية عام 1608م.[5]

---

[1] عبد العزيز عمر: تاريخ المشرق العربي (1516- 1922م)، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص49.

* أبو زكريا يحيى من الأسرة الحفصية الحاكم لتونس تولى حكم الحفصيين عام 1488- 1494م وتوفى عام 1494م للمزيد انظر: إلهام عبد القادر حمودي الطائي: الدولة العثمانية في عهد السلطان بيازيد 1481- 1512م، رسالة ماجستير بإشراف ابراهيم علاف، جامعة الموصل، 2005، ص89.

[2] شمس الدين نجم الدين زين الدين العابدين: تاريخ الدولة العثمانية، دار الميسرة، عمان، 2010، ص138.

[3] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص191.

[4] محمد فريد المحامي: تاريخ الدولة العثمانية، ت: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط1، 1981، ص70.

[5] Yilmaz Ostuna: Turkiye Tarihi, Istanbul,1964 ،C5, S.43,35 .

3- إمارة قرمان:

ينتمي آل قرمان إلى قبيلة أوغوز التركمانية، حيث وفدت إلى الأناضول في الربع الأول من القرن الثالث عشر الميلادي بعد أن تركوا ديارهم في أذربيجان* وشيروان* أمام زحف المغول. وعندما استولى السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد الأول (1219- 1236م) على مدينة أرمناك وما حولها من الأرمن عام 1228م نقل قبيلة أوغوز التركمانية وأسكنهم بها، ثم قرب أحد زعمائها كريم الدين قرمان إليه وزوجة أخته وجعله أميراً على تلك المنطقة، وعندما ظهرت حركة البابا لار الدينية بين التركمان وسط الأناضول عام 1239م بزعامة بابا اسحاق وإلحاقها الهزائم المتعددة بالسلاجقة كان له دور هامٌ في إقامة إمارة قرمان،[1] فضلاً عن ذلك أدت هذه الحركة إلى إضعاف الدولة السلجوقية وكسر شوكتها مما أدى إلى إغراء المغول على مهاجمتها، فحصلت معركة كوسة داغ بين الطرفين عام 1242م وانتصر المغول على السلاجقة[2] وهذا بدوره أضعف الموقف السياسي والعسكري للسلاجقة فأجبر السلطان السلجوقي قليج أرسلان على منح أراضٍ لكريم الدين قرمان عام 1256م اعترافاً بالأمر الواقع، لكن عام 1261م شن السلاجقة حرباً على أمير قرمان كريم الدين قرمان فهزم ومات في السنة التالية متأثراً بجراحه تاركاً الإمارة لابنه محمد شمس الدين الذي عد أفضل أمراء قرمان.[3]

وبعد مقتل محمد شمس على يد مفارز القوات المغولية انتقلت الزعامة إلى أخيه كون أري الذي أعلن ولاءَه للسلطنة السلجوقية حتى وفاته عام 1300[4] وبعد ذلك انتقلت الزعامة لأخية محمود الذي أعلن استقلال إمارة قرمان مستغلاً الضعف والترهل الذي تعاني منه السلطنة السلجوقية بعد موت سلطانها غياث الدين مسعود عام 1308م.[5]

---

* أذربيجان: اسمها القديم اثروباتان، وهي اقليم يقع في الجنوب الغربي لبحر قزوين، يحده شمالاً إقليم داغستان، وإقليم جورجيا، ومن الغرب والجنوب العربي أرمينيا. للمزيد انظر: ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، 2000، ج7، ص726.

* شيروان (شروان) مدينة من مدن كيلان على بحر قزوين تقع بين الجبال والشعاب. انظر عبد الكريم العفيفي: موسوعة 1000 مدينة اسلامية، دار أوراق شرقية، بيروت، ط1، 2000، ص124.

[1] علي أحمد خليل: ((سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان (1362- 1487) دراسة تاريخية)) مجلة كركوك للدراسات الإنسانية مج11، عدد3، 2016، ص50-51.

[2] يلماز أوزتونا: المدخل إلى التاريخ التركي، ت: أرشد الهرمزي، الدار العربية للمطبوعات، بيروت، 2005، ص352.

[3] علي أحمد خليل: ((سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان (1362- 1487) دراسة تاريخية))، ص51.

[4] علي بن صالح المحيميد: ((إمارة بني قرمان ودورها السياسي في آسيا الصغرى خلال العصر المملوكي (1256-1483)) مجلة ام القرى للدراسات الإسلامية، عدد 55، ربيع الثاني، 1433، ص277-278.

[5] عبد الرحمن شرف: زبدة القصص، دار الطباعة العامرة، استانبول، 1325هـ ، ايكنجي، جزء، ص144.

من ثَمَّ يمكن عدّ الإمارة إحدى الإمارات التركمانية التي قامت على أنقاض سلطنة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، حيث تم اتخاذ قونية عاصمةً لها ثم توسعت حتى شملت المدن الآتية: (أرمناك، لارنده، أقسرا)[1] ولحماية الإمارة من تعديات الإمارات التركمانية الأخرى أعلن الأمير محمود تبعيته للسلطان المملوكي، حيث سُكت العملة وقرأت الخطبة باسمه[2] وكون السلطنة المملوكية تمتد حدودها حتى جبال طوروس، وعلى استعداد لمواجهة من ينافسها على نفوذها في وسط الأناضول.[3]

وعندما استغل العثمانيون انتصاراتهم في الروميلي للتوسع في الأناضول كان بقصد ضم الإمارات التركمانية، لكن هذا أوقعهم بخلاف مع أمير قرمان الذي عدّ نفسه وريث السلطنة السلجوقية. فالتف حوله أمراء الغزاة في الأناضول الذي أخافهم التوسع العثماني،[4] وخصوصاً بعد سيطرة العثمانيين على أنقرة عام 1354م ذات الحضارة السلجوقية، وملتقى العديد من الطرق التجارية، ولذا أثارت هذه الخطوة إمارة قرمان ضد العثمانيين، فأخذوا ينظرون بقلق إزاء المد العثماني باتجاه الأناضول.[5]

وقد اتبع العثمانيون أساليب كثيرة لضم الإمارات التركمانية كالزواج من أسرها الحاكمة أو شراء أراضيهم أو منحهم إقطاعات في الروميلي.[6]

ولذا نلاحظ أن السلطان مراد الأول (1359- 1389م) تقرب من الأمير علاء الدين القرماني فزوجه ابنته (ملك خاتون) لضمان أمن الأناضول أثناء حربه في البلقان، وهذه الخطوة التي اتخذها السلطان مراد الأول متوافقة مع مساعي الأمير القرماني الرامية للحفاظ على كيان إمارته من تهديد عثماني محتمل.[7]

وعلى الرغم من المصاهرة التي حصلت بين آل قرمان والعثمانيين فقد استغل الأمير علاء الدين القرماني فرصة انشغال السلطان مراد الأول بحملته على البلقان فشكل تحالفاً مع الإمارات التركمانية عام 1387م وهاجموا أراضي إمارة حامد المشمولة بتبعيتها للعثمانيين وهذا بدوره أسفر عن حصول نشوب حرب بين العثمانيين والقرمانيين في سهل قونية وأدى إلى انتصار السلطان مراد الأول وأسر صهره علاء الدين القرماني، ولولا توسط ابنته ملك خاتون لجرده من أملاكه لعفى عنه وفرض عليه الجزية[8] على

---

(1) محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص447.

(2) عبد الرحمن شرف: زبدة القصص، ص144.

(3) علي أحمد خليل: ((سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان (1362- 1487) دراسة تاريخية))، ص53.

(4) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، المكتبة المصرية، بيروت، ط1، 2005، ص45.

(5) ابراهيم حقي: تاريخ عمومي، قصبار مطبعة س، دار سعادت، 1306. أوجنجي جلد، ص258.

(6) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص97.

(7) القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ص13.

(8) محمد فريد المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ت: إحسان حقي، دار النفائس ط1، 1981، ص47.

أثر الهزيمة التي منيته بها الأمير القرماني، وبقيت الأناضول تنعم بالسلام حتى استشهاد السلطان مراد الأول عام 1389م في معركة كوسوفو* واستسلام ابنه بيازيد الصاعقة الحكم (1389- 1402م).

وطمح الأمير علاء الدين القرماني بتوحيد الأناضول تحت السيادة القرمانية[1] فانتهز فرصة انشغال بيازيد في حربه في الروميلي عام 1396م وسيطر على أنقرة وأسر حاكمها تيمور طاش وهاجم بورصة.[2] وعلى إثر ذلك قرر السلطان بيازيد ضم إمارة قرمان نهائياً إلى الدولة العثمانية وعند لقاء الطرفين في معركة آق جاي قرب قونية انتصر السلطان عليه وأسره وسلمه إلى حاكم أنقرة الذي قام بإعدامه شنقاً، وتم أسر ولديه علي ومحمد وسجنهم في بورصة، وبهذا الشكل سقطت قرمان بيد العثمانيين، وأصبحت ولاية عثمانية وسجلت في دفتر الإيالات العثمانية.[3] ومن ثَمَّ فإن سقوط قرمان بيد العثمانيين أصبحت الدولة العثمانية مجاورة للأراضي المملوكية وهذا يؤدي إلى تفجير الوضع بينهما وحصول المواجهة بين الطرفين. ولكن هذا الأمر لم يحصل إبّان تلك الفترة بسبب الخطر المغولي (1336- 1405م) الذي تبدى في قيام تيمورلنك بسلسلة من الغزوات في المشرق العربي عام 1380م ووصوله إلى تبريز عام 1387م وسيطرته على ديار بكر وأورفه ودخوله بغداد عام 1393م، مما نتج عن ذلك تحسن العلاقات بين الدولتين المملوكية والعثمانية ووضعهما أمام مسؤولية الإعداد لمواجهة الخطر المغولي.[4]

ولذا اقتصر الموقف المملوكي إزاء دخول العثمانيين إمارة قرمان بأنهم تدخلوا وسطاء لإحلال الصلح بين العثمانيين وإمارة قرمان.[5]

وبالرغم من قيام السلطان بيازيد بإرسال سفارة سياسية إلى السلطان المملوكي الظاهر برقوق عام 1393م يحذره من الخطر المغولي الداهم، وخصوصاً بعد إرسال تيمورلنك رسالة إلى القاضي برهان أمير سيواس* يطلب منه إقامة الخطبة وضرب السكة باسمه.[6] لكن السلطان المملوكي برقوق لم يستطع أن

---

* كوسوفو: ترد بالمصادر العربية قوصوه وهي إقليم تقع في غرب برتشينا بين ميتر وفيتش. للمزيد انظر: حسن الحلاق: مدن وشعوب إسلامية، دار الرائد، بيروت، د.ت، ص362.

[1] علي خليل أحمد: سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان 1362-1487، ص57.

[2] علي جواد: مكمل عثماني تاريخي، قصبار مطبعة س، استانبول 1316هـ، ص62.

[3] القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ص511، وأيضاً: محمد فريد المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص139، وأيضاً محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص448.

[4] علي بن داؤد الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ت حسن حبشي، القاهرة، 1970، ج1، ص167.

[5] جاسم محمد جاسم محمد: العلاقات المملوكية العثمانية خلال 699- 923هـ / 1299- 1517، ص342.

* إمارة تركية تقع في آسيا الصغرى وأهم مدنها أماسيا. للمزيد انظر: القلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915، ج5، ص3510.

[6] Stanley Lane – Pool: A history Of Egypt In The Middle Ages, 4ed Hoarlem. 1968. P332.

يخفي مخاوفه من ازدياد نفوذ العثمانيين وخطرهم على مستقبل دولته وخصوصاً أن بيازيد الذي أغار على قيصرية عام 1391م وضمها إلى دولته وقبض على حاكمها بالرغم من تبعيتها للمماليك ولذا كان السلطان برقوق قليل الثقة ببيازيد.[1]

وعقب وفاة السلطان برقوق عام 1398م أخذت العلاقات بين السلطنة المملوكية والعثمانية بالتدهور، وتأرجحت في عهد ابنه السلطان فرج (1398- 1405م) بين العدائية والود. فقد استغل بيازيد الانقسامات الداخلية والاضطرابات الحاصلة في بلاد الشام فضلاً عن اطمئنانه المؤقت من ناحية غياب تيمورلنك عن المشرق الإسلامي وذهابه إلى الهند، فهاجم ملطية وألبستان واستولى عليهما وحاصر دارنده، فقد ارتكب بهذا العمل خطأ سياسياً دل على وجود رغبة لدى سلاطين بني عثمان لتزعم العالم الإسلامي[2] ومن ثَمَّ أفشل إمكانية تعاون السلطان فرج معه حين دعا إلى التعاون لصد تيمورلنك[3] وخصوصاً عندما اتجه الأخير نحو الغرب واحتلاله بغداد للمرة الثانية عام 1400م وأصبح يهدد مناطق نفوذ الدولتين في آسيا الصغرى عندما استولى على بهنس وعينتاب.[4]

وعلى إثر ذلك لم ير السلطان بيازيد حرجاً من التقرب من السلطان فرج بقصد إقامة تحالف للوقوف في وجه تيمورلنك فأرسل بعثة عام 1400م إلى القاهرة تحذر السلطان فرج من تيمورلنك وعرض عليه إقامة تحالف لكن الأمراء المماليك رفضوا هذا التحالف وأرسلوا إلى بيازيد يذكرونه بغارته على ملطية[5] فضلاً عن انشغالهم بالدسائس ضد بعضهم للحصول على السلطة،[6] حيث قالوا له: "**الآن صار صاحبنا، وعندما مات أستاذنا الملك ظاهر برقوق مشي على بلادنا، وأخذ ملطية من عملنا فليس لنا بصاحب، يقاتل هو عن بلاده، ونحن نقاتل عن بلادنا**"[7] ومن ثَمَّ فإن هذا التصرف العدائي بينهما في ظل تلك الظروف الحرجة قصوراً في التفكير السياسي السليم من جانب السلطان فرج وأمرائه اتجاه الدولة العثمانية؛ لأن هذا بدوره أعطى فرصة ذهبية لتيمورلنك لضرب الدولتين كلاً على انفراد.[8]

---

[1] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517م، ص51.

[2] محمد طقوش: تاريخ المماليك في بلاد الشام ومصر، ص435، وأيضاً: غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464-1517م، ص52.

[3] ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية، القاهرة، 1963، ج12، ص216.

[4] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1312هـ، ج1، ص126.

[5] محمد طقوش: تاريخ المماليك في بلاد الشام ومصر، ص435.

[6] طالب محيبس حسن: "هزيمة العثمانيين في أنقرة 1302 دراسة في مقدمات النزاع التتاري العثماني ومجريات الحرب" مجلة كلية التربية، عدد4، جامعة واسط، ص44.

[7] ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج12، ص261.

[8] محمد طقوش: تاريخ المماليك في بلاد الشام ومصر، ص435، وأيضاً: غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464-1517م، ص53.

وعليه فإن عدم توحيد جهود كلا الدولتين المملوكية والعثمانية سببه توجه تيمورلنك نحو الأراضي المملوكية حيث احتل حلب وسحق جيش المماليك ثم تابع سيره جنوباً نحو حماه وحمص وبعلبك ثم دمشق فعرّج نحو بغداد تاركاً بصمات تدميرية تدل على وحشيته[1] وذاق سكان دمشق أقسى أنواع العذاب بالعقوبة والجوع والحرق والسبي.[2]

كما توجه نحو الأناضول للسيطرة عليها، لأنه عدّها جزءاً من الوصاية الوراثية المغولية عليها[3] وخصوصاً بعد عزلها عن محيطها الإسلامي بعد غزوه لبلاد الشام، فضلاً عن ذلك لجوء كل من أحمد بن أويس حاكم بغداد بعد تعرضها للغزو التيموري، وحاكم أذربيجان قره يوسف إلى السلطان بيازيد الذي رفض تسليمهم لتيمورلنك عندما أرسل سفيراً إليه بغرض طلبهما.[4] إزاء ذلك توجه تيمورلنك إلى الأناضول واحتل سيواس بعد إبادة حاميتها التي كان يقودها الأمير أرطغرل بن بيازيد عام 1400م. وعندما تقدم بيازيد بجيش قوامه مائة وعشرون ألف مقاتل لملاقاة خصمه تيمورلنك انضم بعض جنده إلى العدو، فضلاً عن انضمام تركمان الإمارات الآتية (إيدين، فيتشا، صاروخان، كرميان) الذين كان أمراؤها يرافقون جيش تيمورلنك، وبذلك تقرر مصير المعركة سلفاً، وعند اللقاء قرب أنقرة عام 1402م انتصر تيمورلنك، وأسر السلطان بيازيد الذي تعرض للإهانة أمام زوجته الصربية عندما حاول الفرار، فمات قهراً في الأسر،[5] فأكرمه تيمورلنك بأن سمح بدفنه في جامع بروسه، ثم أعاد تيمورلنك الإمارات التركمانية في آسيا الصغرى إلى أملاكها السابقة،[6] ومن هذه الإمارات إمارة قرمان لكن بمساحة أكبر وأشد قوةً بقصد جعلها نواةً تجمع حولها الإمارات الأخرى لمحاربة العثمانيين فيما إذا تجدد خطرهم في الأناضول.[7] وخصوصاً بعدما أطلق سراح ولدي علاء الدين القرماني (محمد وعلي) من السجن وسلم إليهما مقاليد الحكم،[8] حيث عين محمداً أميراً على قرمان متخذاً قونية عاصمة له وأخاه علياً حاكماً على

---

[1] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464-1517م، ص53.

[2] Lane- Pool, Op.Cit.P334.

[3] أكمل الدين إحسان أوغلو: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ت صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ، استانبول، 1999، ص19.

[4] ابراهيم حليم بك: تاريخ الدولة العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 2000، ص70.

[5] أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، 2003، ص57-58.

[6] كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ت: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 2005، ص422.
وأيضاً علي حسون: العثمانيون والبلقان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1986، ص57.

[7] علي أحمد خليل: ((سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان (1362- 1487) دراسة تاريخية))، ص59.

[8] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص12.

نكيدة*. وعند زيادة الأملاك إليهما أصبحت قرمان تشمل كل حوض نهر سقاريا بين أنقرة وبورصة وتحولت إلى قوة مناهضة للدولة العثمانية وأكثرها خطراً عليها.[1]

بعد سيطرة الابن الأصغر لبيازيد محمد شلبي على الوقف عام 1413م بعد صراع دام عشرة سنوات بين الأخوة توجه لقتال أخيه موسى المدعوم من قبل امبراطور بيزنطة عام 1413م، وعلى إثر ذلك انتهز الفرصة أمير قرمان محمد علاء الدين القرماني فهاجم إمارة كرميان وفرض حصاراً على بورصة[2]. فاضطر السلطان محمد جلبي* إلى محاربته وبالرغم من انتصاره عليه لم يتبع سياسة عدائية تجاهه واكتفى بولائه وطاعته، والهدف من ذلك عدم إثارة شاه رخ بن تيمورلنك، وبما أنه تابع له، والمحافظة على العلاقات الحسنة مع المماليك الذين أكدوا أن إمارة قرمان تابعة لنفوذهم.[3]

لكن المشاكل التي واجهها أمير قرمان محمد مع إمارة ذو القادر الموالية للسلطنة المملوكية شغلته عن الدولة العثمانية فحافظ على الولاء والطاعة للسلطان محمد جلبي طوال حياته، وعندما اشتبك مع الأمير ناصر الدين بن ذو القادر هزم ونقل أسيراً إلى القاهرة سنة 1418م وتم تعيين أخيه علي الذي كان حاكماً على نكيده بدلاً عنه.[4] ومن الجدير بالذكر أن المماليك استغلوا انشغال السلطان محمد جلبي في استعادة الدولة العثمانية المنهارة وخصوصاً في البلقان فتوسعوا في الأناضول وسيطروا على قيصرية، وهذا أثر بدوره على العلاقات بين الدولتين.[5] وعندما اعتلى السلطان مراد الثاني عرش السلطنة العثمانية

---

* تقع جنوب شرق وسط الأناضول على بعد 196كم شرق قونية على نهر قزلجة صو الذي يصب في بحيرة آق كول. انظر: شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، مج5، ص3782.

[1] علي خليل أحمد: سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان 1362-1487، ص59.

[2] علي جواد: مكمل عثمانلي تاريخي، قصبار مطبعة سى استنبول 1316هـ، ص80- 81.

* هو خامس سلاطين بني عثمان ولد سنة 1379م ولقب بجلبي وهي كلمة تركية تعني متعلم مهذب، استطاع أن يقضي على الحرب الأهلية والفوضى التي أعقبت معركة أنقرة 1402م. وعمل على تقوية الدولة وتنظيمها، توفي عام 1421م واستلم ابنه مراد الثاني. للمزيد انظر: جميل بيضون: تاريخ العرب الحديث، دار الأمل، إربد، 1991، ص25.

[3] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص55.

[4] تقي الدين أحمد بن المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج6، ص507، وأيضاً ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6، ص211.

[5] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص57.

عام 1421م قام السلطان ططر* بإطلاق سراح سجينه الأمير محمد القرماني وإعادته إلى إمارته وكان ذلك بسبب تأييد العثمانيين لابنه إبراهيم ضد عمه علي المؤيد من قبل المماليك.[1]

وعندما تولى الأمير محمد القرماني إمارة قرمان اتبع سياسة عدائية ضد السلطان مراد الثاني من خلال وقوفه إلى جانب الامبراطور البيزنطي مانويل الثاني (1391- 1425م) في دعم شقيق السلطان مراد الأصغر مصطفى المطالب بالعرش العثماني، وحرضه بالخروج على أخيه.[2] لكن السلطان مراد الثاني أخمد الفتنة بقتل أخيه، والسيطرة على إمارة قرمان وقتل أميرها محمد القرماني 1423م، ثم بادر إلى تعيين ابنه إبراهيم مقابل التنازل عن إمارة حميد والأراضي التي سلمت إلى إمارة قرمان من قبل تيمورلنك، وزوّجه أخته فأصبح بينهما اتحاد.[3]

وبالرغم من الدعم الذي حصل عليه أمير قرمان إبراهيم بن محمد القرمان أخذ يتحين الفرصة لاستعادة الأراضي التي تنازل عنها وخصوصاً عندما استتب له الأمر في قرمان فاشترك في التحالف الصربي المجري ضد العثمانيين من خلال استيلائه على إمارة حميد وأسر حاكمها العثماني.[4] على إثر ذلك تحرك السلطان مراد الثاني بجيشه نحو قرمان وسيطر على قونية فهرب الأمير إبراهيم إلى جهات طاش إيلي، وأخذ يبعث الرسائل معلناً ندامته على ما بدر منه،[5] فعفى السلطان مراد الثاني عنه وأعاده إلى حكم إمارته.[6] ويعلق المؤرخ التركي عبد الرحمن شرف على سياسة أمراء قرمان قائلاً: "**ما تسنح لهم الفرصة إلا يستغلونها ضد الدولة العثمانية حسداً منهم لها، وعندما يهزمون يفرون ومن ثم يتوسلون بكل السبل من أجل العفو عنهم ولا يخجلون من تصرفهم هذا ابداً**".[7]

---

* الظاهر ططر: حكم عام 1412 اسمه: سيف الدين أبو سعيد ططر الظاهري الجركسي لم يدم طويلاً في السلطنة إذ مرض بعد عودته من الشام ثم توفي بالعام نفسه الذي تولى فيه حكم المماليك. انظر: عمار النهار: تاريخ المماليك، ص69.

[1] شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، ت: حسن حبشي، دار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1971، ج3، ص241.

[2] إبراهيم حليم بك: تاريخ الدولة العلية، ص82، وأيضاً غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص57.

[3] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص58.

[4] Nuripasa, Mustafa, Netayicul: Vukaat Kurumari Ve Orgutreriyle Osmanli Tarihi, Ankara, 1979, S 38.

[5] علي خليل أحمد: سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان 1362-1487، ص61.

[6] Shaw, Stan Ford: History Of The Ottoman Empire And Modern Turkey, Cambridge, 1976, P49.

[7] عبد الرحمن شرف: تاريخ دولت عثمانلي، قره بت مطبعة س، استنبول، 1309، ص167.

وعلى الرغم من العفو الذي ناله الأمير القرماني إبراهيم من السلطان مراد الثاني نلاحظ ارتمائه بأحضان السلطان المملوكي الملك الأشرف برسباي بقصد السيطرة على قيصرية المشمولة بحماية إمارة ذو القادر، وبعد إغراء الأشرف برسباي بالمال وافق على طلبه بالسيطرة على قيصرية بعد أن أمده بالدعم العسكري،[1] وهذا بدوره أثار القلق لدى العثمانيون ووتر العلاقات بين الطرفين، وخصوصاً عندما التجأ أمير ذي القادر ناصر الدين إلى السلطان مراد الثاني طالباً المساعدة ضد أمير قرمان إبراهيم جراء استيلائه على قيصرية، وبالفعل جهز السلطان مراد الثاني جيشاً لمحاصرة قيصرية وتسليمها لأمير ذي القادر إلا أنه فشل بسبب مساعدة تركمان الأناضول المشمولين بالحماية المملوكية ونواب الشام لأمير قرمان إبراهيم بن محمد القرماني، وعلى أثر ذلك بقيت العلاقات المملوكية العثمانية بتوتر حتى عقد الصلح بين السلطان مراد الثاني والأمير القرماني في نهاية عام 1436م.[2]

وعندما تعرضت الدولة العثمانية للهزائم في الروميلي أمام حاكم تراسلفانيا جون هونيادي خلال سنوات 1441- 1442- 1443م استغلها الأمير القرماني إبراهيم رغم وجود الصلح المبرم مع السلطان مراد الثاني فشن هجوماً على الأراضي العثمانية في الأناضول (أنقرة وكوتاهية)[3] فاضطر السلطان مراد الثاني أن يقود حملة تأديبية ضد الأمير القرماني للحد من خطره في الأناضول، وهرب الأمير ابراهيم فسيطر مراد الثاني على بلاده لكن توسط زوجته أخت السلطان مراد الثاني فعفا عنه وأعاد الإمارة إليه، وعندما تأكد السلطان مراد من اتفاق الأمير إبراهيم القرماني مع القوى الأوروبية لمحو الدولة العثمانية على أن تكون جهة الروميلي لهم والأناضول له،[4] وأجبر السلطان مراد على عقد معاهدة سغدين 1444م مع المجريين ذات البنود الثقيلة على العثمانيين لكي يتفرغ للخطر الذي مثله الأمير القرماني على مستقبل الدولة العثمانية بالأناضول،[5] وللحصول على الفتوة الشرعية لقتال ابن قرمان استفتى علماء مذاهب المسلمين الأربعة على مقاتلة أمير هاجم المسلمين من الخلف أثناء جهادهم مع العدو فأفتوا:" **الجهاد ضد مانع الجهاد هو الجهاد الأكبر وبعد حصوله على هذه الفتوى جهز حملته الانتقامية ضد أمير قرمان فدخل قرمان ودمر عاصمتها قونية وقصباتها بقسوة شديدة.**

---

(1) Darraj, Ahmad Assayed; L, Egypt Sous Le Regne de Barsbay(828-841), Damascus, 1961, P393.

(2) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص59.

(3) سعيد قاسم كريم كهية: الدولة العثمانية في عهد مراد الثاني (1421- 1451)، رسالة ماجستير منشورة كلية التربية، جامعة تكريت، 2011، ص105.

(4) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص124. غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص60.

(5) أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص64.

وبالتالي برر السلطان مراد حملته الانتقامية هذه بالفتوة السابقة الذكر فضلاً عن ذلك كانت حجة العثمانيين في قتال ابن قرمان تعاونه مع القوى المسيحية.[1]

وجراء القسوة التي تعرضت لها إمارة قرمان أخذ ابن قرمان ميثاقاً على نفسه أمام السلطان مراد الثاني عام 1444م بألا يتجاوز أراضي الدولة العثمانية، ولا يشترك في أي تحالف ضدها، وأن يرسل قواته لمساندة العثمانيين عند الحاجة وأقسم بالقرآن على ذلك.[2]

وقد واظب الأمير القرماني على هذا الميثاق حتى وفاة السلطان مراد الثاني عام 1451م وعند اعتلاء السلطان محمد الثاني عرش السلطنة تخلى عن الميثاق الذي تعهده للسلطان المتوفى وعاد إلى سياسته العدوانية اتجاه السلطنة العثمانية،[3] وعندما سمع السلطان محمد الثاني بحركة الأمير القرماني إبراهيم قاد حملة عسكرية لإخمادها حيث تحرك من بورصة إلى كوتاهية ثم توجه إلى قونية فاستقبله أهالي تلك المدن بينما الأمير القرماني فر هارباً معلناً ندامته على ما فعل، فعفى عنه السلطان وتصالح معه[4] والسبب في ذلك التهديد الذي أبداه الامبراطور البيزنطي قسطنطين الحادي عشر (1448-1453م)* عندما طالب بمضاعفة المبالغ التي دفعها سلاطين بني عثمان لقاء الإبقاء على أورخان حفيد سليمان ابن بيازيد الأول رهينة عنده، وبما أن السلطان بدأ التحضيرات للسيطرة على القسطنطينية كان عليه أن يتتبع سياسة سلمية مع الإمارات التركمانية في الأناضول وعلى رأسها إمارة قرمان.[5]

وبعد السيطرة على القسطنطينية عام 1453م وصلت إلى القاهرة رسل السلطان محمد الثاني ومعها بعض الهدايا للسلطان الأشرف إينال فعمّ الفرح وأقيمت الاحتفالات بهذه المناسبة العظيمة.[6] فعندما تدخل السلطان محمد الفاتح بشؤون الإمارة القرمانية عام 1455م شكى الأمير القرماني إبراهيم للسلطان الأشرف إينال فلم يلتفت لها.[7]

---

(1) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص125. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في مصر والقاهرة، ج5، ص61-125.

(2) علي خليل أحمد: سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان 1362-1487، ص62.

(3) عبد الرحمن شرف: زبدة القصص، دار الطباعة العامرة، استنبول، 1315هـ، ج2، ص226.

(4) ابراهيم حليم بك: تاريخ الدولة العلية، ص64.

* هو باليوجيس آخر الأباطرة البيزنطيين (1448- 1453) نادى بالاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية توفى وهو يدافع عن القسطنطينية ضد جيش السلطان محمد الثاني. انظر: نصار حسين: الموسوعة العربية الميسرة المكتبة المصرية، بيروت، 2009م، مج، ص2558.

(5) علي خليل أحمد: سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان 1362-1487، ص63.

(6) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517م، ص62.

(7) محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص484.

وكرد فعل على ذلك سعى الأمير القرماني لتوطيد العلاقة مع العثمانيين وحافظ على السلم معهم طوال حياته حيث أرسل بعض من قواته لمساعدة القوات العثمانية للسيطرة على إمارة اسفنديار، ورفض إيواء قيزل أحمد* المتمرد على السلطنة العثمانية[1] ومن جهة أخرى أظهر العصيان على الدولة المملوكية وشن هجوماً على سيواس وأدنه* التابعتين للسلطنة المملوكية عام 1456م وعلى إثر ذلك جهز السلطان المملوكي حملة عسكرية لتأديب الأمير القرماني، وأثناء الاشتباك هرب الأمير إبراهيم من أرض المعركة وعم الخراب في معظم إمارته، وبعد أشهر راسل السلطان المملوكي يطلب العفو والاستعطاف عليه وأنه داخل في طاعته ويعتذر عمّا بدر منه فقبل الأشرف إينال اعتذاره وعفا عنه.[2]

وقبل وفاة الأمير القرماني إبراهيم عام 1463م اختار لوراثة عرش قرمان ابنه اسحاق كونه لا يحمل نسباً عثمانياً فعارضه أخوه بير أحمد* الذي اتخذ قونية مقراً لحكمه، وهذا بدوره أفسح المجال للتدخل الخارجي في الشأن القرماني ولاسيما دولة الآق قوينلو التركمانية ودولة المماليك فضلاً عن الدولة العثمانية.

وفي البداية التجأ اسحاق إلى المماليك فأقرت بأحقية حكم الإمارة لكن دون تقديم الدعم[3] فاضطر إسحاق إلى الإلتجاء إلى الأمير أوزون حسن* حاكم دولة الآق قوينلو[4] حيث وجدها فرصة مناسبة لتصدي التوسع العثماني في الأناضول[5] لأن الأمير أوزون حسن يرى نفسه الوريث الشرعي لتيمورلنك، والأناضول جزءاً من ميراثه[6] فضلاً عن ذلك سيطرة السلطان محمد الثاني عام 1461م على

---

* هو أحد الولاة الذين تمردوا على السلطان محمد الثاني في الأناضول التجأ إلى الأمير ابراهيم رفض إيوائه ثم التجأ إلى أوزون حسن أمير آق قونيلو وعندما استنجد اسحاق ابن الأمير القرماني بأوزون حسن ضد أخوته أرسل قيزل أحمد على رأس قوة عسكرية لحمايته. انظر:
jorage, Nicolae: Osmanli Imparatorlugu Tarihi, (1300—1451) Istanbul, 2009, C96.

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج16، ص334.

* أدنه: هي من الحصون التي بنيت على تخوم الشام والجزيرة لصد غارات الروم ولذا سميت بالثغور الشامية وهي تؤمن الحماية لمرافئ بلاد الشام: باقوت الحموي: معجم البلدان دار الفكر، بيروت، د.ت، ج3، ص107.

(2) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص62-63.

* بير أحمد: هو ابن الأمير القرماني إبراهيم من زوجته خاتون بنت السلطان محمد الجلبي.

(3) علي خليل أحمد: سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان 1362-1487، ص64.

* أوزون حسن: يسمى بحسن الطول لطول قامته وهو مؤسس دولة الاق قوينلو وهذا ما سنتكلم عن في الفقرة القادمة

(4) Uzunçarşılı, Ismail Hakki, Osmanli Tarihi, Istanbul, 1976, S88.

(5) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص65.

(6)Shaw, Stam Ford: History Of The Ottoman Empire And Modern Turkey, p66.

إمارة طرابزون الذي يربطه مع أميرها مصلحة مشتركة هي الحقد والكراهية للعثمانيين، فضلاً عن ذلك الصداقة التي تربط أوزون حسن مع أمير طرابزون عندما تزوج من ابنته كاترين.*[1]

واستجاب حسن الطويل لإسحا^ق ابن ابراهيم القرماني؛ لأنه عدّها فرصة لفرض نفوذه على وسط الأناضول. حيث أرسل قوة عسكرية إلى قرمان تمكنت من تثبيت إسحاق على إمارة قرمان[2] مستغلاً انشغال السلطان محمد الثاني في البلقان (الروميلي) وأقام الخطبة للسلطان المملوكي خشقدم.[3]

وإزاء هذه التطورات الحاصلة بالأناضول، وتعدي أوزون حسن على المناطق التابعة للسلطنة المملوكية وخصوصاً عندما دخل ألبستان ونهبها واستيلاؤه على المناطق التابعة لها،[4] أراد السلطان خشقدم إصلاح العلاقات مع الدولة العثمانية لمواجهة خطر أوزون حسن لكن دون فائدة تذكر[5] وذلك بسبب إهانة السلطان خشقدم لقاصد السلطان محمد الثاني.

أما مصير بير أحمد وأخوته فقد هربوا إلى ابن خالهم السلطان محمد الثاني، وعلى إثر ذلك خاف الأمير إسحاق على إمارته فأراد إصلاح العلاقات مع بني عثمان وكسب ود السلطان محمد فتنازل عن بعض الأراضي التابعة لإمارة قرمان مقابل إبقاء إخوته كرهائن لديه، ومن ثَمَّ قبول السلطان محمد الثاني بالعرض الذي قدمه الأمير إسحاق ليدل على أن السلطان محمد لا يهمه من يحكم إمارة قرمان اسحاق أو أخوه بير أحمد بقدر ما يهمه إعادة الحدود بين إمارة قرمان والدولة العثمانية إلى ما كانت عليه إبّان عهد السلطان بيازيد الأول. ومن ثَمَّ يكون نهر جهار شنبه* حداً فاصلاً بينهما.[6]

عندما عرف السلطان محمد برفض الأمير اسحاق لمقترحه، وقف إلى جانب أخيه الأمير بير أحمد وسانده بتجهيز حملة عسكرية أسفرت عن إلحاق الهزيمة بأخيه إسحاق في معركة أرمناك عام 1466م وإجباره على الفرار إلى إمارة آق قوينلو ثم موته في نفس العام بسبب قهره وحزنه على الهزيمة التي لحقت به.[7]

---

[1] كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص437.

[2] علي خليل أحمد: سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان 1362-1487، ص57.

[3] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص65.

[4] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج2، ص430.

[5] سبق إلى ذلك في الصفحات السابقة.

* جهار شنبه: هو يوم الأربعاء عند بني عثمان.

[6] نيقولا لافاتان: صعود العثمانيين 1362-1451 في الدولة العثمانية، ت: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1993، ص140.

[7] علي خليل أحمد: سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان 1362-1487، ص65.

وعلى أثر ذلك زادت العلاقات سوءاً بين الدولة العثمانية والمملوكية عندما وردت إلى القاهرة أنباء مفادها أن محمد الثاني قدم مساعدات عسكرية كبيرة لأحمد بن إبراهيم القرماني مكنته من الاستحواذ على إمارة قرمان وإقامة الخطبة فيها باسم السلطان محمد الفاتح، الأمر الذي أثار استياء السلطان المملوكي خشقدم.[1]

وبما أن المماليك ادعوا لأنفسهم حق حماية إمارة قرمان[2] فعدّوا احتلال العثمانيين لها بمثابة تهديد خطير للسيادة المملوكية على بلاد الشام.[3]

لكن اعتلاء الأمير بير أحمد إمارة قرمان بدعم عثماني لم يمنعه من الاستفادة من أي فرصة لتعزيز استقلاله والتخلص من النفوذ العثماني واستعادة الأراضي التي تنازل عنها لابن خاله السلطان محمد الفاتح[4] وتأكد الأخير من عداء الأمير بير أحمد عندما رفض أمر السلطان الاشتراك بالحملة المرتقبة على المماليك لاستعادة ملطية ودارنده اللتين كانتا تحت سيطرة بيازيد الأول قبل موته عام 1402[5].

وعلى أثر ذلك قرر السلطان محمد الفاتح ضم إمارة قرمان إلى الدولة العثمانية بشكل نهائي وجعلها ولاية عثمانية[6] ولتحقيق هذه الغاية تحرك السلطان محمد عام 1466م على رأس قوة عسكرية نحو قونية عاصمة إمارة قرمان فدخلها رغم المقاومة الشديدة التي أبداها أهلها، فهرب الأمير بير أحمد نحو الشرق وأخوه قاسم نحو الجبال الغربية[7] ولإضعاف القرمانيين وكسر شوكتهم أمر بتهجير الصناع والحرفيين إلى استانبول، وتعزيز المواقع الدفاعية العثمانية في قرمان من خلال بناء قلعة داخل قونية وتجهيزها بالأسلحة النارية، وبعد ذلك بادر إلى تعيين ابنه الأمير مصطفى حاكماً على ولاية قرمان.[8]

وبهذا الشكل استطاع السلطان محمد الثاني الاستيلاء على إمارة قرمان وجعلها ولاية عثمانية، وبذلك أنهى منافسة الجيران لأن أمراء قرمان تحالفوا سابقاً مع أوروبا، وفارس والمماليك في مصر ضد الدولة العثمانية وسببوا لها الكثير من المشاكل على حدودها الجنوبية.

---

(1) ابن اياس: صفحات لم تنشر من بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، 1951، ص154.

(2) Holt, P.M: Egypt And The Fertile Crescent 1516- 1922, Apolitical History, London, 1966, P28.

(3) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ص157.

(4) Öztuna, Yalimaz, Büyük، Osmanli Tarihi, Istanbul, 1992, S293.

(5) Chai, Har: Struggle For Domination In The Middle East, New York, 1995, P84

(6) Nicola, Gorg: Op Cit, S 146.

(7) عبد الرحمن شرف: تاريخ دولت عثمانلي، ص169.

(8) علي خليل أحمد: سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان 1362-1487، ص65.

وبالنهاية يمكن القول: إن سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان منذ نشوئها إلى ضمها للدولة العثمانية، ودورها في إثارة المشاكل بين الدولة العثمانية والدولة المملوكية التي كانت اللين بعد الشدة، والعفو بعد المقدرة وذلك مراعاة للظروف السياسية المتحكمة في الأناضول. وبالمقابل وجدنا أمراء قرمان يختارون الزمن الذي تكون فيه الدولة العثمانية مشغولة بحروبها في البلقان أو يستغلون وفاة سلطان واعتلاء سلطان آخر عرش السلطنة؛ لأنه غالباً ما كان يرافقه الفوضى والاضطراب، فيقومون بتحركاتهم العسكرية المناهضة للدولة العثمانية مدعومين من الدول المجاورة للسلطنة. لكن السياسة التي اتبعها السلطان محمد الثاني تجاه إمارة قرمان تختلف عن سياسة أسلافه وذلك من خلال تحطيم قوى المساندة لإمارة قرمان قبل خوض الحرب المصيرية معهم. وهذا ما يفسر أسباب معركة أوتلق بالي* عام 1473م الحاسمة مع إمارة الآق قوينلو المتحالفة مع إمارة قرمان.

4- إمارة القره قوينلو (الخروف الأسود):

تتكون إمارة القره قوينلو من لفظين، قره بمعنى الأسود، وقوينلو بمعنى الشياه أو الغنم وعليه عرفت إمارة القره قوينلو؛ بالشياه السوداء أو سود الغنم[1] واتخذ من رسم الخروف ذي اللون الأسود على علمها رمزاً لها[2] وإن هذه التسمية محلية أطلقها سكان أذربيجان وشرق الأناضول بعد استقرارهم فيها.

تنسب هذه الإمارة إلى بايندر إحدى بطون قبيلة الغز التركمانية التي نزحت من تركستان الشرقية بعد أن اجتاح جنكيز خان لها إلى سهول سمرقند وبخارى بين عامي 1219- 1220م بعد ذلك تركوا سهول سمرقند وبخارى واتجهوا نحو شمال غرب فارس فاستقروا فترة من الزمن في منطقة بهار، ثم تابعوا سيرهم عبر أذربيجان إلى أرمينيا، وبعد ذلك تركوا المنطقة ليستقر بهم المقام في سيواس وأرزنكان والمناطق المحيطة ببحيرة وان.[3] بينما ذهب العزاوي إلى القول بأن باران هو أحد أحفاد أوغوز والقره قوينلو يسمون بالبارانية نسبة إليه.[4] وعند الرجوع لكتاب معجم البلدان وجدنا أن باران هي إحدى قرى

* وقعت في سهل تراجان وجرت بين السلطان محمد الثاني وأوزون حسن عام 1473م وقررت هذه المعركة من سيكون سيد الأناضول: وانتهت هذه المعركة بنصر عثماني ساحق وهروب أوزون حسن ناجياً بنفسه. انظر: علي خليل أحمد: سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان 1362-1487، ص67.

[1] عباس العزاوي: موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، 7مج، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2004، مج3، ص28.

[2] محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص448-449.

[3] علاء محمود قداوي: تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو (1411- 1508م)، دار غيداء للنشر، عمان، 2012، ص36-37.

[4] عباس العزاوي: موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، مج3، ص27.

مدينة مرو[1] في خرسان وهذا يؤكد أن هذه القبيلة (القرة قوينلو) مكثت طويلاً بها فالتصقت بهم هذه التسمية البارانية.

ومهما يكن من أمر بعد استقرار قبيلة القره قوينلو في سيواس وأرزنكان والمحيطة ببحيرة وان، بدأوا يوسعون مناطق نفوذهم في شرق الأناضول والجزيرة الفراتية، فدخلوا في حالة صراع مع جيرانهم التركمان، وخصوصاً قبيلة الآق قوينلو من أجل السيطرة على أملاك مدينة أرض روم الواقعة على الفرات الأعلى الغربي ما بين عامي 1332- 1334م[2] وعليه عمل بيرام خواجه جد الأسرة القره قوينلو في خدمة السلطان أويس الجلائري 1356- 1374* ولما توفي السلطان أويس استولى بيرام خواجه عام 1375م على الموصل ثم سلمها لأخوه بردة خوجه حتى يتفرغ لتوسيع إمارته على حساب الجلائريين، فسيطر على أرجيش* وخوى* وشحجوان* وقلعة أونك* وضمها لإمارته.[3] وفي عام 1380م توفي بيرام خواجه فاستلم أمور الإمارة قره محمد بن تومبش بن بيرام خواجه حتى مقتله عام 1389م وإبّان حكمه اجتاح المغول بقيادة تيمورلنك العالم الإسلامي وبعد سيطرته على إيران استطاع احتلال تبريز عام 1386م عاصمة إقليم أذربيجان دون أي مقاومة جلائرية، ثم توجه بعد ذلك نحو المناطق التي تشكل تهديداً لطرق القوافل التجارية لاسيما إمارة القرة قوينلو التي سيطرت على بحيرة وان ذات الموقع المهم حيث شكلت حلقة وصل بين أذربيجان وأرمينيا والأناضول والجزيرة الفراتية لوقوعها على طرق التجارة بين الشرق والغرب.[4]

---

[1] ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1955، ج1، ص318.

[2] Romer, H.R: Thurkmen Dynasties, Vol.6 Der Oslam (D.1.).P.33.

* هو ابن الشيخ حسن الجلائري المتوفى عام 1356م واستمر في الحكم حتى عام 1374م وفي عهده اضطربت أوضاع العراق وحدثت الثورات في الموصل وسنجار وتحالف مع بيرام خواجه القره قوينلو لضبط أمور الدولة انظر علاء محمود قدواي: تاريخ العراق في عهد القره قوينلو والاق قوينلو، ص 40- 41.

* أرجيش مدينة تقع على بحيرة وان وأحياناً تسمى بأرجيش. انظر: كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص217.

* خوى: مدينة تقع في أذربيجان على نهر يجري شمالاً فيصب في نهر الرس. انظر كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص200.

* شحجوان: بلدة كبيرة بأقصى أذربيجان شمال نهر الرس، وتقع إلى الشرق منها قلعة النجف. انظر: كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص201.

* قلعة أونك: قلعة عظيمة فوق جبل بالقرب من أحد منابع نهر الرس وتبعد ثمانية فراسخ عن أرض الروم، انظر كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص150.

[3] لين بول ستانلي: تاريخ الشعوب الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ت: أحمد السعيد، دار المعارف، مصر، 1972، ج2، ص535.

[4] علاء قداوي: تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو، ص43-45.

وقد أخفق تيمورلنك في كسر شوكة إمارة القره قوينلو رغم الحملات التي أرسلت ضدهم، ففي عام 1378م تعرضت بلاد ما وراء النهر لحملة قادها توقتاميش خان*، وعلى إثر ذلك توقف تيمورلنك عن مواجهة إمارة القره قوينلو ليعود إلى بلاده مدافعاً عنها.[1]

واستغل الأمير قره محمد فرصة انسحاب تيمور فأعاد تحصين القلاع، وبنى معسكراً لقواته في أعالي الفرات، ثم توجه للسيطرة على تبريز لتكون قاعدة له لتوسيع إمارته في فارس[2] وبالفعل سيطر على تبريز عام 1388م وعين عمّه مصر خواجة حاكماً عليها. وبما أن الأمير قره محمد له استراتيجية بعيدة المدى حيث أدرك أن إمارته محاطة بقوات تيمورلنك، إمارة الآق قوينلو، وبالتالي لن يسمحوا له البقاء في تبريز، ولذا لا بد من إيجاد حليف قوي يعمل معه لمواجهة أعدائه، وتثبيت رقعة إمارته. فوجد ذلك في دولة المماليك في مصر وبلاد الشام، والذين هم بحاجة إلى حليف يواجهون معه أعداءهم الممثلين بإمارة الآق قوينلو الطامعين بأرض الشام، والجلائريين من أجل إزاحتهم من حكم العراق. وبالفعل قدّم الأمير قره محمد ولاءه للسلطان المملوكي برقوق وأرسل إليه عام 1388م الرسل ليعلموه بأن الأمير قره محمد نائب للسلطان في البلاد، وإنه خطب وسك الدنانير والدراهم باسمه. فاستجاب السلطان برقوق لطلبه،[3] لكن هذا التحالف لم يستمر إلا سنة واحدة بسبب مقتل الأمير قره محمد على يد أحد أقربائه بسبب التنافس على السلطة.[4]

وبعد مقتل الأمير قره محمد عام 1389م استلم أمور الإمارة ابنه الأمير قره يوسف 1390-1420م. وفي عهده استأنف تيمورلنك حملاته إلى الغرب بعد اندحار قوات توقتاميش عام 1391م[5] مستهدفاً بالدرجة الأولى إمارة القره قوينلو، وذلك للأسباب الآتية:

1- إفشال إمارة القره قوينلو لخطة تيمورلنك القائمة على تأمين طرق التجارة المارة عير تبريز.

2- لرفضهم التبعية لتيمورلنك رغم تبعية معظم القوى السياسية في فارس له.

---

* وينتمي إلى القبيلة الذهبية التي ينتمي إليها دوشي بن جنكيز خان الذي أسس أول دولة مغولية باسم دولة مغول القفجاق، وهي بدوية عاش أهلها على الرعي. انظر: علاء قداوي: تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو، هامش 4، ص47.

[1] عبد الله بن فتح الله البغدادي الغياثي: التاريخ الغياثي، ت: طارق نافع الحمداني، مطبعة أسعد، بغداد، 1972، ص107-182.

[2] Minorsky, V: The Qara Qounlu And The Qutb Shahs ((Turmenica, 10)) Vol. Xvii, Part 1, 1955, P55

[3] تقي الزين أحمد بن علي المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ت: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1941، ج3، ص585.

[4] Uzunçarşılı, Ismail Hakki: Andolu, Beylirlri, Ve Ak koyunlu kara koyunlu, Dev Leteri, Ankara, 1969, S,180.

[5] عبد الله بن فتح الله البغدادي الغياثي: التاريخ الغياثي، ص107، 183.

3- قيام الأمير قره محمد والد الأمير قره يوسف بإعلان تبعيته للسلطنة المملوكية، وهذا عدّ تحدي لتيمورلنك لأن المماليك غير راضيين عن سيطرته على تلك المناطق.

4- رغبة تيمورلنك باجتياح المنطقة وضمها لملكه فضلاً عن الثأر للهزائم التي منيه بها أمام الأمير قره محمد وابنه الأمير قره يوسف.

ورغم كل المحاولات التي أبداها تيمورلنك لتقويض سلطة القره قوينلو ما بين عامي 1391-1394م لكنه لم يستطع، حيث أثبت الأمير قره يوسف كما فعل أبوه الأمير قره محمد مقدرته في الحفاظ على إمارته الفتية من الانهيار أمام الغزو المغولي،[1] لكن في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي توجه تيمورلنك من جديد نحو الغرب، وهذا أسفر بدوره عن سحب الأمير قره يوسف قواته كافةً المتواجدة بالقرب من بحيرة وان إلى الموصل ومنها إلى أراضي الدولة العثمانية في بلاد الأناضول[2] تفادياً لأي اصطدام مع قوات تيمورلنك. وقد قدرت قوات الأمير يوسف بسبعة آلاف مقاتل.[3]

وأثناء توجه الأمير يوسف نحو الأناضول اعترضته بالقرب من حلب قوة مملوكية قدرت بألف مقاتل فتم سحقها، فقد قتل نحو ثلاثمائة شخص، ومن بينهم أتابك حلب وأسر عدد من أمراء الشام لكن الأمير قره يوسف أطلق سراحهم لقاء فدية كبيرة قدمت له،[4] وأثناء توجهه نحو الأناضول قام بنهب القرى والمدن الواقعة تحت الحماية المملوكية، مما دفع السلطان المملوكي بالتصدي لهم. لكن في نهاية المطاف دخل الأمير قره يوسف الأناضول واستقبله السلطان بيازيد بترحاب[5] وأقطع له مقاطعة آق شهر*. وهذا ما أدى إلى ازدياد التوتر بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية لاستقبال الأخيرة للأمير قره يوسف، ولكن هدف السلطان بيازيد من استقبال الأمير قره يوسف وقواته التنسيق معه واستدراج تيمورلنك إلى قلب الأناضول وخوض المعركة معه ولتكون هزيمته أمراً محققاً.[6]

غير أن اجتياح تيمورلنك لشرقي الأناضول وبلاد الشام والعراق وانتصاره على مراكز القوى هناك، قد طوق الدولة العثمانية من جهتي الشرق والغرب ومنع أي تعاون بين السلطنة المملوكية والدولة

---

(1) علاء محمود قداوي: تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو (1411- 1508م)، ص50-51-54.

(2) عبد الله بن فتح الله البغدادي الغياثي: التاريخ الغياثي، ص123.

(3) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص1021، ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة في معرفة ملوك مصر والقاهرة، ج2، ص123.

(4) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، قسم 3 ص1020- 1021، ص 200.

(5) علاء محمود قداوي: تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو (1411- 1508م)، ص61.

* آق شهر: تقع بالقرب من بحيرة تحمل الاسم نفسه، وإلى غربها بقع الحصن العظيم قره حصار. انظر: لسترنج بلدان الخلافة الشرقية، ص185.

(6) علاء محمود قداوي: تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو (1411- 1508م)، ص61.

العثمانية، وعندئذٍ أرسل التهديدات للسلطان العثماني بيازيد الصاعقة (1389- 1402م) فكان موقف الأمير قره يوسف من هذه التهديدات التخاذل، فبدلاً من مؤازرته قرر الانسحاب ليواجه السلطان العثماني بيازيد مصيره المحتوم على يد تيمورلنك في معركة أنقرة 1402م وأسره ثم مات حزناً على هزيمته أمام تيمورلنك، بينما الأمير قره يوسف هرب من بورصة قبيل المعركة إلى العراق[1] غير أن لجوء الأمير قره يوسف إلى العثمانيين هي أحد الأسباب التي دفعت تيمورلنك إلى محاربة السلطان بيازيد الصاعقة.[2]

وبعد هذا الانتصار الساحق الذي حققه تيمورلنك على العثمانيين تغيرت لهجته نحو المماليك من الدعوة إلى السلم وإصلاح ذات البيّن بينهما حتى لا يساند السلطان الناصر فرج (1398- 1405) العثمانيين في حربه معهم إلى الوعد والوعيد في حال إقامته تحالفاً مع الأمير قره يوسف[3] وبعد انتصار تيمورلنك على العثمانيين توجه نحو الشرق للقضاء على الإمارة القره قوينلو والسيطرة على بغداد، وعلى أثر ذلك هرب الأمير قره يوسف نحو الشام عام 1404م حيث استقبلهم نائبها الأمير شيخ المحمودي لكن السلطان الناصر فرج تراجع عن موقفه تجاه الأمير قره يوسف فأصدر مرسوماً لنائبه في الشام بإلقاء القبض عليه وزجه في سجن برج الحمام في قلعة دمشق[4] والسبب في ذلك أن السلطنة المملوكية عقدت اتفاقية مع تيمورلنك تضمن أحد بنودها عدم إيواء كل طرف أعداء الطرف الآخر.

إن فشل تمرد الشيخ المحمودي على السلطان الناصر فرج بمساعدة الأمير قره يوسف أسفر عن عودة الأخير إلى مناطق نفوذه بعد أن وصلته أخبار موت تيمورلنك عام 1405م [5] وعندما استلم السلطان المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي عرش المماليك 1412- 1421 م لم يحدث أي تقارب حتى عام 1415م وذلك بسبب توقيع الأمير قره يوسف اتفاقية صلح مع شاهرخ ابن تيمورلنك[6] فخاف السلطان الشيخ المحمودي من هذا الاتفاق. وعندما طالب شاهرخ الأمير قره يوسف بالتبعية له وأنه في حال رفض سيزحف إلى تبريز، فكان على أثر ذلك انهيار الاتفاق، فلجأ الأمير قره يوسف نحو المماليك معلناً التبعية لهم فتحسنت العلاقات بينهما[7] لكن عام 1418م هاجم الأمير قراريك (قره عثمان) زعيم

---

[1] عبد الله بن فتح الله البغدادي الغياثي: التاريخ الغياثي، ص203-206 وأيضاً احمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص58.

[2] محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص449.

[3] علاء محمود قداوي: تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو (1411- 1508م)، ص132-133.

[4] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، قسم 3 ص112، وأيضاً ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج12، ص302.

[5] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، قسم 3، ص1165-1173.

[6] ابن تغردى بردى: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج14، ص25.

[7] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، القسم الأول، ص300.

إمارة الآق قوينلو. مدينة ماردين التابعة للأمير قره يوسف فهب الأخير للدفاع عن ممتلكاته، وهاجم آمد عاصمة الآق قوينلو في ديار بكر وطارد قره عثمان حتى مرج دابق، وتحت الضغط دخل الأمير قراريك (قره عثمان) حلب بعد أن طلب الأذن من نائبها الأمير يشبك اليوسفي ووصلت طلائع جيش الأمير قره يوسف إلى عنتاب والبيره وعاثوا فيها خراباً، فأرسل فرقة عسكرية لاستطلاع أخبار الأمير قره عثمان إلا أن نائب حلب تصدى لها. وبالرغم من اعتذار الأمير قره يوسف وتبيان أن هدفه من هذا مطاردة الأمير قره عثمان زعيم الآق قونيلو توترت العلاقات بينهما وكادت أن تؤدي إلى مواجهة عسكرية بينهما.[1]

وقد بقيت العلاقات متوترة حتى وفاة الأمير قره يوسف عام 1420م عندما كان خارجاً لمحاربة شاهرخ فأصيب بمرض مفاجئ أودى بحياته في أذربيجان،[2] وعندما استلم الإمارة ابنه الأمير اسكندر (1402- 1435م) تحسنت العلاقات مع السلطنة المملوكية كون الأمير اسكندر خاض حروباً عديدة ضد شاهرخ ابن تيمورلنك الذي هدد بدوره باحتلال الشام لرفض الأشرف برسباي الكسوة التي أرسلها للكعبة المشرفة عام 1432م.[3] غير أن وقوف الأمير جهانشاه أخي الأمير اسكندر وأمراء الآق قوينلو إلى جانب شاهرخ أدى إلى فرار الأمير اسكندر وقتله عام 1435م وبعد مقتل الأمير اسكندر استلم إمارة القره قوينلو أخوه جهانشاه (1435- 1467م) وأوصل الإمارة إلى أوج عظمتها ووسع مناطق نفوذها حيث شملت أذربيجان وعراق العجم وفارس وكرمان وهرات، لكنه قتل في المعركة التي دارت بينه وبين الأمير حسن الطويل زعيم الآق قوينلو عام 1467م. وبمقتله انهارت الإمارة القره قوينلو لصالح الإمارة التركمانية الآق قوينلو المتواجدة في ديار بكر.[4]

5- إمارة الآق قوينلو (الخروف الأبيض):

هي إحدى القبائل التركمانية التي هاجرت من أواسط آسيا[5] بسبب هجمات المغول على بلاد خوارزم وتركستان واستقرت في إقليم ديار بكر بعد أن اتخذت آمد عاصمة لها.[6]

---

(1) محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص451.

(2) رضا شعباني: المنتخب من تاريخ إيران، ترجمة: سعد رستم، دار مجموعة الهدى ردمك، ط1، 2015م، ص316.

(3) ابن تغردى بردى: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج14، ص368.

(4) رضا شعباني: المنتخب من تاريخ إيران، ص316- 317.

(5) أذربيجان أو منطقة الجبال موطن الإيرانيين الأوائل. انظر: صلاح هريدي: دراسات في تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط1، 2004م، ص47.

(6) محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص448، رضا شعباني: المنتخب من تاريخ إيران، ص317.

وينسب الغياثي الآق قوينلو إلى بايندر إحدى بطون قبيلة الغز التركمانية والتي بدورها تنسب إلى أوغوز البطل الأسطوري للقبائل التركية.[1] كما يؤكد ذلك المؤرخ التركي أوزون حقي تشرشل ويرى احتمال انتساب القره قوينلو والآق قوينلو إلى بطن واحد هو بطن البايندر.[2]

تتكون إمارة الآق قوينلو من القطبية، الآق بمعنى الأبيض وقوينلو بمعنى الشياه أو الغنم وعليه عرفت إمارة الآق قوينلو بالشياه البيض أو بياض الغنم[3] واتخذ من رسم الخاروف ذي اللون الأبيض على علمها رمزاً لها.

وبعد فترة نصف قرن على ظهور إمارة القره قوينلو تأسست إمارة الآق قوينلو في إقليم ديار بكر علي يد مؤسسها بهاء الدين قرا عثمان البايندري الملقب بقرايلك[4] والمعروف قره عثمان أو قره يولاق عثمان حيث انتصر على أمير الشاه الأسود (قره قوينلو) قره محمد عام 1389م، وتغلب على برهان الدين حاكم سيواس العثماني عام 1397م، وعند ظهور تيمورلنك واجتياحه للمنطقة أوائل القرن الخامس عشر الميلادي وقف إلى جانبه الأمير قره يولاق عثمان واشترك معه في معركة أنقرة عام 1402م ضد العثمانيين. وبعد انتصاره وأسر بيازيد الصاعقة كافأه تيمورلنك بإعطائه حكم منطقة ديار بكر، لكن الأمير قره يولاق عثمان لم يستطع إثبات نفوذه بعد موت تيمورلنك عام 1405م في وجه منافسيه أمراء القره قوينلو (الشياه الأسود).[5]

وبعد موت أمير قره قوينلو قره يوسف عام 1420م سيطر الأمير قره عثمان على منطقة ماردين وسنجار التابعتين لإمارة القره قوينلو،[6] وحصلت مناوشات عديدة بين الأمير اسكندر بن قره يوسف وبين الأمير قره عثمان، وحليفه شاهرخ بن تيمورلنك لكن الأمير قره عثمان لقي حتفه على يد الأمير اسكندر قرب أرض روم عام 1435م وبعد ذلك تم إرسال رأس قره عثمان إلى القاهرة للدلالة على تمكنه من عدوه التقليدي، وحتى يدخل الفرح إلى قلب السلطان الملك الأشرف برسباي كون الأمير قره عثمان على عداء معه.[7]

---

(1) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص372.

(2) Uzunçarşılle: Anadoalu, S188

(3) عباس العزاوي: موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، مج3، ص208.

(4) محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص448-449.

(5) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1789، دمشق، ط2، 1968، ص49.

(6) علاء محمود قداوي: تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو (1411- 1508م)، ص121.

(7) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، القسم الثاني، ص956- 963- 984.

وبعد مقتل الأمير قره عثمان اعتلى عرش إمارة الآق قوينلو ابنه حمزة (1436- 1444م) وأصبح تابعاً لشاهرخ ابن تيمورلنك وهذا بدوره أدى إلى تحسن العلاقات بين إمارة الآق قوينلو وإمارة القره قوينلو بعد تولي جهان شاه عرش الإمارة عام 1536م.[1]

وفي عام 1446م تمكن الأمير جهان شاه من احتلال بغداد بعد موت أخيه أسبان عام 1444م، وبعد ذلك أخذ يتوسع داخل أملاك التيموريين عقب موت شاهرخ بن تيمورلنك عام 1446م مشتغلاً حالة الصراع التي اندلعت بين أولاد شاهرخ وأحفاده على السلطة حيث سيطر على بلاد فارس وكرمان، ثم وجه أنظاره إلى إمارة الآق قوينلو حلفاء الأمس فقد سيطر على بعض مناطق نفوذهم في شرق الأناضول،[2] لم يكتف بذلك بل دعم تمرد الشيخ حسن على الأمير جهانكير الذي استلم إمارة الآق قوينلو عام 1444م بعد وفاة الأمير حمزة، لكن هذا الدعم لم تُؤتى ثماره بسبب وقوف أخ الأمير جهانكير أوزون حسن الذي استطاع قتل عمه الشيخ حسن المدعوم من قبل الأمير جهانشاه أمير القره قوينلو عام 1451م.[3]

وبعد ذلك حصل صدام ونزاع بين الأمير جهانكير وأخوه أوزون حسن، فاستغل هذا النزاع أمير القره قوينلو جهانشاه فوقف إلى جانب الأمير جهانكير، وكان الهدف من ذلك تحجيم نفوذ الأمير حسن الطويل الذي تجاوز حدود إمارته (الآق قوينلو). ففي عام 1457م اندلعت حرب بين الطرفين انتهت بهزيمة كلٍّ من جهانكير وحليفه جهانشاه وأسر عدد من أمراء الأخير.[4] ويذكر أن سبب الهزيمة هو انحياز الأمير جهانكير إلى جانب أخيه الأمير حسن الطويل (أوزون حسن) عندما بدأت المعركة، والبعض يذكر أن بعد انتصار الأمير حسن الطويل على الأمير جهانشاه توجه نحو ماردين وحاصر أخاه جهانكير فيها فخرجت أمه وطلبت العفو من ابنها حسن الطويل لأخيه جهانكير، فاستجاب الأمير حسن لنداء أمه وحدث صلح بينهما، واتفقا على أن تكون ماردين للأمير جهانكير وباقي الإمارة للأمير حسن الطويل.[5]

وفي الفترة الواقعة ما بين 1357- 1468م لم يحصل أي صدام بين الأمير حسن الطويل زعيم إمارة الآق قوينلو وجهان شاه زعيم القره قوينلو، والسبب في ذلك تغيير استراتيجية كل منهما، حيث اتجه الأمير حسن الطويل غرباً من أجل الوصل إلى البحر المتوسط، ولذا تحالف مع البنادقة العدو التقليدي للعثمانيين ومع إمارة طرابزون المسيحية عندما صاهر أخا حاكمها داوود سنة 1459م، كما متَّن علاقاته مع السلطة المملوكية المناهضين للتوسع العثمانيين، حيث أرسل بعثة إلى القاهرة عام 1459م ومعها

---

(1) علاء محمود قداوي: تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو (1411- 1508م)، ص125.

(2) ابن تغري بردي: حوادث الدهور في معرفة الأيام والشهور، ج3، ص156-157.

(3) علاء محمود قداوي: تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو (1411- 1508م)، ص126.

(4) ابن تغردى بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج16، ص118.

(5) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص337.

مفاتيح القلاع التي سيطر عليها في بلاد الكرج،[1] وأعلن عن نفسه بأنه من مماليك السلطان المملوكي.[2]

واستفاد الأمير حسن الطويل من هذه التحالفات فقد سيطر على مساحات واسعة في آسيا الصغرى ووصل إلى قونية في جنوب غرب الأناضول عام 1465م ثمَّ وقف إلى جانب إمارة قرمان ضد الدولة العثمانية.

وبهذا العمل دخل حلبة الصراع على إمارة قرمان بين السلطنة المملوكية والدولة* العثمانية . ولم يكتف بذلك بل هاجم خرتبوت* وابلستين* المشمولتين بالحماية المملوكية[3] فضلاً عن سيطرته على قلعة كركر الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات جنوب شرقي ملطية.[4] فتأزمت العلاقات مع المماليك.

وقد استغل الأمير جهانشاه هذا الوضع فتحرك بقواته التي بلغ عددها خمسين ألف مقاتل من تبريز نحو ديار بكر للقضاء على الأمير حسن الطويل الذي أصبح في وضع لا يحسد عليه، وعندما علم الأمير حسن الطويل طلب الصلح لكن الأمير جهان شاه رفض وأصر على الواجهة.[5]

وبالرغم من سيطرة الأمير جهانشاه أمير القره قوينلو على سهول الأناضول الشرقية ومنها سهل جابكور توقف في مدينة خوشي بسبب حلول فصل الشتاء، فاستغلها الأمير حسن الطويل فاشبك معه وانتصر عليه عام 1466م[6] وأرسل رأسه إلى القاهرة ليؤكد للسلطان أنه تابع له وأنه استطاع القضاء على عدوه.[7]

وبعد ذلك استطاع الأمير حسن الطويل تقويض حكمه في فارس عام 1467م، وفي العراق عام 1468م، وفي أرمينيا وشرق الأناضول، الأمر الذي جعل إمارة الآق قوينلو تدخل ميدان التنافس في

---

[1] علاء محمود قداوي: تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو (1411- 1508م)، ص128.

[2] ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج16، ص70.

* عندما قدم قوات عسكرية للأمير اسحاق تمكنت من تثبيت حكمه على قرمان وترك قوة عسكرية بقيادة قيزل أحمد لحمايته. سبق الإشارة إلى ذلك عندما تحدثنا عن إمارة قرمان.

* خرتبوت: تعرف الآن بحصن زياد وتقع أقصى ديار بكر بينها وبين ملطية مسيرة يومين. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص355.

* ابلستين: وتسمى بالبستان وتقع شرقي القيصرية وهي مدينة متوسطة الحجم. انظر: كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص175.

[3] ابن تغرى بردي: حوادث الدهور في معرفة الأسام والدهور، ج3، ص508.

[4] ابن تغردى بردى: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج16، ص288.

[5] أبو بكر الطهراني: ديار بكرية، تصحيح واهتمام نجاتي لوغال وفاروق سومر، أنقرة، 1962، ج2، ص407-12.

[6] علاء محمود قداوي: تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو (1411- 1508م)، ص147.

[7] ابن تغردى بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج16، ص384.

المشرق الإسلامي في محاولة لإعادة ترتيب الأوضاع التي كانت قائمة،[1] وعليه فقد أخذ العثمانيون يخشون الأمير أوزون حسن (حسن الطويل) كونه أميراً تركمانياً يستطيع تهديد سلطتهم المدنية والدينية في منطقة حدودهم الجنوبية الشرقية، حيث يسكن التركمان بكثرة، كما خشيوا احتمال اتفاقه مع المماليك ضدهم.[2]

لكن الذي حصل قيام السلطان خشقدم بإرسال وفد إلى السلطان محمد الثاني بقصد التحالف معه ضد الأمير حسن الطويل، لأن التحالف مع العثمانيين أمر هامٌ بالنسبة للمماليك، خصوصاً عندما تحققت شكوك السلطان خشقدم بنوايا الأمر حسن الطويل الذي اعتدى على المناطق المشمولة بحماية المماليك.[3]

وقد رحب السلطان محمد الثاني بهذا التحالف؛ لأن الأمير حسن الطويل تدخل في شؤون إمارة قرمان من خلال إرساله قوات عسكرية بلغ عدادها نحو عشرين ألف مقاتل، وجعل على قيادتها ابن أخيه يوسفجه وتمكنت تلك القوات من تخريب مدينة توقات والسيطرة على قيصرية وإجبار القوات العثمانية التي كانت تحت قيادة الأمير مصطفى بن السلطان محمد الثاني على التراجع أمامها.[4]

وعلى ذلك جهز السلطان محمد الثاني حملة عسكرية فاشتبكت مع قوات حسن الطويل، وخليفة الأمير بير أحمد في موقعة أفلاطون نباري قرب مدينة باي شهر وأسرت يوسفجه ابن أخ الأمير حسن الطويل.[5]

وبالرغم من الخسارة التي منيه بها الأمير حسن الطويل أمام القوات العثمانية قرر فتح جبهة أخرى مع المماليك بهدف الزحف إلى بلاد الشام الخاضعة لهم،[6] وعليه عدّ كلٌّ من المماليك والعثمانيين حسن الطويل خطراً عليهم. ومن ثَمَّ فإن محاولة الأمير حسن الطويل كسب ود المماليك من أجل استخدام أراضيهم للوصول إلى البحر المتوسط والحصول على معونة الأوربيين[7] لكن السلطان المملوكي كان على علم بنواياه التوسعية خصوصاً عندما طلب الحصول على إذن لكسوة الكعبة وذلك حتى يظهر للعالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها في صورة حامي الحرمين الشريفين والمدافع عن الحجاز وأراضيه الطيبة.[8]

---

(1) جاسم محمد: العلاقات المملوكية العثمانية خلال الفترة 1299-1517، ص346.

(2) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1789، ص49.

(3) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص66.

(4) Uzunçarşılı, Ismail Hakki, Osmanli Tarihi, S93

(5) عبد الرحمن شرف: تاريخ دولت عثمانلي، ص172-173.

(6) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص76.

(7) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1789، ص50.

(8) ابن اياس: بدائع الزهور، ص54.

وفي عام 1473م عبر الأمير حسن الطويل الفرات واستولى على كختا وكركر، وأرسل فرقة عسكرية بقيادة ابنه أوغرلو محمد نحو الرها فاستولى على البيرة وبعث برسالة مكتوبة بماء الذهب إلى أمير دي القادر (ألبستان) شاه بداق بأن يسلم القلاع الموجود في إمارته وأن يقدم الطاعة له ثم وجه رسالة إلى نائب دمشق تتضمن التهديد والوعيد وكتب في صدر المكاتبة "**يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**" فغضب السلطان بهذا الخبر،[1] فجهز جيشاً وجعل على قيادته الأمير يشبك الدوادار لقتال الأمير حسن الطويل، وقبل وصول الأمير يشبك الدوادار إلى حلب أرسل فرقة من جيشه إلى البيرة لقتال حسن الطويل، لكن بلغه أن حالهم تلاشى إلى الفرار وأن حسن الطويل أرسل يكاتب الإفرنج على قتال المسلمين.[2]

وعندما علم السلطان محمد الثاني بسير الجيش المملوكي بقيادة الأمير يشبك الدوادار نحو شمال العراق عام 1473م لمحاربة الأمير حسن الطويل، بعث رسوله إلى المعسكر المملوكي يعرض استعداده للاشتراك في قتال الأمير حسن الطويل،[3] وأكرم الأمير يشبك رسل السلطان محمد وأرسل معهم القاضي ابن اجا حاملاً معه هدية، ومكاتبة تتضمن ضرورة التعاون بينهما،[4] ثم حضر إلى المعسكر الأمير يشبك رسول من عند السلطان محمد الثاني ومعه مكاتبة من حسن الطويل إلى ملوك الافرنج بأن يمشوا على ابن عثمان وسلطان مصر من البحر المتوسط وهو يمشي عليهم من جهة البر،[5] وعندما تأكد السلطان قايتباي بنوايا الأمير حسن طويل ورغبة الأمير بإزاحته من عرش السلطنة، أرسل وفداً إلى السلطان محمد الثاني من أجل بحث تفاصيل التعاون المملوكي العثماني ضد الأمير حسن الطويل.[6] واستجاب السلطان محمد الثاني لدعوة السلطان المملوكي فتحسنت العلاقات بينهما ضد عدوهم المشترك الأمير حسن الطويل الذي ازداد نفوذه في الأناضول، وخصوصاً عندما دعم الحركة الصفوية في أذربيجان واستخدامها كأداة ضد العثمانيين، الذين خشيوا بدورهم من تسرب الحركة الصفوية إلى صفوف الجيش الانكشاري،[7] ووفقاً لذلك جهز السلطان محمد الثاني جيشاً قوامه مائة ألف مقاتل لمحاربة الأمير

---

(1) ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الاتراك مع رحلة الأمير يشبك من مهدي الدوادار، صنعنه محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1986، ص164.

(2) ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك من مهدي الدوادار، ص166.

(3) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص77.

(4) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص78.

(5) ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الاتراك مع رحلة الأمير يشبك من مهدي الدوادار، ص167.

(6) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص78.

(7) عماد الجواهري: صراع القوى السياسية في المشرق العربي من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني، دار الكتب للطباعة، الموصل، 1990، ص50.

حسن لأنه لم يرَ استقراراً ولا استمراراً لوجود الدولة العثمانية في الأناضول ما دام الأمير حسن الطويل موجود بها، فأخذ على عاتقه خوض حرب مصيرية ضد هذا الأمير الطموح وأطماعه في الأناضول، وهذه الحرب ستقرر من سيكون سيد الأناضول. والتقى في سهول تراجان مع جيش الأمير حسن الطويل البالغ عدده نحو ثمانين ألف مقاتل عام 1473م في معركة (أوتلق بالي). وانتهت المعركة بنصر عثماني ساحق على أثرها ترك الأمير حسن الطويل معركة ناجياً بنفسه.[1]

ونتيجة هذه الهزيمة التي مني بها الأمير حسن الطويل ووفاته عام 1478[2] تبددت مخاوف العثمانيين من تحالف إمارة الآق قوينلو مع الصفويين، بل على العكس فقد بدت الرغبة في عهد ابنه بعقوب بن أوزون حسن بفتح صفحة جديدة من العلاقات الايجابية كخطوة منطقية في ضوء التحركات المملوكية في جنوب الأناضول والأقاليم الغربية لإمارة الآق قوينلو، والتي جاءت ردَّ فعل على قيام السلطان محمد الثاني بالتدخل في الشؤون الداخلية لإمارة دلغادر المشمولة بالحماية المملوكية.[3] وهذا أدى بدوره إلى تفاقم العلاقات المملوكية العثمانية ووضعها على المحك في انتظار من يكون سيد المنطقة المتضمنة الأجزاء الغربية والجنوبية الغربية من آسيا الصغرى (الأناضول).

وبعد أن تحدثنا عن قيام الإمارات التركمانية ننتقل إلى فقرة الصراع على النفوذ بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية في إمارة دلغادر.

ثانياً: الصراع على النفوذ في إمارة ذي الغادر

شكلت مناطق الأناضول الشرقية والمناطق المتاخمة لبلاد الشام شمالاً تهديداً دائماً لقوافل التجارة القادمة من الشرق إلى الدولة العثمانية من جهة، ومنافذ مؤدية إلى الأناضول من جهة ثانية، ولذا وجب على بني عثمان إتمام سيطرتهم على تلك المناطق.

وبما أن تلك المناطق خاضعة للنفوذ المملوكي ولها أهمية خاصة، كونها تؤمن سلامة الأراضي الواقعة شمالي بلاد الشام، فضلاً عن اعتماد المماليك عليها في شؤون الأمن والدفاع عن حدود السلطنة من الناحية الشمالية، ومن ثَمَّ فإن أهمية هذه المناطق لكلا الدولتين المملوكية والعثمانية، وسعى كلٌّ منهم لإتمام سيطرته ونفوذه عليها تاميناً لسلامة أراضيه وإبعادها عن الخطر الذي يهددها من جيرانه، وهذا أدى في نهاية المطاف إلى تصارع الطرفين المملوكي والعثماني على النفوذ في الإمارات التي تضمها تلك المناطق على الحدود،[4] ومن هذه الإمارات إمارة دلغادر، حيث سعت كل من السلطنة المملوكية

---

[1] علي خليل أحمد: سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان 1362-1487، ص67.

[2] رضا شعباني: المنتخب من تاريخ إيران، ص318.

[3] عبد الفتاح عاشور: العصر المملوكي في مصر وبلاد الشام، مكتبة النهضة المصرية، 1965، ص270.

[4] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة، ص72.

والدولة العثمانية إلى تعيين أمراء موالين لها، وهذا ما جعل العلاقات تسوء بين الدولتين، وتؤدي في نهاية المطاف إلى اندلاع الحرب بينهما.

ولمعرفة الصراع الذي حصل بين الدولتين المملوكية والعثمانية على النفوذ في إمارة دلغادر وجب معرفة العلاقات بين إمارة دلغادر والسلطنة المملوكية من جهة، وعلاقة أمراء دلغادر مع السلطنة العثمانية من جهة أخرى.

1- العلاقات بين إمارة دلغادر والسلطنة المملوكية:

بدأت العلاقات بين إمارة دلغادر والسلطنة المملوكية في وقت مبكر، إذا استطاع الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر من كسب ثقة السلطان المملوكي محمد بن قلاوون (1293- 1340م)، وعلى ذلك اعترفت به السلطنة المملوكية قائداً على ألبستان، فأعلن الأمير زين الدين قراجا تبعيته للسلطنة المملوكية.[1] وعندما سيطر الأمير زين الدين قراجا على قلعة درنده دعا للسلطان المملوكي فيها، فأرسل السلطان محمد بن قلاوون إلى الأمير زين الدين قراجا بتشريفه وشكره وأثنى عليه،[2] ويفسر ذلك اهتمام السياسة العسكرية المملوكية بهذه الإمارة (دلغادر)، وعدّها خطاً دفاعياً داخلياً في وجه الدولة العثمانية المتنامية، ولذا طلب من الأمير زين الدين قراجا حماية الدروب* على طول ثغور الجزيرة بهدف تحقيق الأمن، والدفاع عن حدود السلطنة المملوكية الداخلية أما حدودها الخارجية فقد أوكلت إلى إمارة قرمان فحدودها تقع بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية.[3]

وفي عام 1340م تم القبض على نائب السلطنة المملوكية في الشام بدعوى تخطيطه للخروج عن طاعة السلطنة، وعند إعدامه من قبل السلطنة في العام نفسه أعلن الأمير زين الدين قراجا الخروج عن طاعة السلطنة المملوكية عام1340م بسبب إعدام نائب الشام، وقيام النائب الجديد بقبض ومصادرة لكل من كانت له صلة بالنائب القديم الذي تربطه بالأمير زين الدين قراجا أعلى درجات الوفاق والاتفاق.[4]

---

[1] محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص275.

[2] ابن المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص252.

* الدروب: هي الحصون المنيعة التي تحيط بالمنطقة الواقعة بين حلب وأنطاكية وقصبتها أطلق عليها في العصر الأموي الدروب وفي العصر العباسي اسم العواصم. انظر: ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك من مهدي الدوادار، ص20.

[3] عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة، بيروت، 1965، ص275.

[4] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص259.

وعندما علم نائب حلب يلبغا اليحياوي* بخروج الأمير زين الدين قراجا عن طاعة السلطنة بعث رسالة إلى السلطان كجك بن الناصر محمد (1341- 1345م) * يخبره بخروج ابن دلغادر عن الطاعة، وأنه جمع جموعاً كثيرة من التركمان واتفق مع ملك الروم للهجوم على حلب، فطلب نائب حلب نجدة عسكرية من مصر لملاقاة ابن دلغادر على الفور بعد وصول الرسالة إلى دار السلطنة، وطلب السلطان كجك بن الناصر محمد من نائب الشام بنجدة نائب حلب، وعندما التقى الجيش المملوكي بجيش دلغادر هزم الأمير زين الدين قراجا الجيش المملوكي، فعاد مكللاً بالنصر إلى العاصمة ألبستان.[1]

وعندما تولى السلطان أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون*عرش السلطنة المملوكية عام (1341 – 1342م) جرى الصلح بين السلطنة والأمير زين الدين قراجا وعادت الأمور كما كانت في السابق فذهب الأمير زين الدين قراجا إلى مصر للقيام بتهنئة السلطان أحمد بجلوسه على عرش السلطنة "فأنعم السلطان بإنعامات كثيرة، وكتب له بالآمرية على التركمان في نيابة الابلستين".[2]

وكان الأمير زين الدين قراجا متقلباً بالولاء للسلطنة حيث ورد إلى السلطنة خبر بخروج الأمير زين الدين عن طاعة السلطنة عام 1343م وهذا بدوره دفع نائب حلب يلبغا اليحياوي لقتاله، وفي نهاية المطاف تغلب ابن دلغادر على الجيش المملوكي، وقد وصف أبو الفداء المعركة بقوله: **"وقتل بالعسكر وأسر وجرح وما نالوا منه طائلاً فكبر قدره بذلك، واشتهر اسمه وعظم على الناس شره".**[3]

وعندما استلم السلطان اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون 1342 – 1345* عرش السلطنة المملوكية أخبر بما فعله نائب حلب يلبغا اليحياوي بالأمير زين الدين قراجا، فكاتبه منكراً ما حدث منه،

---

* يلبغا اليحياوي: نائب السلطة في حلب يكره ابن دلغادر كراهية شديدة حاول عدة مرات بث الفتنة بين ابن دلغادر وأمرائه، وبعد مقتله على يد دلغادر استطاع الأمير أرقطاي نائب حلب الجديدة إعادة بن دلغادر إلى طاعة السلطنة انظر المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص16.

* كجك بن الناصر محمد (1341- 1345م): بويع بالحكم بعد خلع أخيه أبي بكر بن الناصر محمد، لكن الحاكم الفعلي هو الأتابك قوصون فاضطربت أحوال السلطنة فرغب أمراء الشام أن يتولى أخوه أحمد الحكم، فتم القبض على قوسون وخلع كجك بعد مرور شهور على حكمه بالعام نفسه. انظر: عمار النهار: تاريخ المماليك، ص62.

[1] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص335 -347.

* أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون (1341- 1342م): تولى الحكم بعد أخيه كجك أقدم في بداية حكمه على قتل سبعة من الأمراء، وهذا أدى إلى نفور الرعية منه، فخلع وتم تعيين أخوه إسماعيل. انظر عمار النهار: تاريخ المماليك، ص62.

[2] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص 364.

[3] أبو الفداء (اسماعيل بن علي): المختصر في أخبار البشر، ت محمود أيوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج4، ص163.

* إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون (1342 – 1345م) تولى الحكم بعد عزل أخوه أحمد حيث قاتله حتى قبض عليه وقتله، عرف عنه حبه للعدل والخير والإحسان. انظر: عمار النهار: تاريخ المماليك، ص63.

ومعنفاً له على ما فعله،[1] فأصدر أمراً بخلعه عن نيابة حلب، وتعين الأمير أرقطاي* نائباً على حلب بدلاً عنه، وأدى الأخير دوراً هاماً في إعادة الأمير زين الدين بن قراجا إلى طاعة السلطان المملوكي فأرسل السلطان المملوكي أماناً إلى ابن دلغادر وأفرج عن حريمه اللاتي كن في حلب وأرسلهن إليه، وأقره على ألبستان.[2] وبعد دخول الأمير زين الدين بن قراجا في طاعة السلطان أنعم عليه ببعض الأراضي التي تتبع إدارياً لنيابة حلب.[3]

وفي عام 1345م تمكن الأمير زين الدين بن قراجا من الاستيلاء على إحدى قلاع سيس التي كانت بيد الأرمن، فسلم مفاتيحها للسلطان المملوكي، وعلى أثر ذلك تم تجهيز خلعة مع صاحب البريد للأمير زين الدين قراجا، وبما أن نائب الشام يكره الأمير زين الدين ويريد إقامة غيره والقبض عليه أخذ الخلعة ومنع من حملها إليه.[4] ونتج عن هذا خروج الأمير زين الدين قراجا عن طاعة السلطان، بالرغم من المسؤولية الملقاة على عاتقه لحماية المنطقة الحدودية للسلطنة المملوكية من جهة الشمال.

ولم يكتف الأمير زين قراجا بخروجه عن طاعة السلطان المملوكي بل أعلن العصيان والتحالف مع الثائرين على السلطان المملوكي صلاح الدين بن الناصر محمد (1351 – 1354) * وخصوصاً عندما أعلن نائب حلب بيغاروس عام 1352* عصيانه وخروجه عن طاعة السلطان وأعلن نفسه سلطاناً ولقب بالملك العادل، حيث آزره الأمير زين الدين قراجا عندما ذهب إلى حلب ومعه جمع كبير من التركمان ليعلن تأييده له.

---

[1] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص407.

* الأمير أرقطاي: عين نائباً على حلب عام 1344م بعد عزل يلبغا اليحياوي أدى دوراً هاماً في إعادة الأمير الدين بن قراجا إلى طاعة السلطان، فضلاً عن دوره في حل المشاكل التي افتعلها يلبغا اليحياوي بين الأمير زين الدين قراجا وأمرائه خصوصاً الأمير طرفوس. انظر: المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص16.

[2] أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج4، 163.

[3] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص418.

[4] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص27.

* صلاح الدين بن الناصر محمد (1351- 1354م) تولى عرش السلطنة بمساعدة الأمير طاز بعد خلع أخيه حسن فأصبح الأمير طاز صاحب السلطة المطلقة في شؤون الدولة، وهذا أزعج الأمراء فحاربوه فقمعهم السلطان بشدة، فثار نواب الشام عليه رغم قمعه لهم. ودبر الأمير شيخو العمري مؤامرة ضده فخلع، وتم إعادة الناصر حسن إلى العرش مرة ثانية. انظر عمار النهار: تاريخ المماليك، ص64.

* بيغاروس: هو من خاصكية السلطان محمد بن قلاوون تدرج بالمناصب فتولى في زمن السلطان حسن بن الناصر نيابة السلطنة ثم سجن، وبعد الإفراج عنه تم تعيينه نائباً على حلب فأعلن العصيان على السلطان صلاح الدين بن الناصر محمد. انظر: المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص188.

وبدأ السلطان صلاح الدين يعد العدة للقضاء على حركة الأمير بيغاروس، وعندما وصل دمشق أرسل جيشاً، وجعل على قيادته أمراء مماليك إلى حلب للقضاء على هذه الحركة، وعندما التقى جيش السلطان بالأمير بيغاروس وأنصاره هزم وفر إلى حليفه الأمير زين الدين قراجا، فأرسل أمراء الجيش المملوكي الرسل إلى الأمير زين الدين قراجا يطلبون منه القبض على بيغاروس وإرساله إلى حلب فرفض تنفيذ أوامر أمراء المماليك، وطلب منهم مرسوماً من السلطان المملوكي للقبض عليه وإرساله له.[1]\ وبالفعل أرسل السلطان المملوكي مرسوماً يقضي بإلقاء القبض عليه وإرساله إلى حلب، ففي عام 1353م احتال الأمير زين الدين قراجا على بيغاروس وأعوانه وتم إلقاء القبض عليه ومن ثم سلمه إلى نائب حلب الجديد سيف الدين أرغون الكاملي* الذي عين نائباً على حلب بعد هروب بيغاروس منها عام 1353م.[2]

إن كثرة التمردات وخروج الأمير زين الدين قراجا على السلطنة المملوكية جعل السلطان صلاح الدين يتحين فرصة للقضاء عليه، ففي البداية اتبع الحيلة عندما طلب من نائب حلب أرغون الكاملي اتباع الحيلة لإحضار الأمير زين الدين لكنه فشل بذلك، وعندئذ طلب السلطان منه الركوب إلى ابن دلغادر والقضاء عليه[3] وطلب من أمراء الشام مشاركة نائب حلب أرغون الكاملي في قتال ابن دلغادر.[4]

وقد جهز نائب حلب سيف الدين أرغون الكاملي جيشاً قوامه عشرة آلاف فارس فضلاً عن التركمان المعارضين للأمير زين الدين قراجا، فسار بهم نحو عاصمة الإمارة الدلغارية (ألبستان)، وبعد صراع عنيف بين الطرفين دخل الجيش المملوكي ألبستان فنهبها وهدم حصونها، فهرب الأمير زين الدين نحو الجبال، وأسروا خلقاً من بنيه وذويه وحريمه وأخذ الجيش متاعه والرقيق، لم يكتفوا بذلك بل طاردوه فهرب نحو بلاد الروم، وظل أرغون الكاملي يتبعه حتى ألقي القبض عليه، وأخذ إلى حلب وسجن، وبعد ذلك نقل إلى القاهرة فوصلها عام 1353م[5] ويذكر ابن اياس أنه "**أقيم بين يدي السلطان المملوكي حيث عددت ذنوبه ووبخه السلطان على ما فعل، ثم أمر بتسميره وطافوا به القاهرة وهو مسمر على**

---

[1] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص106-164.

* سيف الدين أرغون الكاملي: هو من مماليك الكامل شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، تدرج بالمناصب حتى صار من أمراء الألوف وولى نيابة حلب والشام، ثم سجن وبعد إخراجه من السجن نفي إلى القدس ومات فيها عام 1357م، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص233.

[2] ابن كثير: البداية والنهاية، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت، ج14، ص247.

[3] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص178.

[4] ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص286.

[5] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص181.

جمل".[1] وهذا دليل على غضب السلطان منه حيث سبب له المتاعب الكثيرة، ثم أدخل إلى السجن وبقي في السجن لمدة شهرين إلى أن أصدر السلطان أمراً بإعدامه تحت القلعة في العام نفسه.[2]

وبهذا الشكل تخلص السلطان المملوكي من الكابوس الذي أقلق السلطنة وسبب لها المتاعب على حدودها الشمالية. وقد عمد إلى طريقة إعدامه- تسميره والطوفان به ثم سجنه وإعدامه- حتى يكون عبرة لغيره من حكام الإمارات التركمانية إذا ما فكر أحدهم بالخروج عن طاعة السلطان المملوكي.

وقد شعر أولاد الأمير زين الدين قراجا بضعفهم أمام السلطان المملوكي بعد مقتل والدهم، فقدموا إلى القاهرة عام 1355م ومعهم هدايا كثيرة للسلطان حسن بن الناصر بن قلاوون (1354- 1391م) وعلى أثر ذلك تم تعيين الأمير خليل أكبر أولاد الأمير زين الدين قراجا حاكماً على إمارة دلغادر،[3] فاستمرت العلاقات بين الطرفين ودية وعلى وفاق أكثر من عشرين عاماً. ويذكر القرماني في عام 1378م أنه جرى تغيير في السياسة المملوكية تجاه الأمير خليل بن زين الدين قراجا، وخصوصاً عندما عين السلطان علي بن شعبان بن حسن (1377- 1381)* عام 1378م الأمير مبارك الطازي نائباً على ألبستان، وطلب منه أن يقاتل الأمير خليل، وبالفعل التقى الطرفان فانتصر الأمير خليل على الأمير مبارك الطازي وقتله.[4]

وبعد الانتصار الذي حققه الأمير خليل بن زين الدين قراجا تمادى في عدائه للمماليك، فأرسل السلطان المملوكي علي بن شعبان 1381م، بالرغم من المرض الذي يعاني منه، حملةً عسكرية اشترك فيها نواب الشام، واتجهت الحملة من حلب نحو ألبستان ففر جيش الأمير خليل وتحصن بالجبال فقتل الجيش المملوكي الكثير منهم، ودخل عاصمة دلغادر (ألبستان)، وعلى أثر ذلك عين السلطان المملوكي الأمير علاء الدين الطنبغا نائباً على ألبستان، وأمره بمطاردة أمراء دلغادر والقضاء عليهم.[5]

وبعد موت السلطان علي بن شعبان عام 1381م إثر مرض ألمَّ به ظهر الأمير برقوق فنجح بالقضاء على سلطنة الممالك البحرية، وأقام دعائم السلطنة المملوكية البحرية عام 1382م واستمر في

---

[1] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ص552.

[2] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر، ص64.

[3] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص221.

* السلطان علي بن شعبان بن حسن بن الناصر محمد (1377- 1381م) تولى عرش السلطانة بعد مقتل أبيه وعمره 7 سنوات انتشرت في عهده الفتن والحروب وسيطر على أمور الحكم الأتابكي أينبك البدري وبعد مقتله مرض السلطان ومات وفي عهده ظهر الأمير برقوق مؤسس دولة المماليك الجركسية. انظر عمار النهار: تاريخ المماليك، ص65.

[4] القرماني: أخبار الدول، ج3، ص100.

[5] القرماني: أخبار الدول، ج3، ص100.

الحكم حتى 1399م.[1] وعندما سمع أمير ألبستان علاء الدين الطنبغا لم يعلن الطاعة له فثار عليه،[2] واستولى على قلعة درندة وطلب المساعدة من نائب الشام لكن لم يؤيدوه على فعلته بل طلبوا منه العودة إلى طاعة السلطان ففر هارباً نحو بلاد المغول.[3]

فاستغل الأمير حليل بن زين الدين قراجا هذه الاضطرابات الحاصلة بالسلطنة المملوكية فقام بمهاجمة الأراضي التابعة لها درنده، مرعش وألبستان التي سيطروا عليها مؤخراً فأرسل السلطان برقوق جيشاً بقيادة نائب حلب يلبغا الناصري* لتأديب أمير دلغادر، وعندما علم أمير دلغادر (خليل بن زين الدين بن قراجا) بقدوم الحملة فر هارباً.[4]

وفي النهاية قرر السلطان برقوق القضاء على كبير الأسرة الدلغارية (الأمير خليل بن زين الدين قراجا بن دلغادر)؛ لأن هذه الإمارة سببت المتاعب للسلطنة بعصيانهم الدائم وثوراتهم المستمرة، وخروجهم عن طاعة السلطنة، وبما أن أمير خربوت تابع للسلطنة المملوكية استطاع السلطان برقوق استمالته فحرضه على قتله، ومن ثَمَّ كان من نتائج إطاعة أحد أخوة الأمير خليل لأمير خربوت قتله بالقرب من مدينة مرعش عام 1386م.[5]

وبعد مقتل الأمير خليل بن زين الدين قراجا، خلفه على حكم الإمارة الدلغارية أخوه الأمير سولي (1386- 1397م)[6] بمباركة مملوكية عندما عهد إليه السلطان برقوق نيابة ألبستان عام 1390م.[7] وبالرغم من ذلك انتهج الأمير سولي سياسة عدائية ضد السلطنة المملوكية، وهذا ما أدى إلى إصدار أمر من السلطان برقوق إلى أمراء الشام بالتوجه إليه وقتاله، وبالفعل التقوا معه ما بين

---

[1] عمار النهار: تاريخ المماليك، ص65-66.

[2] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج5، 138.

[3] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج11، ص229.

* يلبغا الناصري: نائب حلب أيام السلطان علي بن شعبان (1377- 1381م) وأيام استلام السلطان برقوق الحكم 1382 وقيام الدولة المملوكية الشركية شق عصا الطاعة وزحف إلى القاهرة مع أمراء الشام فنهبوها واختفى السلطان برقوق، وعندما استلم مرة ثانية 1390- 1399م قضى على كل الخارجين عليه في بلاد الشام وقتل يلبغا الناصري. انظر عمار النهار: تاريخ المماليك، ص66-67.

[4] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج5، 166.

[5] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج11، ص309 وأيضاً ابن اجا: العراك والعثمانيين الاتراك، ص25.

[6] محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص446.

[7] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج12، ص17.

مرعش وألبستان فانتصر عليهم وقتل عدداً كبيراً من الجيش المملوكي[1] وعلى رأسهم نائب حماه ونائب بهستا*.

وبعد هذا الانتصار الذي حققه على الجيش المملوكي تطلع الأمير سولي لإقامة علاقات مع الدولة العثمانية حتى تكون سنداً وعوناً له ضد الخطر المملوكي المتزايد، وهنا بدأت العلاقات بين الإمارة الدلغارية والسلطنة العثمانية.

2- العلاقات بين إمارة دلغادر والسلطنة العثمانية:

انتهج العثمانيون أساليب كثيرة [2] لضم الإمارات التركمانية في الأناضول، ومن هذه الأساليب: أسلوب المصاهرة مع أسرها الحاكمة، وعندما زوّج السلطان بيازيد الصاعقة (1389- 1402م) ابنه محمد من ابنة الأمير سولي عام 1397م[3] توطدت العلاقات بين السلطنة العثمانية وإمارة دلغادر، كما زوّج الأمير سولي ابنته الكبرى لأمير سيواس القاضي برهان الدين[4] بغية إيجاد تحالفات مع الإمارات المجاورة.

وبالطبع هذه التحالفات التي أجراها الأمير سولي بن زين الدين قراجا أزعجت السلطنة المملوكية وزاد من حنق السلطان برقوق محاصرة الأمير سولي لعنتاب المشمولة بحماية المماليك[5] وعلى ذلك دبر السلطان برقوق مؤامرة لقتل الأمير سولي من قبل غلمان أحد أقاربه المدعو علي بك عام 1397م قرب مرعش.[6] وقد تولى حكم الإمارة الدلغادرية بعد مقتل الأمير سولي عام 1397م ابن أخيه ناصر الدين محمد بن خليل (1397- 1442م) بدعم من العثمانيين[7] وبالرغم من ذلك اصطدم الأمير ناصر الدين محمد بن خليل بالعثمانيين، وخصوصاً عندما هاجم السلطان بيازيد عام 1399م إمارة دلغادر وسيطر على ملطية وبهستا[8] وألبستان ودرنده[9] مستغلاً وفاة السلطان الظاهر برقوق، وهنا صدق السلطان

---

[1] القرماني: أخبار الدول، ج3، ص100.

* بهستا: بلدة تركية تقع إلى الجنوب الغربي من ملاطيا على أحد روافد نهر الفرات ولها قلعة خراب تشرف عليها. انظر: ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، هامش رقم80- ص54.

[2] كالزواج من الأسر الحاكمة أو شراء أراضيهم أو منحهم بدلاً إقطاعات في البلقان. انظر: غيثاء نافع: العلاقات العثمانية -المملوكية (1464- 1517م)، ص45.

[3] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص73.

[4] ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص25.

[5] محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص446.

[6] قصة قتل الأمير سولي مذكورة بالتفصيل في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمؤلف المقريزي، ج5، ص417.

[7] القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج3، ص100.

[8] محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص447.

[9] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج12، ص179.

برقوق بكلامه عندما قال: "**إني لا أخاف من الكفار، فإن كل واحد يساعدني عليهم وإنما أخاف من بني عثماني**".[1] وبالطبع هذا الهجوم الذي قام به السلطان بيازيد، وضمه لأملاك تابعة للسلطنة المملوكية كان كافياً لتحذير المماليك من العثمانيين، وعند ظهور خطر تيمورلنك على المنطقة ألح السلطان بيازيد لتوحيد الجهود، وعقد التحالف مع المماليك لمجابهة الخطر لكن دون فائدة تذكر؛ لأن السلطان فرج بن برقوق وأمراءه لم ينسوا ما فعله السلطان بيازيد بالمناطق المشمولة بالحماية المملوكية.[2]

وعندما اجتاح تيمورلنك عام 1401م الأجزاء الشمالية لبلاد الشام تعرضت إمارة دلغادر في عهد ناصر الدين بن محمد للغزو، حيث خرّب ملطية وبهنسا واحتل ألبستان.[3]

ويقال: إن الأمير ناصر الدين محمد بن خليل استسلم له.[4] وبعد خروج تيمورلنك من المنطقة قرر الأمير ناصر الدين محمد بن خليل التعاون مع العثمانيين خلال توطيد صلاته مع السلطان محمد جلبي عندما ذهب إلى أنقرة عام 1412م، والتقى مع السلطان لينال تأييده ودعمه.[5] والأمير ناصر الدين محمد بن خليل بدوره ساعده على قتال أخيه موسى الطامع بالعرش، واشتبك في عدة معارك مع الأمراء المجاورين له من آل رمضان وقرمان،[6] لكن الذي زاد من حفيظة السلطنة المملوكية إزاء الإمارة الدلغادرية هو التقارب الحاصل بين أمرائها والعثمانيين من جهة،[7] واستمرار الأمير ناصر الدين محمد بن خليل في اتباع سياسته العدائية تجاه المماليك من جهة أخرى، وذلك من خلال مناصرة الخارجين والثائرين عليهم. ففي عهد السلطان المملوكي برسباي (1422- 1438م) تحسنت العلاقات العثمانية المملوكية بسبب الخطر الحاصل من شاه رخ ابن تيمورلنك الذي حل مكان أبيه بعد موته عام 1405[8] حيث أرسل السلطان مراد الثاني بعثة إلى القاهرة عام 1424م لتهنئة السلطان برسباي بجلوسه على عرش السلطنة مع هدية، فرد عليه السلطان برسباي بأحسن منها بما يناسب ومقام السلطنة المملوكية. واستمرت العلاقات الحسنة بين الطرفين حتى عام 1433م فقد حصل فتور في العلاقات للأسباب الآتية:

---

(1) القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج3، ص19.

(2) سبق الإشارة إلى هذا بفقرات سابقة ولم أتوسع بذلك خوفاً من التكرار (الباحثة).

(3) ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص27.

(4) محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص447.

(5) خليل ألدم: تاريخ الدول الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1996م، ج2، ص430.

(6) محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص447.

(7) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517م، ص56.

(8) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، القسم الثالث، ص1165.

1_استقبال السلطان المملوكي، عندما كان في حلب، أبناء أشقاء السلطان مراد، وهما سليمان وشاه زادة الهاربون، وعندما طالب بهما السلطان مراد رفض تسليمهما.[1]

2_القلق الذي انتاب السلطنة العثمانية جراء الدعم العسكري المملوكي لإبراهيم القرماني من أجل الاستيلاء على قيصرية التي كانت تابعة للأمير ناصر الدين محمد بن خليل،[2] وكرد فعل على ذلك، عندما علم الأمير ناصر الدين محمد بتمرد الأمير سيف الدين جانبك الصوفي* على السلطان برسباي عام 1435م، ناصره ورفض تسليمه للسلطنة المملوكية بدعم من السلطان مراد الثاني الذي قدم الملجأ للأمير سيف الدين جانبك الصوفي.[3]

وإزاء هذه التطورات جرد السلطان برسباي حملة عسكرية ضد الأمير ناصر الدين محمد بن خليل، وعندما علم الأخير بذلك أرسل ابنه فياض لإعلام السلطان المملوكي بأنه تابع له وأظهر ولاءه. لكن السلطان رفض الطلب وأودع ابن الأمير بالسجن[4] وجراء ذلك أراد الأمير ناصر الدين محمد مداراة السلطان، وعدم الاشتباك مع القوات المملوكية التي خرجت من حلب، فأرسل زوجته الحاجة خاتون، ومعها هدية للسلطان بغية الإفراج عن ابنها فياض، وعندما وصلت القاهرة استقبلت من قبل السلطان فأفرج عن ابنها وخلع على زوجها وأمر بتوليته على مرعش،[5] وعندما ذهبت أرسل معها شادي بك ومعه المال والخيل إلى الأمير ناصر الدين مقابل أن يسلمه سيف الدين جانبك الصوفي، ويرسله إلى القاهرة، وحين وصول زوجته خاتون ومعها ابنها فياض أخذ المال والخيل وخدع السلطان ورفض إعطاء الأمير المتمرد، فزوجه ابنته الأميرة نفيسة نكاية بالسلطان برسباي.[6]

وحين علم السلطان برسباي بخداع الأمير ناصر الدين محمد قرر السلطان إعداد حملة عسكرية لتأديبه فوقف إلى جانبه أمير قرمان ابراهيم طمعاً بمدينة قيصرية التي هي بيد الأمير ناصر الدين محمد

---

(1) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص58.

(2) ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج2، ص175.

* سيف الدين جانبك الصوفي: هو عبد الله الصوفي الظاهري من مماليك الظاهر برقوق أيام السلطان فرج بن برقوق ترقى حتى وصل إلى مرتبة أمير مائة ثم مقدم ألف حتى أصبح أتابك العسكر قبل موت السلطان ططر أوصاه بتدبير ملك ولده الصالح ناصر الدين محمد، لكنه لم يحسن التدبير فنفر منه الجميع فقبض عليه وأودع السجن ثم هرب إلى الشام ومنها إلى آسيا الصغرى، وأيام السلطان برسباي أعلن التمرد والعصيان عليه عام 1435م. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج15، ص211.

(3) ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج2، ص175.

(4) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج5، ص285.

(5) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج15، ص213.

(6) شمس الدين ابي الخير السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، القاهرة، 1896، ج2، ص225.

بن خليل.[1] وعندما أخذ الأمير القرماني مدينة قيصرية بمساعدة السلطان المملوكي برسباي استنجد الأمير ناصر الدين محمد بالسلطان العثماني مراد الثاني وعلى الفور جهز السلطان العثماني عسكراً لمحاصرة قيصرية وتسليمها إلى الأمير ناصر الدين محمد، ولما أخبر السلطان المملوكي بذلك كتب إلى أمراء الطاعة في الأناضول، وأمر نواب الشام بمساعدة الأمير ابراهيم القرماني،[2] وهذا أدى إلى توتر العلاقات العثمانية المملوكية بسبب السياسة التي اتبعها الأمير ناصر الدين محمد بن خليل وعدائه للدولة المملوكية.

وبالفعل توجهت القوات المملوكية من حلب عاصمة الإمارة الدلغادرية (ألبستان) وعند هروب الأمير ناصر الدين محمد قام أمراء الحملة المملوكية بنهب العاصمة وحرقها.[3] فأجبر الأمير ناصر الدين محمد على إلقاء القبض على الأمير سيف الدين جانبك الصوفي وإرسال رسالة إلى السلطان برسباي ليعلمه بذلك.[4]

إن إرسال الأمير سيف الدين جانبك الصوفي إلى القاهرة وإعدامه من قبل السلطان برسباي والتزام الأمير ناصر الدين محمد بطاعة السلطنة المملوكية بعد الهزيمة التي منيه بها، وعقد صلح بين مراد الثاني والأمير ابراهيم القرماني عام 1436م كل هذه العوامل ساعدت على استقرار الأوضاع في الأناضول وتهدئة التوتر الحاصل بين الدولة العثمانية والسلطنة المملوكية.[5]

وقد أراد الأمير ناصر الدين محمد توطيد العلاقات مع السلطنة المملوكية، ففي عام 1439م زار القاهرة وبالغ السلطان جقمق (1438- 1453م) وأنعم عليه في استمراره على نيابة ألبستان،[6] ولزيادة الارتباط بينهما طلب السلطان جقمق الزواج من ابنته نفسية التي كانت زوجة الأمير سيف الدين جانبك الصوفي، فوافق الأمير ناصر على ذلك وقدم السلطان ألف دينار وكثيراً من الهدايا مهراً لها.[7]

وبهذا الشكل توطدت العلاقات بين السلطنة المملوكية وإمارة دلغادر حتى وفاة الأمير ناصر الدين محمد بن خليل عام 1442م وعند تعين سليمان ابن ناصر الدين محمد خلفاً لأبيه على الإمارة (1443-

---

[1] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج15، ص61-62.

[2] السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، ج2، ص547.

[3] ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج15، ص61.

[4] شهاب الدين بن علي ابن حجر العسقلاني: أبناء الغمر بأنباء العمر في التاريخ، دار الكتب العلمية، 1986، ج8، ص343.

[5] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج15، ص88. السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، ج2، ص548.

[6] ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج15، ص377.

[7] ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج8، ص378.

1454م) استمرت العلاقات الطيبة مع السلطنة المملوكية وبالوقت نفسه سلك سياسة التقارب مع العثمانيين؛[1] لأنه أخذ على نفسه الإبقاء على صلات الصداقة مع العثمانيين[2] ولذا أرسل السلطان مراد الثاني إلى الأمير سليمان ناصر الدين محمد في طلب خمس بنات، وزوج أجملهن مكرمة خاتون لابنه الأمير محمد،[3] ومن ثَمَّ فإن السياسة التي اتبعها الأمير سليمان ناصر الدين حيال السلطنة المملوكية من جهة، والدولة العثمانية من جهة أخرى انعكست بدورها على إنهاء التوتر الحاصل بين الدولة العثمانية والسلطنة المملوكية.

ولما توفي الأمير سليمان ناصر الدين محمد عام 1454م خلفه ابنه الأمير أرسلان 1454-1464م على إمارة دلغادر حيث سلك سياسة المسالمة تجاه المماليك والعثمانيين على حد سواء بهدف كسب صداقتهما، ففي البداية تقرب من السلطان محمد وأنشأ علاقة معه، وهذا بدوره أزعج السلطان خشقدم كون الأمير أرسلان تابع للسلطنة المملوكية، ورغم تقديم التبرير للسلطان المملوكي بأن ما فعله كان مصانعة للسلطان العثماني، لكن السلطان خشقدم لم يغفر له عمله فتظاهر بقبول اعتذاره، وحرّض الأمير حسن الطويل زعيم إمارة الآق قوينلو للاستيلاء على خربوت التابعة للأمير أرسلان بن سليمان ناصر الدين محمد، وبالوقت نفسه طلب من الأخير مقاومة الأمير حسن الطويل الغاية من هذا التخلص من الاثنين معاً؛ لأنهما لا يثبتان على ولاء أو طاعة لأحد.[4] وعندما استولى الأمير حسن الطويل على خربوت لم يستطع الأمير أرسلان صده فقصد القاهرة لطلب العون من السلطان خشقدم، بينما كان يؤدي الصلاة في المسجد اغتاله فدائي عام 1465م،[5] ووجهت أصابع الاتهام إلى السلطان بأنه هو من أرسل الفدائي، وبالتآمر مع أخيه شاه بودتق المقرب منه،[6] فضلاً عن اعتقاد السلطان خشقدم بأن أرسلان قد سلم خربوت إلى الأمير حسن الطويل نكاية به،[7] وعلى أثر ذلك بدأ التنافس والصراع بين العثمانيين والمماليك حول إمارة دلغادر من خلال دعم أمير دلغادري على آخر. فنشأ صراع بين الأخوة للسيطرة على الإمارة.

---

(1) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، 22ج، المكتب الإسلامي، 2000، ج8، ص56.

(2) ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص27.

(3) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص73.

(4) سالم الرشيدي: محمد الفاتح، ب.ن، بيروت، 1969، ص304-305.

(5) ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص27.

(6) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1789، ص45.

(7) القرماني: أخبار الدول، ج3، ص101.

3- التنافس والصراع العثماني- المملوكي على النفوذ في إمارة دلغادر:

تبلوّر التنافس والصراع بين العثمانيين والمماليك، وظهر للعيان عندما عين السلطان المملوكي خشقدم الأمير شاه بوداق نائباً للسلطنة على ألبستان خلفاً لأخيه الأمير أرسلان بن سليمان ناصر الدين محمد، لكن هذا التعين لقي معارضة من أخيه شاه سوار الذي أزعجه أن يقتل أخوه بتآمر من السلطان خشقدم وأخوه المعين (شاه بوداق)، فالتجأ الأمير شاه سوار إلى السلطان محمد الثاني لكي يتوسط له لدى السلطان المملوكي من أجل تعيينه نائباً على ألبستان خلفاً لأخيه المغدور. وبالفعل أرسل السلطان محمد الثاني رسالة إلى السلطان خشقدم رسالة يطلب منه النيابة للأمير شاه سوار فلم يستجب السلطان خشقدم لطلب السلطان محمد الثاني، وعلى ذلك أرسل السلطان محمد الثاني قوة عسكرية لمساعدة شاه سوار الذي نجح في الاستيلاء على ألبستان، فهرب أخوه شاه بوداق إلى مرعش،[1] فحكم الأمير شاه بوداق في مرعش، وشاه سوار في ألبستان لكن أفراد الأسرة الدلغادرية رفضوا حكم الأمير شاه بوداق في مرعش بسبب تآمره مع السلطان خشقدم على قتل الأمير أرسلان. فهرب إلى مصر عام 1466م فسيطر الأمير شاه سوار على جميع ممتلكات الأمارة الدلغارية،[2] فالتف حوله التركمان. وعندئذ أعلن شاه سوار ولاءه للعثمانيين بوصفهم أصهاره. ففي عام 1467م جاهر بعدائه للمماليك وأوقف الخطبة باسم السلطان المملوكي، كما ضرب النقود باسمه بدل السلطان، وبدأ يغير على ممتلكات الدلغادرية معتمداً في ذلك على تأييد السلطان محمد الثاني زوج أخته مكرمة خاتون.[3] إلا أن الحملات التي سيرها السلطان خشقدم لم تفلح في التغلب على الأمير شاه سوار بسبب مساندة السلطان محمد الثاني ومؤازرته له.

وعقب وفاة خشقدم 1468م ازداد نفوذه مستغلاً اضطراب الأحوال السياسية في مصر،[4] فقويت شوكته بعد التفاف عسكر من التركمان حوله وأعلن العصيان والتمرد وخلع الطاعة،[5] وعند استلام الأشرف قايتباي عرش السلطنة المملوكية (1468- 1496)* سير إليه عدة حملات فهزمها الأمير شاه سوار جميعها حتى دب الفزع في الشام ومصر في قلوب الناس لمجرد سماع اسمه.

---

[1] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج2، ص436.

[2] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الاتراك، ص27- 28.

[3] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج2، ص78.

[4] جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، مطبعة السعادة، 1952م، ص441.

[5] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517م، ص70.

* واجه السلطان قايتباي في بداية حكمه عقبات كثيرة منها: فرار السلطان السابق تمربغا من السجن، وخلو الخزينة من المال، وواجه تمرد أمير دلغادر شاه سوار لكنه قضى عليه، ثم بدأ نزاع وصراع مع السلطنة العثمانية حول إمارة دلغادر وانتصر عليهم. وأنشأ العديد من المساجد والمدارس وأصلح الجامع الأزهر والحرم النبوي الشريف. انظر: عمار النهار: تاريخ المماليك، ص72- 73.

وأمام تمادي الأمير شاه سوار في الاستخفاف بدولة المماليك والعبث بحدودها الشمالية، شعر السلطان قايتباي أنه لا طاقة له بحرب الأمير شاه سوار مادام يتلقى مساعدة ومساندة من السلطان محمد الثاني، ولذا بادر السلطان المملوكي إلى إرسال وفد إلى استنبول بهدف توثيق العلاقات مع العثمانيين والتسليم بمطالبهم بما يخص إمارة قرمان حتى يتفرغ لمحاربة الأمير شاه سوار،[1] وبسبب تعاظم قوة الأمير أوزون حسن زعيم الآق قوينلو،[2] رحب العثمانيون بهذا التعاون، وهذا أتاح بدوره من إرسال حملة عسكرية أعد لها السلطان قايتباي خيرة جنده وقادته وعلى رأسهم الأمير يشبك الدوادر ومنحه سلطات واسعة.[3] وفي عام 1471م اشتبك مع قوات الأمير شاه سوار في عينتاب وانتصر عليه، وحاصر قلعتها وبعد دخولها تابع الأمير يشبك الدوادار مهمته فاسترد درنده ودخل ألبستان دون مقاومة، وعندما تحصن الأمير شاه سوار في حصن زمنطو (ضمانتي)* تمت محاصرتها فأجبر الأمير شاه سوار على الاستسلام وأرسل إلى القاهرة وهناك أمر السلطان قايتباي بصلبه على باب زويله،[4] لكن مقتل الأمير شاه سوار كان له أثر بالغ لدى العثمانيين كونه تابع للسلطان محمد الثاني، والدليل على ذلك ما كان بعد مصرع الأمير شاه سوار حيث أرسل السلطان قايتباي أخاه شاه بوداق مكانه، فقام السلطان محمد الثاني بدعم أخيه علي دولات ثم زوج ابنه الأمير بيازيد الثاني من ابنة الأمير علي دولت (عائشة خاتون) فأنجبت له نسخة طبق الأصل من شاه سوار وهو السلطان سليم الأول.[5]

وبعد صراع بين الأمير علي دولت المدعوم من قبل السلطان محمد الثاني، والأمير شاه بوداق المدعوم من قبل السلطان المملوكي قايتباي تغلب في نهاية علي دولت عليه، وسيطر على الإمارة الدلغادرية فاتجه الأمير شاه بوداق نحو العثمانيين للتعاون معهم ضد أخيه علي دولت لكنه لم يفلح، وعندما علم المماليك بذلك تم إلقاء القبض عليه 1480م وإرساله إلى القاهرة ثم سجنه.[6] أما بالنسبة

---

[1] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص73.

[2] سبقت الإشارة إلى تعاظمم قوة الأمير أوزون حسن عند دراسة إمارة الآق قوينلو.

[3] وضع الشيخ محمد بن أجا الحلبي: أمام يشبك ورسوله إلى حسن الطويل وشاه سواراً مؤلفاً خاصاً عنه يتناول حملة الأمير يشبك الدوادر وقضائه على الأمير شاه سوار، حققه ونشره الشيخ محمد دهمان في كتاب (العراك) تم استخدامه ونشر عام 1986 بدمشق.

* زمنطو: تم ذكرها بالمصادر باسم ضمانتي لنهر يجري في قضاء فكه ولعل هذه القلعة مبنية على طرف النهر، فسميت باسمه، وبما أن الضاد تقرأ زاياً في اللغة التركية فتقرأ زمانتي (زمانجي). ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، هامش 82، ص55.

[4] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص74-75.

[5] لين بول ستانلي: الدول الإسلامية، ج2، ص445.

[6] شمس الدين بن خمارويه ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، دار الكتب العلمية بيروت، 1998، ج1، ص30.

للأمير علي دولت طلب من نائب الشام الأمير أزبك الصغير أن يتوسط بينه وبين السلطان قايتباي في طلب الصلح مقابل تسليم عدّة قلاع في شمال بلاد الشام فوافق السلطان على طلبه، وخلع عليه واعترف به حاكماً على إمارة دلغادر.[1]

وبما أن الأمير علي دولت* لم يثبت على ولائه للمماليك، إذ سرعان ما انقلب عليهم وعاد إلى التعاون مع العثمانيين، وهاجم ملطية التابعة للسلطنة المملوكية[2] والدولة العثمانية وخصوصاً عندما توفي السلطان محمد الثاني وحدث صراع بين الأخوة (بيازيد وجم) حول استلام عرش السلطنة، وهذا ما سوف نتكلم عنه في الفصل القادم.

لكن في نهاية الفصل يمكن القول: إن النزعة القبلية التي سادت إمارة دلغادر فضلاً عن موقع الإمارة الاستراتيجي بين المماليك والعثمانيين، والذي تمثل تنافسهم وصراعهم في الإمارة على دعم أمير ضد آخر نتج عن ذلك تأزم في العلاقات بين الأخوة داخل الأسرة الدلغادرية، فانعكس سلباً في توتر العلاقات بين المماليك والعثمانيين، ومن ثَمَّ كلما توترت العلاقات بين الدولتين العثمانية والمملوكية تأثرت إمارة دلغادر بهذا التوتر.

وعليه نجح أمراء دلغادر في جعل العلاقة بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية في غاية التوتر والتنافس والصراع ويتخللها في كثير من الأحيان الروح العدائية والصدام العسكري؛ لأن أمراء دلغادر تكالبوا فيما بينهم للسيطرة على مقاليد الحكم في الإمارة.

---

[1] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517م، ص80.

* كثير من تذكر علاء الدولة بينما المصدر المعاصر للحدث يذكر علي دولت. انظر أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص28.

[2] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج2، ص202.

الفصل الثاني:

تأزم العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية وثم انفراجها 1481-1500م

الفصل الثاني

أولاً: تأزم العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية 1381-1491م

1. السلطان بيازيد الثاني والصراع مع أخيه جم وموقف السلطنة المملوكية.
2. المواجهة العثمانية- المملوكية المباشرة 1381-1485م.
3. مرحلة توقيع الصلح الأول بين الطرفين عام 1486-1488م.
4. تجدد المعارك بين الطرفين عام 1488- 1491م.

ثانياً: تحسن العلاقات بين السلطنة المملوكية وإتمام الصلح والسلام بينهما من عام 1491-1500م.

الفصل الثاني: تأزم العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية ثم انفراجها 1481- 1500م

أولاً: تأزم العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية 1481-1491م:

تأزمت العلاقات العثمانية- المملوكية أواخر حكم السلطان محمد الفاتح (1451- 1481م) بسبب المنافسة التي اشتدت بينه وبين السلطان قايتباي على التدخل في شؤون الإمارة الدلغادرية، وكان الوقف ينذر بالخطر وأصبح الصدام بينهما وشيكاً،[1] وخصوصاً عندما نصّب السلطان محمد الفاتح الأمير علي دولت حاكماً على إمارة دلغادر، الأمر الذي مكن العثمانيين من ممارسة النفوذ على الإمارة، وهذا بدوره أثار استياء الدولة المملوكية.[2] ومن المشاكل التي عكرت صفو العلاقات بين الطرفين وتدهورها مسألة طرق مياه الحجاز، وخصوصاً الأحواض والبرك وآبار المياه الواقعة على طريق الحج، والتي يستقي منها الحجاج قد تعرضت للخراب والدمار، وعند إرسال السلطان محمد الفاتح رسولاً إلى السلطان قايتباي يقترح عليه تعمير وإصلاح ما خرّب من الأماكن ورصد الأوقاف لها، فرفض السلطان المملوكي الاقتراح وعدّه إساءة للسلطنة وتدخل في شؤونها الداخلية.[3]

وفي عام 1476م قام السلطان قايتباي برحلة مفاجئة إلى الشام زار فيها نيابات الشام كلها، ووصل نهر الفرات لتفقد أحوال المناطق المشمولة بحماية السلطنة، وخصوصاً بعد إعلان الأمير علي دولت عداءَه للسلطان وارتماءَه بأحضان السلطان محمد الفاتح بعد مصرع أخيه شاه سوار، وقد وضع كتاباً لهذه المرحلة تحت اسم "**القول المستطرف في رحلة مولانا الملك الأشرف**".[4]

وعليه يمكن القول: إن إعدام شاه سوار المتحالف مع الدولة العثمانية كان له دور في تأزم العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية؛ لأن قتله كان له الأثر البالغ لدى العثمانيين.[5]

وأكد ذالك ابن إياس بقوله: "**إن أصل هذا الصراع كان تعصب ابن عثمان لعلي دولت، وكان ابن عثمان متحاملاً على سلطان مصر في الباطن بسبب أشياء لم تظهر للناس**".[6] ووفقاً للعوامل السابقة الذكر والتي أدت إلى تأزم العلاقات بين الطرفين جهّز السلطان محمد الفاتح حملة عسكرية عام 1481م للسير بها إلى مصر بقصد السيطرة عليها وإنهاء الوجود المملوكي، إلا أن وفاته حالت دون تحقيق

---

[1] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومقدماته، ص45.

[2] Holt, P.M Egypt And The Fertile Crescent 1516 -1922, Apolitical History, London, 1966, P28.

[3] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2013، ص58.

[4] مخطوط في دار الكتب بالقاهرة رقمه 210 وقد وضعه الشيخ محمد الطيبي.

[5] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص28.

[6] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص211.

أمنيته. وبالرغم من وفاة السلطان محمد استمر التوتر بين الطرفين بسبب موقف السلطنة المملوكية من الصراع الدائر بين بيازيد وجم على عرش الدولة العثمانية.[1]

ومن ثَمَّ فإن تدخل السلطنة المملوكية في الصراعات الداخلية التي شهدتها الدولة العثمانية إثر وفاة السلطان محمد الفاتح عام 1481م، وخصوصاً عندما تولى بيازيد الحكم ومنازعة أخيه الأصغر جم له عندما قام بثورته بقصد تقسيم الدولة بينهما، إذ لها دور هامٌ في تأزم العلاقات وتوترها بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية، وعلى ذلك مرت العلاقات المملوكية – العثمانية في عهد السلطان بيازيد الثاني والسلطان قايتباي في خمس مراحل مهمة ومميزة في تاريخ العلاقات بين الدولتين ويمكن إجمالها بالآتي:

1) مرحلة محاربة السلطنة المملوكية عن طريق الأمير علي دولت الذي كان يحارب الدولة نيابة عن السلطان بيازيد زوج ابنته عائشة خاتون.
2) مرحلة المواجهة العثمانية – المملوكية المباشرة بدءاً من عام 1484م.
3) مرحلة توقيع الصلح الأول بين الطرفين عام 1486م.
4) مرحلة تجدد المعارك عام 1488م أما المرحلة الأخيرة فقد تحسنت العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية من عام 1491م- حتى وفاة السلطان بيازيد الثاني عام 1512م وهي مرحلة التعاون والعلاقات الحسنة، وهذه المرحلة كما هو واضح دامت اثنتين وعشرين سنة، ومحت من الذاكرة الأحداث الدامية قبلها. وهذا ما عبّر عنه مؤرخ مصر المملوكي ابن إياس بقوله: **"لقد كان قامعاً للفرنج وفيه نفع عام للمسلمين".**[2] لكن نتوقف في المرحلة الأخيرة حتى عام 1500م وهي سنة استلام السلطان قانصوه الغوري عرش السلطنة المملوكية.

1- المرحلة الأولى:

السلطان بيازيد والصراع مع أخيه جم وموقف السلطنة المملوكية، فقد عانت السلطنة العثمانية بعد وفاة السلطان محمد الفاتح 1381م الحرب الأهلية ومآسيها بسبب العرش، حيث تلاشت ظاهرة التضحية التي شكلت العماد الرئيس للبيت العثماني، وتحول الحب إلى كراهية وبغضاء، فهذا سلطان يأمر بقتل ابنه لمجرد وشاية من زوجته، وذاك يعدم أخوته وأولادهم ليكون في مأمن من أي مزاحم له على العرش.[3]

وتمثلت الحرب الأهلية بين الأمير بيازيد الثاني وأخيه الأصغر الأمير جم، حيث كان الأول حاكماً على أماسيا* أما الثاني فكان حاكماً على قرمان*.

---

[1] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، ص58.

[2] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص270.

[3] محمود علي عامر، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، دار الرحاب، دمشق، ط1، 2001، ص30-31.

* أماسيا: مدينة في آسيا الصغرى من أعمال سيواس. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص351.

ومن الجدير بالذكر أن الأمير جم منذ أن كان حاكماً على قسطموني (شمال شرق الأناضول) إبّان حكم أبيه السلطان محمد الثاني كانت تحدثه نفسه بالسلطنة متجاوزاً أخيه الأكبر الأمير بيازيد الثاني، حيث استغل فترة غياب أبيه أثناء حربه مع أوزون حسن وحين انقطعت فترةً أخبارُ محمد الثاني عن الأمير جم أقنعه مستشاره عام 1473م بالبيعة له مكان أبيه، وعندما عاد السلطان محمد الثاني قتل مستشاري جم. لكن الأمير استمر بالعمل في هذا الاتجاه، وعندما عين الأمير جم حاكماً على قرمان عام 1474م كان الصدر الأعظم محمد باشا القرماني (1476- 1481م) * مقرباً إلى الأمير جم كثيراً، في حين أن الأمير بيازيد الثاني كان يعارض سياسة القرماني وبخاصةٍ إجراءاته المالية.[1]

وعندما توفي السلطان محمد الثاني في أيار 1481* أخفى الصدر الأعظم محمد القرماني خبر وفاته وأرسل إلى الأمير جم يطالبه بالحضور إلى استنبول لاستلام العرش قبل قدوم أخيه الأكبر بيازيد الثاني، لكن خططه كشفت وعلمت الإنكشارية بها، فهاجموا القلعة في منطقة الاسكدار وقتلوا الصدر الأعظم محمد القرماني بتحريض من إسحاق باشا* وعاثوا فيها فساداً (سلباً ونهباً) ونصّبوا ابن بيازيد قرقوط * نائباً عن أبيه لحين حضوره.[2] وعلم الأمير جم بالخبر متأخراً فلم يتمكن من المجيء

---

* تم التكلم عنها بالتفصيل في الفصل الأول.

* محمد باشا القرماني: هو أحد الصدور في عهد السلطان محمد الثاني، وترقى في المناصب حتى وصل إلى منصب الصدارة العظمى، ومن أهم أعماله إعداده قانون نامه. انظر: ايرينا بيتروسيان: الانكشاريون في الامبراطورية العثمانية، مركز جمعة الماجد للثقافة، دبي، 2006، ص187.

[1] عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516-1798م، ص46. أيضاً انظر: صلاح أحمد هريدي: دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار عين للدراسات والبحوث، الاسكندرية، ط1، 2004، ص43.

* مات السلطان محمد الثاني متأثراً بالسم الذي دسه له بصورة تدريجية العميل البندقي أحد أطبائه الخاصين ميسترو لاكوبو الذي ادعى أنه اهتدى إلى الإسلام وتسمى باسم يعقوب. للاستزادة انظر: يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص177.

* اسحاق باشا: من أصل يوناني من عناصر الدفشرمة، ثم ارتقى في المناصب، وحظي بمكانة عالية في عهد السلطان بيازيد الثاني، وتولى الصدارة العظمى مرتين، ولم تُعرف سنة وفاته. انظر: ايرينا بيتروسيان، الانكشاريون في الامبراطورية العثمانية، ص188.

* قرقوط: هو ابن السلطان بيازيد الثاني، ولد عام 1467م وتربى في قصر جده محمد الفاتح فوجد الرعاية العلمية الكافية التي أهلته لأن يكون عالماً وشاعراً وموسيقياً. اطلع على العلوم الإسلامية وأتقن العربية وورد اسمه بالكتب العربية المعاصرة للفترة (قرقد). انظر: أحمد فؤاد متولى: الفتح العثماني للشام ومقدماته، هامش، ص63.

[2] محمود عامر: الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، ص31. وأيضاً يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص185.

إلى استنبول،[1] والسبب في ذلك أن الرسول الذي أرسله الصدر الأعظم محمد القرماني إلى الأمير جم قُتلَ على يد اسحاق باشا قبل وصوله إلى الأمير جم.[2]

ووصل الأمير بيازيد الثاني إلى استنبول بعد تسعة أيام من وفاة أبيه فتم تنصيبه سلطاناً على عرش الدولة العثمانية وله من العمر آنذاك ثلاثون سنة.[3]

وبسبب ذلك كان موقف الأمير جم أن أعلن ثورته، ورفض مبايعة أخيه، لإدراكه بأن قانون قتل الأخوة الذي شرّعه والده سيطبق عليه أولاً،[4] وقد جهز على الفور جيشاً من الأناضول، والقرمان وبعض القبائل التركمانية القاطنة في جبال طوروس المكوّنة من الورسق والترغود[5] فسار بهم إلى بورصة ودخلها عنوّةً واستولى على المناطق المجاورة وخطب له على المنابر وعين الوزراء والقادة وضرب النقود باسمه فأصبح للدولة العثمانية حاكمين في آن واحد.[6]

يذكر بعض المؤرخين: "**بما أن السلطان بيازيد محباً للسلم وللعلوم الأدبية، أرسل رسالة إلى أخيه جم يعرض عليه الصلح، غير أن جم اشترط لإتمام الصلح بينهما تقسيم المملكة**"[7] بينما يذكر البعض الآخر أن الذي أرسل الوفد الأمير جم بعد سيطرته على بورصة وإعلان نفسه سلطاناً على المناطق المجاورة، وتكوَّن الوفد من سلجوق خاتون ابنه السلطان محمد جلبي ومولانا إياس وأحمد جلبي بن شكر الله لكي يعرضوا عليه اقتراحات بتقسيم السلطنة على أن يكون حاكماً على الأناضول، وبيازيد سلطاناً على الروميلي.[8] ومن خلال دراستي للأحداث أرجح الرأي الثاني لأن الأمير جم يعرض الصلح على أخيه من منطلق القوة بعد سيطرته على مناطق واسعة من الأناضول، وإعلان نفسه سلطاناً عليها، فرفض السلطان بيازيد اقتراح أخيه وسير جيشاً لملاقاته، وعند التقاء الجيشين استطاع جيش بيازيد إلحاق الهزيمة بجيش أخيه بالقرب من يني شهر عام 1481م فتفرق جيشه وفر الأمير جم بشق النفس مع وأمه ونساء بيته وولده إلى قونية، ومنها عبر جبال طوروس حتى وصل إلى طرسوس ثم أضنه الواقعة تحت

---

[1] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص185.

[2] ابراهيم أفندي: مصباح الساري ونزهة القاري، د. ت، بيروت، ط1، 1855، ص118.

[3] شرف خان البدليسي: شرفنامه في تاريخ الدولة العثمانية، ت: محمد علي العوني، دار الزمان، دمشق، 2006، ص134.

[4] أحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، ايتراك للنشر، القاهرة، ط1، 2002، ص167.

[5] غيئاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية – المملوكية 1464-1517، ص82.

[6] أحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، ص167، وأيضاً يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص185.

[7] محمود عامر: الدولة العثمانية تاريخ ووثائق: ص31.

[8] احمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومقدماته، ص61.

السيادة المملوكية.[1] وأثناء تواجده في أضنه طلب من نائب حلب أزبك السماح له بدخول حلب، فاتصل أزبك بالسلطان قايتباي الذي أذن له بالحضور إلى القاهرة مع قليل من عسكره.[2]

وعندما وصل الأمير جم إلى حلب علم السلطان بيازيد الثاني بعبوره إلى الأراضي المملوكية فأرسل إلى الأمير علي دولت أمراً بالقبض عليه حيث صادفه.[3]

وقبيل وصول الأمير جم إلى القاهرة خرج الأمراء المقدمون، ورؤساء النواب والحجاب لاستقباله فكان هذا الاستقبال في منتهى الحفاوة، وقد لقي الأمير جم أثناء إقامته في القاهرة الترحيب الكبير، وحسن المعاملة من السلطان قايتباي[4] الذي استمع إلى شكواه من الظلم الذي لحقه من أخيه بيازيد الثاني، وأنه انتفض على أخيه للحصول على نصيبه في حكم الدولة العثمانية، وطلب الأمير جم من السلطان قايتباي التوسط بينه وبين أخيه من أجل إيجاد حل للمشكلة الحاصلة بينهما،[5] وخصوصاً بعد إرسال الأمير جم خطاباً إلى أخيه بيازيد يقترح عليه بعض المناطق في الأراضي العثمانية، لكنه رفض واكتفى بتعيين راتب سنوي له يقدر 100 ألف آقجة. *[6] وقد سمح السلطان قايتباي للأمير جم أثناء إقامته بالقاهرة بزيارة الأماكن المقدسة وأداء فريضة الحج[7] مصطحباً أمه وزوجته،[8] وكان هدف جم (جمجمة) من الحج كسب التأييد له في نزاعه من أخيه،[9] ويقال بأنه: "حج حجة عظيمة لم يحجها أحد

---

(1) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية – المملوكية 1464- 1517م، ص82. وانظر: ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص181. وانظر: أحمد فؤاد متولي الفتح العثماني للشام ومقدماته، ص61.

(2) عندما طلب اللجوء إلى السلطان قايتباي كان مع جم ثمانمائة محارب من أتباعه. انظر: أحمد فؤاد متولي الفتح العثماني للشام ومقدماته، ص61.

(3) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومقدماته، ص61.

(4) ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص61-62.

(5) Knolles, Richard: The Turkish History From The Original Of The Nation To The Growth Of The Ottoman Empire, 6thed, London , 1687, P299

* الآقجة: وحدة نقد فضية عثمانية ووردت بصيغة إخشا أي الضارب إلى البياض، بلغ عيارها حين سكها 90% ووزنه 4/ 3 5 قيراط وسميت بالدرهم العثماني. انظر: محمود عامر المكاييل والأوزان والنقود منذ فجر الإسلام حتى العهد العثماني دراسة وثائقية، مطبعة ابن حيان، دمشق، 1997، ص182-183.

(6) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومقدماته، ص61.

(7) ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص181.

(8) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومقدماته، ص62.

(9) ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص181، غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية – المملوكية 1464-1517م، ص83.

من الملوك"[1] حيث عدّ الأمير جم الشخص الوحيد من بني عثمان الذي حج رغم حكمهم للمنطقة العربية بما يقارب أربعة قرون.[2]

وعندما عاد الأمير جم من الحج عام 1482م عاد يحلم بالسلطنة من جديد، وأثناء ذلك وردت إليه رسائل من حلفائه (أمراء الأناضول) أمثال الأمير قاسم بك القرماني*[3] وغيره من الأمراء التركمان الفارين وبعض شاغلي إقطاعات الأناضول الذين جردهم السلطان بيازيد الثاني من إقطاعاتهم، يستدعونه ويعدونه بالمساعدة.[4]

وعلى أثر ذلك طلب الأمير جم من السلطان قايتباي المساعدة للعودة إلى بلاده، فعقد السلطان على الفور مجلساً حضره أمراؤه فطرح عليهم مساعدة الأمير جم لاستعادة حقه في حكم الدولة العثمانية، فوافقوا بذريعة أنه حدثت اضطرابات في الأناضول تكون لمصلحة المماليك.[5] ومن ثَمَّ سيحقق السلطان قايتباي بذلك تقديم الدعم للأمير جم للهدفين الآتيين:

1. أن يستعيد بمساعدة الأمير قاسم القرماني إمارة قرمان، ومن ثَمَّ إعادة التوازن بين الدولتين المملوكية والعثمانية.
2. تولية أمير عثماني صديق لحكم الأناضول المجاور لحدود السلطنة المملوكية أمرٌ هامٌّ للسلطنة، لكنه سيخلق فوضى داخلية تساعد في إرباك الوضع الداخلي العثماني، وهذا سيعود بالفائدة للسلطنة المملوكية.[6]

وقد أخطأ السلطان قايتباي عندما أخذ موافقة أمرائه المماليك في تشجيع العنصر الضعيف الممثل بالأمير جم ضد السلطان بيازيد الذي نجح في تولي السلطنة بمساعدة الإنكشارية[7] وأكد ذلك ابن إياس

---

[1] ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص53.

[2] يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص186.

* الأمير قاسم هو ابن أخ الأمير القرماني بير أحمد الذي مات حزناً بسبب خسارته أمام قوات السلطان محمد الفاتح عام 1475م واستطاع الفرار إلى إمارة الآق قوينلو عام 1476م بعد موت السلطان محمد الثاني عام 1481م، فاستغل الأمير قاسم الحرب الأهلية ورجع إلى قرمان ليستعيد أمجاد أجداده، لكنه هزم أمام القائد كدك أحمد باشا وهرب إلى جبال طوروس يدعو جم للتحرك ضد أخيه بيازيد. للاستزادة انظر: سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان (13621487) دراسة تاريخية، ص67-68.

[3] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومقدماته، ص62.

[4] أحمد عبد الرحيم مصطفى: أصول التاريخ العثماني، ص75.

[5] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومقدماته، ص62.

[6] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص84.

[7] صلاح أحمد هريدي: دراسات في تاريخ العرب الحديث، ص44.

بقوله: أنَّ "سلوك سلطان مصر في تلك المناسبة كان عين الخطأ"؛[1] لأن السلطان قايتباي كان متردداً في تقديم الدعم للأمير جم، ثم سمح له على مضض وندم السلطان فيما بعد على ذلك.[2]

وبعد حصول الأمير جم على مساعدة السلطان قايتباي والمشتملة على أربعين ألف قطعة ذهبية وعشرين ألف قطعة من السلاح فضلاً عن إسهام حكام الشام وحلب بدفع عشرة آلاف قطعة ذهبية،[3] بينما يذكر يلماز اوزتونا أن المساعدة قدرت بخمس وستين ليرة ذهبية،[4] وعلى أية حال ترك الأمير جم أمه وزوجته وولده في مصر وتوجه نحو بلاد الشام عام 1482م، وبعد أن جهزه السلطان قايتباي بالعتاد وصل حلب في العام نفسه[5] ثم اجتاز الحدود المملوكية- العثمانية عندما تلقى عرضاً من أخيه السلطان بيازيد بأن يعطيه مليون آقجة كمخصصات سنوية إذا ترك ادعاء السلطة، والعيش بأمان في القدس، لكن الأمير جم رفض،[6] وتابع سيره حتى أنطاليا فالتقى بالأمير قاسم القرماني وتعهد له الأمير جم بأن يجعله حاكماً مستقلاً على إمارة قرمان إذا حالفه الحظ وأصبح سلطاناً،[7] وبعد ذلك دخلوا كيليكيا فانضم إليهم أمراء التركمان، وشاغلو الإقطاعات التي جردوا منها فوعدوه بالمساعدة.[8]

وفي البداية فرضوا حصاراً على قونية لكن لم يستطيعوا الاستيلاء عليها لقوة حصونها ودفاعها، ثم توغل الأمير جم وحلفاؤه في الأناضول حتى وصلوا إلى أنقرة فضربوا الحصار عليها، إلا أن السلطان بيازيد تمكن من فك حصارها،[9] ومن ثَمَّ فإن الانكسارات المتتالية التي مُنِيَ بها الأمير جم وحليفه الأمير قاسم أمام القوات العثمانية سببه الافتقار إلى الخطة العسكرية الفعالة والقيادة الموحدة.[10] وعندئذ أحس الأمير جم بالخطر المحدق به من كل جانب ففضل الهروب إلى مكان آمن ومنيع في كيليكيا،[11] وبعد ذلك اقترح عليه الأمير قاسم أن يذهب إلى الروميلي فهناك يستطيع طلب المساعدة من ملك المجر، لكن

---

(1) ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص192.

(2) ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص182.

(3) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص84.

(4) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص186.

(5) عبد الكريم رافق بلاد الشام ومصر من الفتح إلى حملة نابليون بونابرت 1516-1798م، ص47.

(6) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص186.

(7) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية، ت: بشير السباعي، دار الفكر للنشر، القاهرة، 1993م، ص153.

(8) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص85.

(9) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومقدماته، ص62.

(10) Creasy, Edward S, History Of The Ottoman Turks, London, 1978, Pp 115-116.

(11) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومقدماته، ص62. وأيضاً غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص85.

في نهاية المطاف استقر رأي الأمير جم على اللجوء إلى جزيرة رودوس* حيث يلقى مساعدة من رئيس فرسان القديس يوحنا لدخول الروميلي، ومن ثم يستأنف الثورة ضد أخيه بيازيد الثاني،[1] وبالفعل بعدما أحس الأمير جم بصعوبة المقاومة أرسل موفداً إلى جزيرة رودوس من أجل الحصول على ملجأ سياسي فوافق صاحب الجزيرة على استقباله وأكرمه غاية الإكرام ووعده بالتوسط لكسب الأنصار له في أوروبا ضد أخيه.[2]

وبعد وصول الأمير جم إلى جزيرة رودوس مقر فرسان القديس يوحنا أعداء السلطنة العثمانية أصبح رهينة ووسيلة للابتزاز المالي من السلطنة العثمانية، ولدى البابا فيما بعد، وورقة رابحة بيد أعداء السلطنة حيث أضحى محوراً للتآمر الأوروبي[3] والمؤثر الفعلي على مجرى الأحداث السياسية على مدى أربع عشرة سنة حتى وفاته عام 1495م وفي البداية حاول أن يتحالف مع الدولة المسيحية ضد أخيه[4]. لكن سرعان ما عقد فرسان القديس يوحنا تحالفاً مع السلطان بيازيد الثاني[5] الذي تعهد لهم بدفع مبلغ سنوي قدره خمس وأربعون ألف دوكا*، وبعدم التعرض للجزيرة والمحافظة على استقلالها مدة حياته مقابل الاحتفاظ بالأمير جم عندهم كرهينة، فوافق رئيس فرسان القديس يوحنا على عرض السلطان بيازيد الثاني ورفضوا تسليمه إلى ملك المجر وإمبراطور ألمانيا اللذين طلبا منه تسليمهم إياه أو إطلاق سراحه.[6] فانتاب السلطان بيازيد الثاني القلق لقرب الجزيرة من أراضي السلطنة العثمانية، وبما أن الأمير جم موجود فيها سيسبب له المشاكل داخل السلطنة، وخصوصاً بعدما أصبح الأمير جم محوراً للتآمر على السلطنة، فأرسل وفداً إلى جزيرة، والتقى مع رئيس فرسان القديس يوحنا، وتم التوقيع على معاهدة صلح نصت على ضرورة إبعاد جم عن رودوس مقابل إعفاء الجزيرة من دفع الجزية والتعويض عن الخسائر

---

* رودوس: جزيرة في بحر إيجة باليونان تقع غرب تركيا، وتبعد عنها 18كم، وهي جزيرة جبلية ذات شريط ساحلي. انظر: نصار حسين: الموسوعة العربية الميسرة، مج3، ص1673.

(1) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومقدماته، ص62.

(2) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص85.

(3) Ismail Hami Danismend, Izahli Osmanli Tarihi Kronolojisi, Ankara. 1, Clit, C382

(4) برنارد لويس: اكتشاف المسلمين لأوروبا، ت: ماهر عبد القادر، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1996،1م، ص137.

(5) Creasy, Op, Cit. P114.

* دوكا: هي عملة خاضة لدولة البندقية وقيمتها تعادل 200 آقجة. انظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م، ص115.

(6) محمود عامر: الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، ص32، أيضاً انظر:

Aikterini Dimitriadou, The Bihist Of Idris Bidlist Cthereign Of Bayezid Ii (1481- 1512) The University Of Edinburagh, 2000, P9.

والأضرار التي لحقت بها جراء حصار السلطان محمد الثاني لها عام 1480م والذي أدى إلى هدم أسوارها.[1]

ووفقاً للاتفاق الحاصل بين رئيس فرسان القديس يوحنا والسلطان بيازيد الثاني تم إخراج الأمير جم من الجزيرة بعد أن مكث فيها نحو أربع وثلاثين يوماً، وإبعاده إلى إحدى الأديرة الخاصة بفرسان القديس يوحنا في فرنسا، وهناك تنقل الأمير جم من قلعة إلى أخرى من قلاع القديس يوحنا أسيراً، وورقة ابتزاز ومحوراً للتآمر على الدولة العثمانية لمدة ست سنوات وأربعة أشهر.[2]

ويمكن إيجاز هذا الابتزاز والتآمر بالآتي:

1. محاولة ملك هنغاريا العدو اللدود للسلطنة إقناع الأمير جم بأن ينضم إليه لفتح الروميلي عن طريق المجر، وفيها يستأنف القتال ضد أخيه وأمام هذا التهديد أجبر السلطان بيازيد الثاني عام 1483م على إرسال وفد إلى ملك هنغاريا من أجل إبرام هدنة حربية معه مدتها خمس عشرة سنة؛[3] لأن السلطان بيازيد علِم عن طريق جواسيسه بأن أخاه جم أبدى رغبته في التوجه إلى المجر حيث يمكنه ذلك من الاتصال بأنصاره.
2. أثناء تواجد الأمير جم في الأديرة التابعة لفرسان القديس يوحنا في فرنسا جرت مفاوضات بين فرسان القديس يوحنا وعدد من الدول الأوروبية[4] التي لم تزل تأمل في استغلال الأمير جم لإثارة المتاعب في وجه أخيه السلطان بيازيد، وكان حكام تلك الدول على استعداد لدفع مبالغ طائلة في مقابل ذلك.[5]
3. عندما علم السلطان بيازيد الثاني مدى تأثير حاكم فلورنسا (لورنتسودي ميدشي) على بلاط فرنسا والبابوية، أرسل إليه وفداً عارضاً عليه إقامة علاقات تجارية مقابل تزويده بمعلومات عن تحركات أخيه الأمير جم في فرنسا.
4. استغلت البندقية تواجد الأمير جم في أوروبا وتهديده لأخيه السلطان بيازيد الثاني فعقدت معه معاهدة سلام تنص على تزويد السلطان بمعلومات عن أخيه واتصالاته مقابل عدم دفعها للجزية أثناء تجارتها مع السلطنة العثمانية، ومساعدة السلطان لها ضد خصومها في الداخل.

---

[1] قبل إبرام الاتفاق تواصل الوفد مع جم وسلموه رسالة من أخيه مفادها بأن يتسلم موارد إمارة قرمان دون حكمها بشرط أن يعتزل ويعيش في سلام في القدس. انظر: أحمد عبد الرحيم مصطفى: أصول التاريخ العثماني، ص75، وحول الاتفاقية. انظر: محمد فريد المحامي، ص66-67.

[2] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص186.

[3] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص89.

[4] وتلك الدول هي فرنسا والمجر والبندقية وحتى السلطنة المملوكية الذين حاولوا الضغط على فرسان القديس يوحنا من أجل تسليم الأمير جم إليهم. انظر: يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص187.

[5] أحمد عبد الرحيم مصطفى: أصول التاريخ العثماني، ص75.

5. عندما عرف البابا بالعلاقات الدبلوماسية بين البندقية والسلطان بيازيد الثاني استغل ذلك وأرسل وفداً إلى فرسان القديس يوحنا على ضرورة تهديد السلطان بيازيد من خلال إرساله رسالة مفادها بأنهم غير قادرين على الاحتفاظ بالأمير جم، والتأكيد على أن الأمير جم سوف يقود جيشاً مسيحياً ضد الدولة العثمانية إذا ما أوقف السلطان التحضيرات العسكرية البحرية في ميناء غاليبولي.*[1]
6. حتى أن السلطان قايتباي وعد بإعطاء مليون ليرة ذهبية لفرسان القديس يوحنا شريطة إرسال الأمير جم إلى القاهرة لكنه لم يوافق،[2] ثم أرسل وفداً إلى فرسان القديس يوحنا عام 1485م في محاولة لإقناع زعيمهم (دويوسون) بتسليم جم للسلطنة المملوكية مقابل تأمين الحماية اللازمة للفرسان من تهديد السلطان بيازيد لكن زعيم فرسان القديس يوحنا (دويوسون) رفض العرض بحجة عدم استطاعته التخلي عن الأمير جم دون إذن من البابا.
7. ابتزاز زعيم فرسان القديس يوحنا لكل من السلطان قايتباي، وأمه[3] وحتى زوجته المقيمة في مصر[4] مستغلاً وجود الأمير جم كورقة ضغط عليهم للحصول على الأموال، حيث حصل على عشرين ألف قطعة ذهبية مدعياً إحضاره إلى القاهرة، وذُكِر أن الرسائل المرسلة باسم الأمير جم إلى أهله في القاهرة كتبها زعيم فرسان القديس يوحنا وختمها بختم الأمير للحصول على الأموال.[5]

وفي عام 1488م سلم فرسان القديس يوحنا الأمير جم للبابا أنوسنت الثامن* بموجب الاتفاقية المبررة بينهم حيث دخل روما عام 1489م، وهنا تبدأ مرحلة النفي الثانية للأمير جم،[6] وبما أن البابا

---

* ميناء غاليبولي: مدينة وشبه جزيرة تقع على الشاطئ الأوربي وهي تابعة لولاية أدنه تبعد عن استنبول 212 كم جنوباً وهي أول مدينة استولى عليها العثمانيون على الجانب الأوربي في عهد السلطان أورخان (1326 -1359م). للمزيد انظر: اسماعيل سرهنك الميلاري: حقائق الأخبار عن دول البحار، د.م.ن، د.ت.ن، ج2، ص464.

(1) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص89-90.

(2) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص186.

(3) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص90.

(4) أحمد عبد الرحيم مصطفى: أصول التاريخ العثماني، ص75.

(5) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص90.

* انوسنت الثامن: ولد عام 1432م واستلم البابوية عام 1482م اتسم عهده بانحطاط حاد في زعامة البابوية الروحية توفي عام 1492م وخلفه البابا الاسكندر السادس. للمزيد انظر: منير البعلبكي معجم أعلام المورد (موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد) دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1992، ص84.

(6) حيث مكث في روما نحو ست ست سنوات (1489- 1495م) حتى وفاته. يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص187-188.

كان يعتزم سراً القيام بحملة صليبية ضد العثمانيين أراد أن يكون الأمير جم على رأسها[1] إلا أنه مات قبل أن يحقق حلمه كما أن الغزو الفرنسي لإيطاليا أعاق قيام أي محاولة عدائية ضد العثمانيين.

وتولى العرش البابوي الاسكندر السادس* الذي أدرك أن بقاء جم في دولته سيسبب لها المتاعب فراسل السلطان بيازيد عارضاً عليه تسليم أخيه الأمير جم مقابل ثلاثمائه ألف دوكا[2] وأثناء ذلك كان الملك الفرنسي شارل الثامن* يهاجم المدن الإيطالية، ومنها روما متذرعاً استعادة القسطنطينية من آل عثمان، كما أرسل دعاة الفتنة إلى مقدونيا لإثارة المسيحيين ضد المسلمين معتمداً الدين شعاراً لذلك. لكن سرعان ما كُشفَ زيفُ ادعائه بعد أعماله التخريبية التي طالت معظم المدن الإيطالية بعد السيطرة عليها.[3] والبعض يقول: أصبح الأمير جم ورقة رابحة بين يدي من تحالف معه ليبغي النيل من السلطنة العثمانية بعد تسليمه للملك الفرنسي شارل الثامن[4] وهذا ما أثار قلقاً شديد لدى السلطان بيازيد بعد تسليم أخيه الملك الفرنسي.[5]

هناك روايات عديدة حول مصير الأمير جم، فبعض الباحثين يرى أنه عندما غزا الملك الفرنسي إيطاليا واحتل روما تم أسر الأمير جم وإرساله إلى فرنسا إلا أن الأمير جم مرض في الطريق وتوفي في نابولي عام 1495م متأثراً بالسم الذي دسه البابا للأمير جم قبل أسره من قبل الملك الفرنسي تنفيذاً لأوامر أخيه السلطان بيازيد حتى لا يكون ذريعة بيد الملك الفرنسي شارل الثامن.[6]

---

[1] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص90.

* الاسكندر السادس: ولد عام 1431م واسمه الحقيقي رودريغو بورجيا استلم البابوية بعد وفاة أنوسنت الثامن عام 1492م أثناء عمله الرسولي صرف همه إلى تقوية سلطة البابا الروحانية وتعزيز سلطة أسرته توفي عام 1503م. انظر: منير البعلبكي: معجم أعلام المورد (موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد)، ص62.

[2] يشير الباحث ألفونس لامارتين بأنه تم تسليم جم للملك الفرنسي شارل الخامس في كتابه التاريخ التركي، ص139، تم ترجمة اسم الكتاب من قبل الباحث.

* شارل الثامن: ملك فرنسا 1483- 1498م طمح منذ أيامه الأولى السيطرة على القسطنطينية وطرد. شن حروباً عديدة منها نحو إيطاليا، وأثار الفتن في مقدونيا ضد المسلمين. للمزيد انظر: جون براون: تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة علي المرزوقي، دار الأهلية الأردن، ط1، 2006م، ص172.

[3] محمود عامر: الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، ص32- 33.

[4] Alphonse de lamartine, historie de la turquie,vIII, librairie du constitutionnel, paris, 1863,139.

[5] ابراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العلية (التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية)، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ط1، 1988م، ص71.

[6] أحمد عبد الرحيم مصطفى: أصول التاريخ العثماني، ص75، محمود عامر: الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، ص33، كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص443.

ويرى البعض أن السلطان بيازيد الثاني دفع للبابا الاسكندر السادس رشوة لقاء دس السم لأخيه قبل تسليمه للملك الفرنسي.[1] لكن بعض الباحثين يرون أنه بعد اجتياح الملك الفرنسي لايطاليا ازداد قلق السلطان بيازيد واضطرب خوفاً من وقوع أخيه جم بأيدي الملك الفرنسي فأرسل أحد جواسيسه على شكل حلاق مجهول، وعندما دخل إلى الأمير استأنس به وطلب منه تزيين (حلاقة) رأسه بموس مسموم، فسرى السم في رأسه ثم إلى سائر بدنه،[2] وبعد أسره من قبل الملك الفرنسي مرض الأمير إثر ذلك أثناء ذهابه من روما إلى نابولي ففارق الحياة في نابولي عن عمر يناهز خمس وثلاثين عاماً. وعندما انتشر خبر وفاته تم الحداد في تركيا لمدة ثلاثة أيام بأمر من السلطان بيازيد الثاني وأقيمت صلاة الغائب.[3]

وبعد رحيل القوات الفرنسية من إيطاليا عام 1499م أمر السلطان بيازيد الثاني نقل جثمان أخيه جم إلى مدينة بورصة ودفن في مقابر أجداده.[4]

وبعد انتهاء المرحلة الأولى من توتر العلاقات العثمانية المملوكية والذي كان محورها ثورة الأمير جم ولجوءه إلى السلطان قايتباي، والتعهد بحمايته ورفض تسليمه لأخيه السلطان بيازيد، وقدم له كل أشكال الدعم أثناء حربه مع أخيه وأثناء تواجده في رودوس، وإقامته بأوروبا، حاول بشتى الوسائل لاسترجاع جم من فرسان القديس لكن دون جدوى، وكانت هذه الأخبار تصل إلى السلطان بيازيد الثاني تقاريراً دقيقة من القاهرة عن طريق جواسيسه. كل هذا أثار غضب السلطان بيازيد الثاني وحقده على السلطان قايتباي، فكانت إحدى العوامل التي أدت إلى تدهور العلاقات بين العثمانيين والمماليك، ولذا قرر السلطان بيازيد الانتقام من السلطنة المملوكية، وهنا تبدأ مرحلة الصدام المسلح بين الدولتين.

2- المواجهة العثمانية- المملوكية المباشرة عام 1484- 1485م:

قبل أن نتطرق إلى الصدام العسكري بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية يجب معرفة العوامل التي أسهمت في تأزم وتوتر العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية، والتي أدت إلى المواجهة المباشرة بين الدولتين، ويمكن إجمال تلك العوامل بالآتي:

1. استمرار النزاعات على الحدود بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية، وتمثل ذلك في تحدي أبداه الأمير محمود بن طورغود بن قاسم القرماني* عندما هاجم قونية عاصمة الإمارة القرمانية وحاصرها

---

[1] يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص188.

[2] محمد بن سرور البكري الصديقي: المنح الرحمانية في الدولة العثمانية وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، ص56.

[3] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص188.

[4] محمود عامر: الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، ص33.

* توصل الأمير قاسم إلى اتفاق مع السلطان بيازيد الثاني الذي أمسك عن القيام بعمليات عسكرية واسعة مادام أخوه جم يشكل عليه خطراً فاعترف له بحكم جزء من ايج إيل، ثم تخلص منه بدس السم له ولأولاده الثلاثة عام 1483م. انظر: علي خليل: سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان (1362- 1487م) دراسة تاريخية، ص68.

بدعم من المماليك، وبعد فك الحصار عنها، وهزيمة الأمير محمود القرماني وهروبه إلى المماليك تبين مشاركة المماليك في شن الهجوم بعد حروبه. وهذا أدى بدوره إلى توتر العلاقات بين الطرفين.[1]

2. القبائل التركمانية (الورسق) التي تمت بقرابة لآل قرمان، سكنت في الأراضي الجبلية بين إمارة قرمان وكيليكيا التابعة للسلطنة المملوكية، وكثيراً ما تحالفت مع الأخيرة، فعند قيام ثورة الأمير جم، وتحالفه مع الأمير قاسم ضد السلطان بيازيد انضمت إلى الثورة، وعندما تحدى الأمير محمود القرماني سبط الأمير قاسم تحالفوا معه ضد الدولة العثمانية، ومن ثَمَّ تحالفت هذه القبائل التركمانية مع السلطنة المملوكية وانضمت إلى كل ثائر ضد الدولة العثمانية، فأدى ذلك إلى توتر العلاقات بين الدولتين.
3. النزاع المستمر بين المماليك والعثمانيين للسيطرة على موقع كيليكيا الهام، كونه يحتوي على ثروات طبيعية ممثلة بالثروة الخشبية الموجودة بكثرة في جبال طوروس، ومن ثَمَّ حاجة كل منها للخشب المستخدم في صناعة السفن، فضلاً عن ذلك سعي كلا الطرفين العثماني والمملوكي للسيطرة على الممرات الجبلية في كيليكيا لأن هذه الممرات معبر للمسافرين والتجار والحجاج، وكثيراً ما يتعرضون للنهب والسطو والسلب من قبل غارات البدو. لكن بعد سيطرة القبائل التركمانية (الورسق والترغود) على هذه الممرات أصبحت القوافل تحت رحمة قطاع الطرق الذين عمدوا إلى فرض الضرائب والأتاوات، وهذا بدوره أدى إلى إلحاق الضرر بالتجار عموماً.[2]
4. لم ينسَ السلطان بيازيد ما فعله السلطان قايتباي مع أخيه جم[3] ناهيك عن أن السلطان قايتباي لم يقم بتهنئة السلطان بيازيد الثاني عندما جلس على عرش الدولة العثمانية، كما كانت العادة عند الطرفين، إضافة إلى أنه لم يقدم له التعازي بوفاة ابنه عبد الله[4] أكبر أبنائه وولي عهده عندما توفي عام 1483م وكان والياً على أماسيا بعد لجوء الأمير جم إلى فرسان القديس يوحنا، ثم إلى أوروبا، فرفض السلطان قايتباي طلب السلطان بيازيد بإرسال والدة جم (جيجك خاتون) وبناته اللواتي كُنَّ قد لجأن إلى القاهرة مع الأمير جم عام 1481م وإرسالهن إلى استانبول، وهذا بدوره أدى إلى ازدياد التوتر بين الطرفين.[5]

---

[1] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص91.

[2] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص92-93.

[3] سبقت الإشارة إلى الأمير جم ومساندة السلطان قايتباي ضد أخيه السلطان بيازيد الثاني.

[4] ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص47.

[5] يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص207-189.

5. رفض السلطان قايتباي طلب السلطان بيازيد السماح بإرسال قوات عثمانية مع الحجاج الأتراك لحمايتهم من حوادث السلب،[1] وزاد الطين بلة رفضه إصلاح قنوات المياه في مكة المكرمة على حساب الدولة العثمانية.[2]
6. يضيف ابن إياس عاملاً آخر أدى إلى توتر العلاقات بين الطرفين بقوله: "إن سبب هذه الفتنة الواقعة بين السلطان المملوكي وبين ابن عثمان، أن بعض ملوك الهند أرسلوا إلى ابن عثمان هدية حافلة على يد بعض تجار الهند، فلما وصل إلى جدة احتاط عليها نائب جدة وأحضرها إلى السلطان، وكان من جملة تلك الهدية خنجر قبضته مرصعة بفصوص مثمنة، فطمع السلطان في تلك الهدية وأخذ الخنجر، فلما بلغ ابن عثمان ذلك حنق"[3] وبالطبع هذا التصرف غير اللائق من قبل السلطان قايتباي أثار غضب السلطان بيازيد الثاني وأخذ يعدّ العدة للانتقام من السلطنة المملوكية بعد أن تجمعت لديه العوامل التي أدت إلى توتر العلاقات وتأزمها بين الطرفين، حيث سلك اتجاهين هما:

- إحكام سيطرته على الطرق التجارية وعلى مصادر الخام البالغة الأهمية للمماليك كالأخشاب المعدة لصناعة السفن،[4] فضلاً عن بذل كل المحاولات لإضعاف طاقاتهم العسكرية من خلال إرسال حملات عسكرية إلى شبه جزيرة القرم والقوقاز بقصد تدمير المراكز الأساسية التي تؤمن الإمدادات البشرية للمماليك[5] كعرقلة شراء الرقيق من أسواق بلاد الشركس في البحر الأسود ومن ثم نقلهم إلى مصر.[6]

---

[1] اسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج1، ص521. يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص189.

[2] علي ابراهيم: مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، القاهرة، ط4، 1954م، ص343.

[3] ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص215.

[4] عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة، بيروت، د.ت، ص388.

[5] نيقولاي إيفانوف: الفتح العثماني للأقطار العربية (1516- 1574م)، ت يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1988م، ص56.

[6] سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص388. وللتأكيد على عرقلة بني عثمان لشراء الرقيق وتوريده إلى مصر يشير الزجال المصري الشهير بدر الدين الزيتوني في المرثية التي ألفها حول الخطر الذي فرضه بني عثمان على الرقيق والفرو إلى المماليك بقوله:

ابن عثمان باداه بأخذ القلع وبمنع التاجر على الجلاب

أن يجيبوا إلى مصر مملوك ولا فروة سمور ولا سنجاب

انظر: محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مصر، 1965م، مجلد8، ص128.

- الصدام المسلح بين الدولتين: في البداية كان على شكل مناوشات عسكرية على الحدود[1] شنها السلطان بيازيد الثاني للانتقام من المماليك لإيوائهم الأمير جم،[2] بعد ذلك اتخذ السلطان بيازيد الثاني إمارة دلغادر مسرحاً لعملياته العسكرية باتجاه السلطنة المملوكية ما بين عامي 1481-1482م[3]. ففي عام 1483م هاجم علي دولت حليف بني عثمان ملطية بإيعاز من السلطان بيازيد ومساندته. فكان رد السلطنة المملوكية وعلى لسان سلطانها قايتباي إرسال تجريدة (حملة) عسكرية إلى حلب لتأديب علي دولت حتى لا تتكرر قضية أخيه شاه سوار.[4] وتكونت الحملة بعدد من الأمراء، منهم: أزدمر أمير مجلس*، ونائب حلب والأمير تغري بردي ططر حاجب الحجاب* ومعهم أمراء آخرون، أما الجند فقد بلغ عددهم نحو خمسمائة مملوك وأنفق على هذه التجريدة أكثر من سبعين ألف دينار.[5] فانطلقت الحملة من حلب وهاجمت الإمارة الدلغادرية وعاثت فيها دماراً وخراباً، فهرب الأمير علي دولت إلى السلطان بيازيد الثاني واستنجد به وطلب منه دعماً عسكرياً،[6] فاستغل السلطان بيازيد الثاني شكوى الأمير علي دولت من تصرفات السلطان قايتباي وتجاوزاته، فأمده بقوات عسكرية ضخمة* هاجم بها ملطية الخاضعة للسيادة المملوكية في آسيا الصغرى عام 1484م[7] فضلاً عن ذلك فإن القوات العثمانية التي ساعدت الأمير الدلغادري قد لحقت به العناصر التركمانية "الورسق" التي انشقت عن الأمير محمود القرماني سبط الأمير قاسم وساعدته بأمر من السلطان بيازيد.[8]

---

[1] مفيد الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر العثماني)، دار أسامة، عمان، 2011م، ص23.

[2] عبد العزيز محمود عبد الدايم: مصر في عصر المماليك والعثمانيين (1250- 1798)، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1996م، ص156.

[3] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص93.

[4] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص94.

* أمير مجلس: هو الأمير الذي تولى أمر مجلس السلطان المملوكي، ومجلس الأمير. انظر محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1990م، ص22.

* حاجب الحجاب: يعد ثالث أهم وظيفة عسكرية في العصر المملوكي، يقف بين يدي السلطان ونحوه في المواكب ليبلغ ضرورات الرعية إليه. انظر: عمار النهار: تاريخ المماليك، ص118.

[5] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص183.

[6] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص94.

* يقول علاء الدين البصروي: "وقف السلطان بايزيد "بيازيد" مع علي دولات شقيق شاه سوار فأمده بالمال والسلاح والرجال والعتاد". انظر علاء الدين البصروي: تاريخ البصروي، تحقيق أكرم حسن العلبي، دار المأمون، دمشق، 1988م، ص91.

[7] سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص388.

[8] ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص73.

وعدّ هذا التدخل العثماني المباشر ومساعدة السلطان بيازيد الثاني لحليفه الأمير علي دولت ضد المماليك بنظر ابن اياس "أنه أول تحرك لابن عثمان على بلاد السلطان".[1]

ولم يقف السلطان قايتباي مكتوف الأيدي أمام التحديات العثمانية وحليفها الأمير علي دولت. فجهز السلطان تجريدة ثانية تقوية للتجريدة الأولى ووضع على قيادتها أمير السلاح* تمراز الشمسي ومعه أربعمائة مملوك من المماليك السلطانية* من نفس العام لتأديب علي دولت، وإن سبب هذه التجريدة كما سبق القول عنها: إن السلطان قد بلغه أن ابن عثمان ملك الروم قد أمد علي دولت بعساكر كثيرة.[2] أدت إلى الاشتباكات بين العسكر المملوكي والأمير علي دولت المدعوم من الدولة العثمانية حسب قول البصروي: "أنه في عام 1484م وصل خبر إلى دمشق برجوع فجماس نائب الشام وبقية العسكر من ناحية علي دولت الدلغاري إلى حلب وانهزام العسكر السلطاني".[3] أما ابن اجا فيقول: "جاءت الأخبار بأن العسكر الذي خرج من القاهرة قد تقاتل مع علي دولت، وقد كسر العسكر وقتل منهم جماعة كثيرة من الجند والأمراء"[4] وإن سبب الهزيمة التي منيه بها العسكر المملوكي هي الكمائن التي نصبها الأمير علي دولت، ومن ثم فراره من أرض المعركة.[5]

على إثر ذلك وزع السلطان قايتباي النفقة على الجند المعين لتجريدة جديدة وجعل على قيادتها أمير السلاح تمراز وازبك اليوسفي أحد المقدمين* وبلغ عدد الحملة نحو ألف مملوك خرجوا لمساعدة الحملة المنكسرة. وقبل أن يصلوا إلى حلب، خرج نائب حلب ورد بش مع جمع من العسكر لملاقاة الأمير علي دولت الذي أمده ابن عثمان بجمع كبير من عساكره، وعندما ألتقى الطرفان انكسر العسكر الحلبي وقتل نائب حلب ورد بش وجماعة كثيرة من العسكر.[6]

وعندما سمع الأمير تمراز الشمسي بالهزيمة التي حلت بالجيش المملوكي أمام علي دولت المدعوم من السلطان بيازيد، توجه نحو إمارة دلغادر بعد انضمام القوات الشامية وقوات أزدمير أمير المجلس،[7]

---

[1] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص206. ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص183.

* أمير السلاح: هو لقب يطلق على الذي يتولى أمر سلاح السلطان أو الأمير. انظر محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص20.

* المماليك السلطانية: هم أعظم الأجناد شأناً وأرفعهم قدراً وأوفرهم إقطاعاً، وهم المماليك الذين يشتريهم السلطان. انظر محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص145.

[2] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص183.

[3] علاء الدين البصروي: تاريخ البصروي، ص94.

[4] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص183.

[5] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص206.

* هو الذي يقدم المماليك إلى السلطان. انظر: محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص142.

[6] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص183-184.

[7] علاء الدين البصروي: تاريخ البصروي، ص94.

وعند فاشتبك مع قوات الأمير الدلغاري والقوات العثمانية وانتصروا عليهم، وعادوا إلى حلب محملين بالغنائم، وعددٍ من رايات العثمانيين فدخل الجند المملوكي بها حلب وهي منكسة.[1]

ويؤكد ابن طولون ذلك بقوله: "عام 1484م دخل إلى دمشق العسكر المصري الذي قاتل علي دولات واسترد مدينة أدنه من السلطان ابي يزيد*".[2]

ويذكر البصروي أنه: "عام 1484م جرت معركة هائلة بين الفريقين وكان فيها جماعة من عسكر العثمانيين فهم نائب توقات ونائب سيواس ونائب المصيصة".[3]

وهذا واضح على الانتصار الذي حققه المماليك على العثمانيين بقيادة أمير السلاح تمراز الشمسي، وبالرغم من الانتصار الذي حققه السلطان قايتباي على السلطان بيازيد الثاني وحليفه الأمير علي دولت آثر إحلال السلام والصداقة مع العثمانيين، فطلب من الأمراء الاجتماع والتشاور في أمر بني عثمان وتعصبه للأمير علي دولت، فأشار الأتابكي* أزبك وغيره من الأمراء أن يرسل السلطان هدية إلى ابن عثمان لتزول الوحشة بينهما، فعين السلطان لهذه المهمة الأمير جاني بك حبيب أمير أخور ثاني* الذي عرف بحلو اللسان؛ أي دبلوماسي، وقد سبق أن توجه إلى الأمير يعقوب بن أوزون حسن، ونجح بمهمته، وبالفعل سافر قاصداً السلطان المملوكي الأمير جاني بك حبيب إلى السلطان بيازيد الثاني بحراً من الاسكندرية عام 1485م حاملاً معه هدية حافلة في عشرة آلاف دينار، وتقليد من الخليفة إلى ابن عثمان بأن يقوم مقام السلطان على بلاد الروم، وما سيفتحه الله تعالى على يده في بلاد الكفر فضلاً عن مطالعة تتضمن تخميد هذه الفتنة التي نشبت بينه وبين السلطان وفيها بعض ترقق له،[4] فضلاً عن إرسال الهدايا التي أرسلت إلى السلطان بيازيد الثاني بمناسبة جلوسه على العرش من ملك الهند، التي سبق الإشارة إليها، وتقديم اعتذار عما حدث لها.[5] تعد هذه المبادرة التي أطلقها السلطان قايتباي أول محاولة للصلح بين الطرفين لكن السلطان بيازيد الثاني أساء استقبال الوفد الذي أرسله السلطان قايتباي

---

[1] محمد سهيل طقوش: التاريخ الإسلامي الوجيز، دار النفائس، بيروت، ط5، 2011م، ص112.

* المقصود هنا السلطان بيازيد الثاني.

[2] ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص63.

[3] علاء الدين البصروي: تاريخ البصروي، ص98.

* الأتابكي: تتكون الكلمة من أتا: بمعنى الأب أو الشيخ المحترم، وبك: أمير، وبالتالي تعني مربي الأمير، ويطلق على أمير أمراء الجيش لقب أتابك العسكر. انظر: محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص11.

* هو المشرف على اصطبل السلطان وخيوله ويسكن باصطبل السلطان. انظر: محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص20.

[4] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص184.

[5] إلهام عبد القادر حمودي الطائي: الدولة العثمانية في عهد بيازيد الثاني 1481- 1512م، ص82.

ورفض الصلح مع المماليك،[1] وبالفعل عندما عاد القائد المملوكي الأمير جاني بك حبيب من عند ابن عثمان التقى مع السلطان قايتباي وأخبره عن أحوال ابن عثمان وإصراره على اعتداءاته.[2]

وبالفعل أعد السلطان بيازيد الثاني حملة عسكرية لغزو الأراضي الحدودية المشمولة بحماية المماليك، حيث استولت قواته على قلعة كولك التابعة للسلطنة المملوكية في آسيا الصغرى.[3] ولم يكتف بذلك بل هاجم إمارة قرمان، لكنَّ حرصَ الدولتين تبلور في حصر نطاق تلك الحرب في أضيق الحدود والحيلولة دون تحويلها إلى حرب شاملة، حيث انصب طموح العثمانيين في الاستيلاء على إمارة رمضان بينما كان طموح خصومهم المماليك إخضاع إمارة دلغادر وضمها للمناطق المشمولة بحمايتها.[4]

وبعد فشل محاولة الصلح ورداً على اعتداءات السلطان بيازيد الثاني تجمع عسكر المماليك في دمشق بقيادة الأمير أزبك الأتابكي الذي توّجه نحو القابون للسفر إلى حلب لمحاربة ابن عثمان[5] "ومعه قانصوه خمسمائة أمير أخور كبير وتاني بك قرا صاحب الحجاب، وتغري بردي ططر أحد المقدمين الألوف إضافة إلى مقدمين آخر، وبلغ جملة الأمراء المقدمين تسعة، وعدد الجنود ثلاثة آلاف مملوك".[6] وأثناء اشتباك القوات المملوكية بالقوات العثمانية قرب أضنه (أدنه)[7] وصل محمود بك حاكم إمارة رمضان إلى استانبول وأعلن أمام السلطان تخليه عن التبعية المملوكية، وانضمامه إلى التبعية العثمانية، فقد رد المماليك على ذلك باجتياح إمارة دلغادر، ورغم تمكن القوات العثمانية من إجلاء القوات المملوكية في بادئ الأمر إلا أن قائد القوات المملوكي الأمير أزبك الأتابكي تمكن من إبادة القوات العثمانية التي كانت ترابط في مدينة ملاطية، ثم اجتاح إمارة رمضان بعد إجبار القوات العثمانية من الانسحاب عنها.[8]

وصلت الأخبار إلى دمشق أوائل عام 1486م بانتصار جيش السلطان قايتباي على عسكر السلطان بيازيد الثاني، وكانت الواقعة قريبة من أدنة، وأُسِرَ الأميرُ العثماني أحمد بن هرسك* مع عدد من زملائه عندما حاولوا استعادة إمارة رمضان، لكن محاولتهم باءت بالفشل، وبعد فترة وجيزة وصل إلى

---

[1] إبراهيم علي طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة 1382- 1517م، القاهرة، 1960، ص169.

[2] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص186.

[3] إلهام عبد القادر حمودي الطائي: الدولة العثمانية في عهد بيازيد الثاني 1481- 1512م، ص82-83.

[4] يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص189-190.

[5] علاء الدين البصروي: تاريخ البصروي، ص106.

[6] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص185.

[7] ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص226.

[8] يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص190.

* عدّ الأمير أحمد بن هرسك صهر السلطان بيازيد الثاني. انظر: يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص191. بينما ابن طولون في كتابه مفاكهة الخلان في حوادث الزمان في الصفحة 74، ج1، يعد حسن بك هرسك هو صهر السلطان.

دمشق مئات من الأسرى العثمانيين في الزناجير،* ومعهم من الرؤوس، وزينوا دمشق يومها في عام 1486م.[1]

وبالرغم من الانتصار الذي حققه المماليك على بن عثمان أصدر السلطان قايتباي عام 1486م مرسوماً لأهل الشام ينص على جمع الدراهم من القضاة والتجار وأصحاب الأملاك والأوقاف لمحاربة ابن عثمان الذي استعان بالكفار، وأن هذا جهاد في سبيل الله، ثم توافد العسكر إلى دمشق في طريقهم إلى الأمير علي دولت.[2]

ومن الجدير بالذكر: أن الانتصار الذي حققه الجيش المملوكي أسفر عن إعادة ترتيب الأوضاع الإدارية في كيليكيا حيث عُيَّنَ قانصوه الغوري حاكماً على طرسوس وداوود بن رمضان علي إمارة رمضان[3] وبالإضافة إلى ذلك وصل الأمير قيت الساقي إلى القاهرة ومعه ما يزيد على مائتي رأس محمولة على الرماح، فلما دخل القاهرة زينت له زينة حافلة واصطف الناس للمشاهدة، وذهب الأمير قيت الساقي إلى القلعة وضربت له البشائر وخلع عليه السلطان.[4]

ثم تواترت الأخبار بحصول صلح بين الأمير علي دولت والمماليك وأن الأمير علي دولت دخل في طاعة السلطان قايتباي وضرب النقود وخطب على المنابر باسم السلطان قايتباي، ويوم الصلح تزوج ابن أزبك الأتابكي من ابنة الأمير علي دولت، وبهذا الشكل تم طوي بساط الشر بين الطرفين بعودة الأمير دلغادر للطاعة،[5] وبهذا يكون الأمير علي دولت قد خرج من الفتنة وبقي ابن عثمان.[6]

ويقول البصروي تأكيداً على الصلح: "في عام 1486م دخل الأتابكي أزبك الظاهري الأتابكي إلى دمشق، ومعه الأمراء وجماعة من عسكر ابن عثمان في الحديد وفيهم الضباط الأمراء، كما دخل ابن الأمير علي دولت الدلغاري وجماعته بلا قيود ومعهم عدد من الأمراء".[7]

لكن نشوة الانتصار التي عمت مصر وبلاد الشام لم تدم طويلاً؛ لأن السلطان بيازيد لم يركن إلى الهدوء فأراد الثأر للهزيمة التي حلت بقواته، حيث وصلت الأخبار إلى مصر بأن العسكر العثماني بعد أن حصلت تلك الهزيمة، جمع جيشاً كبيراً وعاد للحرب مرة ثانية، مما اضطر عسكر السلطان المملوكي للعودة إلى كولك بعد أن دخل إلى حلب، وطلب السلطان المملوكي من العسكر العرض فعيَّنَ جماعة من

---

* الزناجير= الجنازير وهي من الحديد الباحث.

[1] ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص226.

[2] علاء الدين البصروي: تاريخ البصروي، ص113.

[3] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517 ، ص107-108.

[4] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص186.

[5] علاء الدين البصروي: تاريخ البصروي، ص114.

[6] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص186.

[7] علاء الدين البصروي: تاريخ البصروي، ص115.

الأمراء المقدمين والجند، وقد بلغوا نحو خمسمائة مملوك وجعل على قيادتهم يشبك الجمالي الزردكاش الكبير* واستحثهم على الخروج إلى حلب.[1]

وإزاء الأوضاع المضطربة في السلطنة من الناحية الأمنية والاقتصادية حيث جاءت الأخبار من حلب بأن العسكر قد ثار على الأمير أزبك الأتابكي وأراد العودة إلى حلب، وتزايدت الإشاعات بوقوع فتنة كبيرة من قبل الجلبان،*[2] فضلاً عن الأوضاع الاقتصادية الصعبة المتمثلة بتضاءل الخبز والطعام وغلاء الأسعار ومضاعفتها وازدياد طغيان المماليك وهجوم العربان البدو والأضرار التي لحقت بالسلطنة جراء ذلك. وأخبار ابن عثمان تصل إلى مصر بوتيرة عالية عن تحركاته نحو البلاد الحلبية،[3] ولذلك انتهج السلطان المملوكي قايتباي سياسة مزدوجة من خلال استعداداته العسكرية المشحونة بالفوضى من جهة، وعزمه على الصلح مع ابن عثمان من جهة ثانية، وهنا تبدأ المرحلة الثالثة من العلاقات بين السلطان قايتباي والسلطان بيازيد الثاني.

3- مرحلة توقيع الصلح الأول بين الطرفين عام 1486- 1488م:

إن أول عمل قام به السلطان قايتباي هو فك قيد أسر أحمد بن هرسك وبقية الأسرى وتجهيزهم للسفر إلى بلادهم،[4] وقبل سفر القائد العثماني أحمد بن هرسك وافق السلطان قايتباي على استقباله، وأثناء اللقاء طلب منه السلطان أن يبلغ الباديشاه بأن هذه الحرب لا طائل منها، وأنه على استعداد لعقد صلح تُقرّ به الأطراف بحدود ما قبل الحرب، وأيضاً أن يبلغه أنهم لا يرغبون في الحرب مع الدولة العثمانية التي تجاهد ضد المسيحيين، وأن هذا لا يليق بهم، كما طلب منه أن يبلغ الباديشاه أنه لا ينوي ترك أراض للدولة العثمانية بعد هذا اللقاء.

وقد حمل القائد العثماني أحمد بن هرسك هذه الرسالة الشفهية إلى السلطان بيازيد،[5] وهذا ينم عن رغبة أكيدة من السلطان قايتباي لإقامة الصلح مع الدولة العثمانية، وخصوصاً بعد إكرامه من قبل السلطان قايتباي ودخوله دمشق مكرماً ومعه النائب والقضاة والأمراء والكبير من العامة.[6]

---

* الزردكاش الأول: هو المسؤول عن صنع السلاح وصيانته. انظر ابن دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص86.

[1] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص186. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص230.

* الجلبان هم المماليك الذين جلبوا حديثاً. انظر: محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص53.

[2] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص177-189.

[3] ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص237.

[4] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص188.

[5] يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص190.

[6] علاء الدين البصروي: تاريخ البصروي، ص117.

وبعد وصول أحمد بن هرسك إلى استانبول عام 1487م شرح للسلطان الرسالة الشفوية التي حملها من السلطان قايتباي، وتأكيداً لحصول صلح بين الطرفين يذكر ابن طولون: "أرسل السلطان أبو يزيد صهرَه حسن بك بن هرسك إلى السلطان قايتباي، وقد دخل دمشق عام 1487م فخرج النائب وأرباب الدولة لاستقباله".

ولأجل إتمام الصلح بين الطرفين أرسل السلطان قايتباي من طرفه يعقوب بك إلى السلطان بيازيد الثاني، حيث حمله السلطان رسالة مفادها حسب ما أوردها ابن طولون: "إن أراد أبو يزيد الصلح فليسلم لنا بلادنا: أدنة وطرسوس وقرمان، وإن أراد المحاربة فأنا أمشي إليه بنفسي".[1] وهذا يبين بوضوح حدود دولة المماليك في الشمال المتاخمة لأراضي الدولة العثمانية، لكن هذا الصلح لم يكتمل؛ لأن الصفاء استمر بين الدولتين قرابة سنة ونصف،[2] وبالتالي فإن هذا الصلح لم يستمر لعدم جدية المساعي العثمانية التي كان القصد منها الخديعة.

والدليل على ذلك أنه في فترة الصفاء التي استمرت نحو سنة ونصف أرسل شخص يدعى إياس* رسالةً إلى السلطان بيازيد الثاني يصف فيها الاضطراب الذي يسود مصر والشام، ويستحثه على أن يقتنص هذه الفرصة السانحة ليهاجم المماليك، ويرسل بعض السفن إلى طرابلس الشام والإسكندرية، لكي يتمكن من إدخال الدولة العثمانية في طاعته،[3] ومن ثَمَّ كان العسكر العثماني على استعداد كامل منتظراً الهجوم على المواقع المملوكية، وخصوصاً بعد وصول أخبار الاضطرابات الحاصلة داخل الأراضي المملوكية عن طريق جواسيس السلطان بيازيد، بالإضافة إلى انسحاب جيش الأمير أزبك الأتابكي إلى القاهرة، فأيقن السلطان بيازيد بأن الفرصة قد أصبحت مواتية للتحرك العسكري وهنا تبدأ المرحلة الرابعة.

4- مرحلة تجدد المعارك بين الطرفين عام 1488- 1491م

قرر السلطان بيازيد استئناف العمليات العسكرية ضد المماليك بوتيرة أكبر من خلال الهجوم براً وبحراً، فقد أوكل قيادة الجيش البري للقائد علي باشا، وقيادة الجيش البحري للقبطان أحمد باشا بن هرسك.[4]

ويذكر ابن طولون: " فجأة عام 1488م وصلت الأخبار من حلب بتحرك السلطان أبي يزيد نحو بلاد السلطان، ووصل كتاب من نائب عينتاب بأن عسكر ابن عثمان وصلوا إلى أضنه، وأن قسماً آخر

---

[1] ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص74-80.

[2] محمد بن طولون: إعلام الورى، ت: محمد دهمان، وزارة الثقافة، دمشق، 1964، ص86.

* إياس: من المرجح أن إياس جاسوساً يعمل لحساب العثمانيين. انظر أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، هامش1، ص47.

[3] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومقدماته، ص47.

[4] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص123.

جاء من البحر"[1] وبالفعل اصطدم الجيش البري الذي يقوده القائد علي باشا بالقوات الرمضانية والترغودية في أضنة وهزموهم، ثم تابع تقدمه فدخل إياس واستولى على قلعتها بغير قتال،[2] وهذا ما يرويه البصروي أنه: "في عام 1488م جاء الخبر باستيلاء جماعة ابن عثمان على مدينتي إياس وطرسوس[3] ثم توجهت فرقة من الجيش العثماني نحو مصيصة فاستولت عليها، وعلى قلعتها المعروفة بعين الزربه، ثم توجهت نحو مدينة سيس فتم الاستيلاء عليها وهدم سورها".[4]

وبسبب هذه الأحداث غضب السلطان قايتباي واضطرب، ولتجهيز تجريدة لملاقاة بني عثمان استدعى بطرك النصارى، ورئيس اليهود وفرض عليهم أموالاً وأمر بمصادرة أموال الناس، ونادى بالعسكر للعرض، وحضر الأتابكي أزبك فتم تجهيز الحملة التي ضمت الأمراء المقدمين أحد عشر أميراً، ومن الأمراء الطبلخانات* والعشرات أكثر من ستين أميراً، ومن الجنود نحو أربعة آلاف مملوك، وعدّت هذه الحملة من النوادر لضخامتها، ثم بادر السلطان على إرسال ثلاثة من الخاصكية* لكشف أخبار ابن عثمان على عجل وأمرهم بإرسال الأخبار بمنتهى السرعة.[5]

وبعد إتمام التجهيز العسكري ودفع النفقة والرواتب للجنود خرجت الحملة بقيادة الأتابكي أزبك من القاهرة عام 1488م ووصلت إلى الشام، ثم توجهوا إلى حلب بعد انضمام الجيش الدمشقي بانتظار الأوامر للهجوم،[6] وقد بلغت كلفة الحملة قرابة مليون دينار.[7] وعندما علم العسكر العثماني بالحملة العسكرية المملوكية وتجمعها في حلب قرر قائد الجيش البري علي باشا أخذ المبادرة للهجوم على الجيش المملوكي، بينما القائد البحري القبودان أحمد بن هرسك أراد فرض حصار بحري على مينائي أياس وطرابلس بهدف إغلاق المنافذ البحرية الهامة بوجه المماليك وإجبار الجيش المملوكي على استخدام الطرق البرية القديمة التي تمر بشاطئ البحر عند حافة الجبال.[8]

---

[1] ابن طولون، إعلام الورى، ص76.

[2] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية– المملوكية 1464– 1517م، ص123.

[3] علاء الدين البصروي: تاريخ البصروي، ص128.

[4] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية– المملوكية 1464– 1517، ص124.

* الطبلخانات: وهم الأمراء الذين يرتقون إلى درجة تستحق بها أن تضرب الموسيقى على بابه ويكون أمراء أربعين محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص106.

* الخاصكية وهم نوع من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من المماليك الأجلاب الذين دخلوا في خدمته صغاراً ويجعلهم من حرسه الخاص. انظر: محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص66.

[5] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص189.

[6] ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص95.

[7] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص190.

[8] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية– المملوكية 1464– 1517م، ص126.

ويذكر ابن اياس أنَّ "السلطان أبي يزيد قد بعث عدّة مراكب من جهة البحر وهي مشحونة بالعسكر قد وصلت إلى جهة باب الملك ليقاطع بها على العسكر المصري".[1]

وتبوأ باب الملك بموقع جغرافي واستراتيجي هامٍ على الشاطئ بين البحر والجبال، ووصف بأنه طريق صعب جداً لا يمر به إلا واحد،[2] وعند هذا الباب حصلت المناوشات بين الجيشين المملوكي والعثماني، حيث ذكر ابن طولون أنه "هجم أوائل المشاة ومعهم ابن اسماعيل شيخ نابلس وأوائل العسكر داخل باب الملك عن طريق دلّوا عليه فخرج عليهم من خلفهم كمينُ ابن عثمان من البحر وغيره وذهب خلفهم جانب عظيم من العسكر وأخذوهم وسطاً وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وغرق من الفريقين آخرون منهم شد الشون* ونائب حماه سيباي".[3]

وعندما علم الأتابكي أزبك بالهزيمة التي حلت بالجيش المملوكي خرج من حلب على رأس قوة عسكرية استطاع السيطرة على باب الملك، واستخلاصه من العسكر العثماني الذين أتوا إليه في ستين مركبة محملة بالمقاتلين والأسلحة. ففي البداية اضطرب العسكر المصري[4]جراء القصف الشديد الذي تعرض له من الأسطول العثماني.

ويروي ذلك ابن اياس حيث يقول: "وانقطعت قلوب المقاتلين وظنوا أنهم مأخذون لا محالة ولولا تدخل العناية الإلهية لفنوا على آخرهم".[5] وبالفعل هبت ريح عاصفة أغرقت معظم هذه المراكب ومن فر من العثمانيين وصعد إلى البر قتل،[6] من ثَمَّ لم تنجح خطة السلطان بيازيد الثاني، والتي كان الهدف منها قطع الطريق على الأتابكي أزبك الذي استمر في تقدمه[7] حتى وصل إلى سهل يقع بين أدنة وطرطوس يعرف بأغا جايري[8] حيث التقى بالجيش العثماني، وفي هذه المعركة قُتِلَ عددٌ كبيرٌ من الفريقين، وكانت النصرة فيها للجيش المصري، ووصل الخبر إلى القاهرة فدقت البشائر.[9] وهذا ما رواهُ

---

[1] ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص254.

[2] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية– المملوكية 1464– 1517م، ص127.

* الشون: تم ترجمتها في معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، للمؤلف محمد دهمان بأنها سفن حربية كبيرة، ص100. لكنني أظن أنها مكان للمؤنة وتستعمل حتى الآن بالأرياف، الباحثة.

[3] ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص97.

[4] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص190.

[5] ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص255.

[6] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص190 وأيضاً أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص48.

[7] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص48.

[8] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية – المملوكية 1464– 1517م، ص126.

[9] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص190.

ابن طولون أنه في "عام 1488م وصلت الأخبار بالتقاء الفريقين بالقرب من أضنة وخذل الله عسكر ابن عثمان فانكسروا".[1]

وبعد هذا الانتصار الذي حققه الأتابكي على العسكر العثماني توجه نحو أدنة، يقول ابن إياس بهذا الصدد: "وبعد حصار دام ثلاثة أشهر، حيث قُتِلَ خلال الحصار خلقٌ لا يحصى من الطرفين أخذها الجيش المملوكي بأمان".[2] ويروي ابن طولون أنه: "وصلت إلى دمشق رؤوس العسكر العثماني وسناجقهم فتلقاها الناس بفرح وسرور وزينت المدينة زينة عظيمة".[3]

ثم تابع السير مغلباي البجمقدار بهذه الرؤوس إلى القاهرة وكان عددها نحو مائتي رأس موضوعة على الرماح، ودخل المدينة في موكب حافل فخلع عليه السلطان.[4] ورغم الانتصار الذي حققه المماليك على العثمانيين في سهل أغا جايري عادت الفتنة إلى المماليك الجلبان؛ لأن همهم هو الحصول على النفقات دون النظر إلى حالة الدولة المالية وسوء الأوضاع الاقتصادية.[5]

والدليل على ذلك أنه عند عودة المماليك الجلبان إلى القاهرة بعد الانتصار الذي حققوه على الجيش العثماني أثاروا فتنة كبيرة إذ أرادوا النفقة بسبب نصرهم.[6]

ويروي ابن إياس أن "المماليك الجلبان أبلغوا السلطان قايتباي إذا لم يعطنا السلطان نفقة قتلنا الأمراء والمماليك الذين كانوا في مصر ولم يسافروا".[7]

وعلى إثر ذلك اجتمع السلطان قايتباي بالقضاة الأربعة وقال لهم: إن الخزائن نفدت من مال، وأن المماليك يقصدون فتنة، وبعد الإجماع قرروا فرض أجرة شهرين على أرباب الأملاك والأوقاف بمصر مساعدة للسلطان على النفقة.[8] وخلال ذلك من عام 1489م هاجم الأمير شاه بداق بن دلغادر* ومعه عسكر ابن عثمان أخيه الأمير علي دولت في ألبستان وقبض على اثنين من أولاده. وبعد فترة وجيزة

---

[1] ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص97.

[2] ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص256.

[3] ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص98.

[4] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص190.

[5] سمر فراج: موسوعة التاريخ الإسلامي (دولة المماليك)، مركز الراية، القاهرة، ط1، 2007، ص183. وأيضاً محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر والشام، ص470.

[6] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص190.

[7] ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص260- 261. وأيضاً ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص190.

[8] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص191.

* شاه بداق بن دلغادر: كان مسجوناً بقلعة دمشق استطاع الفرار من سجنه والتحق بابن عثمان الذي أكرمه وأقام عنده وأعد له عسكراً لمحاربة أخيه علي دولت الذي أصبح موالياً للسلطنة المملوكية. ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص188- 189.

وردت الأخبار من نائب حلب مفادها ما أورده ابن اياس أن "العسكر العثماني قد طمع في أخذ البلاد الحلبية واستولى على عدة قلاع"[1] مستغلاً رجوع العسكر المصري إلى القاهرة، فأخذ النائب يحث السلطان قايتباي للخروج بحملة على الفور لحفظ مدينة حلب، وعندما عرف السلطان ذلك عرض العسكر وعين الحملة وجعل على قيادتها الباش قانصوه الشامي، أحد المقدمين الألوف وضم إليهم عدداً من الأمراء، وأنفق عليهم وعلى الجند وأمرهم بسرعة الخروج لمواجهة ابن عثمان وحليفه الأمير شاه بداق.[2] وعندما علم الأمير علي دولت بخروج الحملة من مصر هاجم أخاه شاه بداق وجماعة من أعيان أمراء السلطان العثماني فانتصر عليهم، وقتل أغلبهم وأسر اسكندر بن جيحان أحد أمراء بني عثمان، ونهب الكثير من القرى التابعة للسلطنة العثمانية، وبعد ذلك أرسل إلى القاهرة الباشا اسكندر بن جيحان بالزنجير ومعه مائتي رأس من عسكر ابن عثمان حيث علقوا في حلب والشام.[3]

وفي عام 1489م قدم إلى القاهرة قاصداً من الصدر الأعظم داوود باشا حيث أشار إلى السلطان قايتباي بأن يبعث قاصداً إلى ابن عثمان لعله يفلح في إقامة الصلح، فكان جواب السلطان أنه إذا أطلق تجار المماليك الذي عنده وبعث مفاتيح القلاع التي أخذها كاتبناه في أمر الصلح وأرسلنا له قاصداً،[4] وإن رُفضَ طلب الصدر الأعظم من قبل السلطان قايتباي كان من منطلق القوة، وخصوصاً بعد انتصاره على الجيش العثماني في سهل آغا جايري، ومحاولته إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول الأوروبية.[5]

ولإنهاء الحرب بين الدولتين تدخل بعض علماء الروم حيث أشار البصروي بقوله: "في أواخر عام 1489م وصل إلى دمشق الشيخ أبو بكر، وهو من كبار علماء الروم، وقال: إن شيخه وعلماء الدولة العثمانية غير راضين عن فعل ابن عثمان ومعاداة المماليك، وإن الكفار قد طغوا عندما رأوا القتال بين المسلمين، وأشاروا بالصلح، فأجابه علماء الشام: اذهب إلى السلطان قايتباي وتدارس معه الصلح، ونحن ننفذ ما تم الاتفاق عليه، توجه الأمراء إلى الشمال والرسول إلى مصر".[6] ويروي ذلك أحمد متولي أنه في أواخر عام 1489م جاء رسول من قبل العثمانيين يعرض الصلح، إلا أن الاتفاق لم يتمَّ نظراً إلى اشتراط السلطان المملوكي إطلاق سراح الأسرى المماليك، وتسليم مفاتيح القلاع التي استولى عليها

---

[1] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص264-265.

[2] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص193. وأيضاً ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص266.

[3] ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص107. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص267.

[4] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص193.

[5] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص138.

[6] علاء الدين البصروي: تاريخ البصروي، 143.

العثمـانيون، لكـن المسـاعي العثمانيـة كـان القصـد منهـا الخديعـة؛[1] لأن السـلطان بيازيـد الثـاني علِـم بالاضطرابات الداخلية والأوضاع المالية المتردية التي كان يواجها عن طريق جواسيسه الذين أرسلوا إلى الشام لجمع المعلومات عن تحركات الجيش المملوكي عند الحدود، وأحوال السلطنة المملوكية[2] ولذا بادر إلى إرسال قاصد إلى القاهرة لعرض الصلح على أساس الاحتفاظ بمفاتيح أدنه وطرسوس وكولك وكواره معتقداً أن السلطان قايتباي، تحت عبء الظروف الضاغطة، سوف يكف عن متابعة الحرب ويوافق على شروط الصلح، لكن السلطان قايتباي رفض الطرح العثماني وعدّه محاولة لكسب الوقت.[3]

وفي عام 1490م قدم إلى القاهرة شاه بداق بن دلغادر بعد أن وقع بينه وبين ابن عثمان خلاف، وكاد أن يقتله فهرب والتجأ إلى السلطان قايتباي، فلما حضر أكرمه وخلع عليه،[4] وفي العام نفسه جاءت الأخبار من الأمير علي دولت بأن ابن عثمان اهتم بتجهيز العسكر، وقد وصل أوائله إلى كولك، وأخذ الأمير يستحث السلطان على متابعة القتال ضد ابن عثمان الذي حشد تلك الجيوش على الحدود بآسيا الصغرى.[5]

ولما وصل الخبر إلى السلطان قايتباي جمع الأمراء وأخذ رأيهم في تجهيز حملة جديدة لمواجهة ابن عثمان، حيث بلغت النفقة على الأمراء والجند نحو خمسمائة ألف دينار، وكانت هذه الحملة آخر حملات السلطان قايتباي إلى ابن عثمان، وعند الانتهاء من تجهيز الحملة خرجت من القاهرة برئاسة الأمير أزبك الأتابكي، ومعه عدد من الأمراء وعددهم عشرة، أما الأمراء العشرات والطبلخانات فكان عددهم نحو خمسين أميراً، أما المماليك السلطانية فبلغ عددهم نحو أربعة آلاف مملوك. وقد وصل العسكر المملوكي إلى حلب ثم توجه إلى بلاد ابن عثمان.[6]

وقبل أن يحصل الصدام بين الطرفين أرسل القائد أزبك الأتابكي جاماي الخاصكي رسولاً إلى ابن عثمان للبحث عن إمكانية عقد صلح مع العثمانيين بناءاً على توصيات السلطان قايتباي،[7] وعندما تأخر الأمير أزبك عودته ووصلته أخبار بأن السلطان بيازيد أهان الأمير ماماي الخاصكي وحبسه تحت

---

(1) أحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، ايتراك للنشر القاهرة، ط1، 2002، ص176.

(2) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص48-49.

(3) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص138.

(4) ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص193- 194. وابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص 268. وابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص114.

(5) ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص269. ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص194.

(6) ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص194-195.

(7) ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص276. وأيضاً ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص195.

الأرض وهمّ بقتله وكان ينوي سلخه وإحراق رفاقه،[1] زحف الأمير أزبك بالجيش المصري على أطراف بلاد بني عثمان ووصلوا إلى قيسارية وقتلوا بها ونهبوا عدة قرى وأحرقوها.[2] ويروي ابن طولون أنه "في عام 1490م وصلت الأخبار إلى دمشق بأن عسكرها خرّب بلاد بني عثمان وفسق في نسائها وقتل خلائق منها، وحرقها وذلك انتقاماً لما فعله السلطان أبو يزيد بالأمير المملوكي ماماي الخاصكي رسول السلطان قايتباي".[3] ثم توجه الجيش المملوكي نحو قلعه كوارة فتمت محاصرتها ثم أخذها بأمان.[4] وبعد هذه الانتصارات التي حققها الجيش المملوكي وردت أخبار بأن العسكر قلق ويطالب بالمجيء إلى مصر. وأُزعجَ السلطانُ بسماع هذه الأخبار فأرسل عدة مراسيم للأمراء بالإقامة فلم يسمعوا له.[5] ويذكر ابن اياس أنه "جاءت الأخبار بأن الأمير أزبك الأتابكي دخل إلى الشام، وكذلك الأمراء والنواب والعسكر قاصدين الدخول إلى القاهرة من غير إذن، وقد جاؤوا بنية وقوع فتنة وصرّحوا بذلك".[6]

وما إن دخل الجيش المصري إلى القاهرة من حملته الأخيرة، حتى ثار المماليك الجلبان مجدداً وطالبوا بالإنفاق عليهم بسبب النصرة التي وقعت لهم،[7] ولما رأى منهم عين الجد أنفق عليهم من المال المفروض على الأوقاف والأملاك في القاهرة ودمشق والاسكندرية ودمياط، وقد اضطر في كثير من الأحيان إلى قطع الأرزاق، وهذا بدوره أدى إلى خراب الدولة، فلم يعد أمام السلطان قايتباي لإنقاذ الدولة إلا إقامة السلام مع العثمانيين ووقف العداء بينه وبينهم،[8] فاتصل بسلطان تونس الحفصي يحيى الثالث (1488-1494م)* عام 1491م يطلب منه التوسط بينه وبين العثمانيين وإحلال السلام بينهما،[9] وهنا تنتهي مرحلة الصدام بين الدولتين وتبدأ مرحلة السلام والصلح بينهما.

---

[1] ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص129.

[2] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص195.

[3] ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص129.

[4] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص275.

[5] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص196.

[6] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص275. وأيضا ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص196.

[7] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص276.

[8] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص148.

* يعرف بأبو زكريا يحيى (1488_1494م) هو من الأسرة الحفصية الحاكمة لتونس تولى حكم تونس عام 1488م وتوفي عام 1494م. انظر: عبد القادر حمودي الطائي: الدولة العثمانية في عهد السلطان بيازيد الثاني، ص89.

[9] يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص191.

ثانياً تحسن العلاقات بين السلطنة والدولة العثمانية وإتمام الصلح بينهما من عام 1491-1500م

أسهمت عدة عوامل لإتمام الصلح وإقامة السلام بين الدولتين عام 1491م، ومن هذه العوامل:

أ- عندما قرر السلطان بيازيد الثاني إعداد حملة عسكرية انتقاماً للمجازر التي ارتكبها الأمير أزبك في قيسارية بحق المدنيين، فضلاً عن سيطرته على قلعة كواره، وعندما انتهى من التجهيزات انطلقت الحملة من الإسكودار من الجهة الشرقية للعاصمة استانبول.[1] فهاج السحاب فجأة وأظلم الجو بريح عاصف ثم تكاثر المطر مثل الطوفان، ونزلت صاعقة في معمل البارود باستانبول فالتهب بسببها، ولشدتها جعلت أعالي المعمل سافلة فانهدم ثلاثمائة منزل واختل أربعمائة، ومات ما يقارب ألفي نفس حتى السلطان كاد أن يهلك،[2] وبما أن السلطان الحفصي أبا زكريا يحيى أرسل رسوله متولي القضاء محمد الحلفاوي بناءً على طلب السلطان قايتباي لإنهاء الصراع بين الطرفين استدعى السلطان بيازيد الثاني رسول السلطان الحفصي بالحال وقبل وساطته بالصلح.[3]

ب-رغبة السلطان بيازيد التدخل في الروميلي، وحصار بلغراد، لذا أراد إنهاء الحرب مع المماليك.[4]

ج- اضطرار السلطان قايتباي لإنهاء الحرب مع العثمانيين وإصلاح علاقته معهم، خصوصاً بعد تدهور أوضاع بلاده الداخلية بعد الحملة الأخيرة التي تركت آثاراً سلبية على الاقتصاد المملوكي.[5]

د- إن الشغل الشاغل للسلطان بيازيد الثاني عام 1491م هو مشكلة أخيه جم الموجود في أوربا، وخوفاً من استغلاله من قبل البابا، وشن حملة فرنجية عليه لم يرسل معظم قواته أثناء حربه مع السلطنة المملوكية، وإنما أرسل جزءاً منها، ولذا أراد إنهاء الحرب معها.

هـ- أراد السلطان بيازيد الثاني إنهاء الحرب مع السلطنة المملوكية من أجل السيطرة على بلاد الأمير حسن الطويل بعد ورود أخبار أن بلاده تعاني من اضطرابات، ولذا أراد أخذها من أولاده.[6]

---

(1) ابراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص73.

(2) ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص139.

(3) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص146.

(4) محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العثمانية، ص70.

(5) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص146-147.

(6) ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص199-200.

بعد ذكر العوامل من كلا الجانبين لإتمام عملية الصلح والسلام بين الدولتين نجحت مساعي رسول السلطان الحفصي متولي القضاء الحلفاوي مع السلطان بيازيد الثاني، حيث أظهر السلطان الأخير استعداداً لعقد اتفاقية سلام مع السلطنة المملوكية وفقاً للبنود الآتية:

أ- تسلم للعثمانيين مفاتيح القلاع التي استولوا عليها بما فيها أدنة وطرطوس وكولك.

ب-عدّ هذه الأماكن المتنازع عليها مشمولة بحماية الحرمين الشريفين (مكة والمدينة).[1]

ج- إبقاء الأقاليم التابعة لكليهما كما كانت من قبل.[2]

د- الاعتراف بتبعية إمارة قرمان للدولة المملوكية وإمارة دلغادر للعثمانيين.[3]

هـ-إخلاء الأراضي في إقليم كيليكيا من القوات العثمانية وإعادته مجدداً للحكم المملوكي.

و- عودة حرية التجارة المملوكية ضمن الأراضي العثمانية.[4]

بادر السلطان بيازيد بالصلح عام 1491م عندما أرسل القاضي علي جلبي سفيراً له إلى السلطان قايتباي، وكان هذا السفير من أجل قضاة بورصة، وهو من أهل العلم ومعه الأمير ماماي الخاصكي الذي كان أسيراً عند ابن عثمان، فضلاً عن مفاتيح القلاع التي استولى عليها العثمانيون.[5] ويذكر ابن طولون أنه "وصل إلى دمشق سفير السلطان ومعه الأمير ماماي من أجل الصلح ومعهما الشيخ بدر الدين، ونزلوا بالمرجة قبلي القصر الأبلق، وتوجهوا آخر الشهر إلى مصر، ولدى هذا السفير موافقة السلطان العثماني على مطالب المماليك، وتؤكد على استعداده للانسحاب من كيليكيا"[6]

وعند وصول سفير السلطان بيازيد الثاني إلى القاهرة أحسن السلطان قايتباي استقباله، وأكرمه وسارع إلى إصدار قرار بإطلاق سراح الأسرى العثمانيين لديه،[7] وعلى رأسهم الاسكندر بن جيحان أحد باشوات السلطان بيازيد الثاني الذي أسر، وسجن فأحسن إليه السلطان، وكساه وأطلق الأسرى العثمانيون وكساهم، وأحسن إليهم وتوجهوا إلى بلادهم مع قاصد السلطان بيازيد القاضي علي جلبي عندما سافر.

وفي عام 1491م خرج قاصد السلطان قايتباي جان بلاط إلى ابن عثمان فظهر في تجمل زائد وموكب حافل،[8] وذلك من أجل إعادة الجواب في أمر الصلح،[9] وعندما وصل قاصد قايتباي إلى

---

(1) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص149.

(2) Shaw: Op. Cit, P73.

(3) يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص191.

(4) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص152.

(5) ابراهيم علي طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة 1382- 1517م، ص173. ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص189-199

(6) ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص138.

(7) ابراهيم علي طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة 1382- 1517م، ص173.

(8) ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص199.

(9) ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص147.

دمشق التقى بالقاضي علي جلبي وتوجهوا جميعاً إلى بلاد السلطنة العثمانية.[1] ويذكر ابن طولون أنه "في عام 1492م رجع إلى دمشق الأمير جان بلاط الذي أرسله السلطان قايتباي إلى أبي يزيد في أمر الصلح، وقد أنعم عليه وعلى ستة أنفار معه بالخلع والجواري والهدايا وقال: إنه راضٍ بما أراده السلطان منه وفرح الناس بذلك".[2] وعند وصول رسول السلطان الأمير جان بلاط القاهرة تلقاه أرباب الدولة وأنعم عليه السلطان قايتباي بتقدمة ألفٍ[3] لأنه سُرَّ بما تضمنته معاهدة السلام من بنود إيجابية كانت لصالح دولة المماليك.[4] وعلى الرغم من إتمام معاهدة الصلح وإقامة السلام بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية، فإن هذه المعاهدة وُصِفَتْ بأنها هشة للغاية؛ لأن الصراع السياسي استمر دون انقطاع،[5] ورغم ذلك استمرت فترة الهدوء بين الدولتين وتبادل الزيارات حيث لقي القاصد الترحيب وحسن الاستقبال، وحين يحضرون والهدايا الثمينة معهم يعودون بهدايا أثمن.[6] وعلى ذلك يمكن القول: إن العلاقات بين الدولتين تحسنت إلى حد كبير بدائل منها، عقد أواصر المصاهرة بين الأسرتين الحاكمتين عندما زوج السلطان بيازيد ابنة أخيه الأمير جم من السلطان المملوكي قايتباي،[7] بالإضافة إلى ذلك نشطت حركة التبادل التجاري بين الطرفين حيث اشترى المماليك الأخشاب، والحديد والبارود من آسيا الصغرى كونها غير موجودة في مصر.[8] وبلغ حرص السلطان قايتباي على صفاء العلاقات بينه وبين السلطان بيازيد الثاني إصداره قراراً بقتل أحد أمراء قرمان، وكان قد التجأ إلى تبريز ثم غادرها إلى الأناضول محاولة منه لاستعادة إمارة قرمان لكنه هزم وألتجأ إلى السلطنة المملوكية.[9]

ومن الجدير بالذكر أن الأوضاع الداخلية في السلطنة المملوكية كانت تسير من سيئ إلى أسوأ حتى وفاة قايتباي عام 1496م، حيث كانت وفاته نقطة تحول خطيرة في تاريخ السلطنة وبداية النهاية لها،[10] فعندما استلم ابنه الملك الناصر محمد 1496- 1498م * بادر بإرسال خاير بك إلى السلطان

---

[1] علاء الدين البصروي: تاريخ البصروي، ص148.

[2] ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص147.

[3] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص199.

[4] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص152.

[5] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص56.

[6] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص203.

[7] يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص191.

[8] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص155.

[9] يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص201.

[10] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص203.

* السلطان الملك الناصر محمد بن قايتباي 1496- 1498م بويع بالسلطنة وهو صغير، فسيطر على البلاد الأتابكي قانصوه خمسمائة وعمت البلاد الفوضى والفتن. وإبان الحرب الأهلية التي اندلعت عين الأمير أقبردي والأمير قانصوه بن قانصوه خال السلطان باغت الأمير طومان باي السلطان الناصر وقتله. انظر: عمار النهار تاريخ المماليك، ص73.

العثماني بيازيد لإخباره بنبأ اعتلائه العرش حتى تبقى علاقات الود قائمة بين الدولتين،[1] لكن بعد قتله عام 1498م بتآمر من الأمراء جاء بعده سلاطين كانت نهايتهم العزل والقتل، واتسم حكمهم بالمنازعات واضطراب الأحوال الداخلية حتى اعتلاء السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري 1500- 1516 [2] وإبّان حكمه بقيت العلاقات حسنة بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية منذ توقيع الصلح عام 1491م حتى نهاية عصر السلطان بيازيد الثاني عام 1512م حيث ازدادت العلاقات تحسناً بدليل الرسائل الكثيرة والتحف والهدايا المتبادلة بينهما،[3] وهذا ما سوف نتطرق إليه بالتفصيل عند معالجتنا للفصل الثاني، وختاماً نستنتج ما يلي:

أنه اتسمت العلاقات العثمانية المملوكية بالتوتر بعد وفاة السلطان محمد الفاتح عام 1481م وخصوصاً بعد اعتلاء الأمير بيازيد عرش السلطنة العثمانية عام 1481م وصراعه مع أخيه الأمير جم الذي رفض مبايعته، وسعى إلى تقسيم السلطنة العثمانية، فتم استغلاله من قبل قوى محلية (القبائل التركمانية) وقوى إقليمية ممثلة بالبداية بالسلطنة المملوكية، حيث ساعده سلطانها قايتباي بعد لجوءه إليه، وكان ذلك أهم الأسباب التي دعت إلى الصدام المسلح بين الدولتين العثمانية والمملوكية، كون الدولتان لهما حدود مشتركة شرقَ الأناضول وجنوبَها.

ومن الأسباب الأخرى: تحريضُ المماليك للقبائل التركمانية (الورسق والرغود) لإحداث فوضى على الحدود الشمالية للدولة المملوكية، فضلاً عن ذلك تَعرُّضُ قوافل الحج العثمانية للنهب والسطو من قبل القبائل عند إقليم كيليكيا، وحتى داخل الأراضي المملوكية، وعندما طلبوا مرافقتها بقوة عسكرية رفض المماليك، وهذا بدوره زاد العداء بين الدولتين. وعندما طلب حاكم دلغادر علي دولت مساعدة السلطان بيازيد الثاني ضد السلطنة المملوكية أمده بقوة عسكرية، وهذا شكل بدايةَ الصراع المسلح بين الدولتين، ورغم انكسار العثمانيين وإلحاق الهزيمة بهم إلا أن المماليك لم يحققوا نصراً حاسماً عليهم، واستمر هذا الوضع التصادمي حتى عام 1491م حيث توجه السلطان بيازيد الثاني لإعلان مبادرة للصلح وإقامة سلام بينهما وفقاً للشروط التي وضعتها السلطنة المملوكية، وبفضل هذه المبادرة تم إقامة معاهدة صلح وسلام بين الدولتين، واستمرت العلاقات الحسنة بين الطرفين حتى وفاة السلطان بيازيد الثاني عام 1512.

---

[1] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص51.

[2] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص203.

[3] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص51.

الفصل الثالث:

تحسن العلاقات بين الدولتين ثم توترها 1500-1517م

أولاً تحسن العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية مابين عامي 1500- 1514م

1ُ_ أسباب الانفراج وتحسن العلاقات بينهما.

1_التهديد البرتغالي لكلا الدولتين.

2_التهديد الصفوي لكلا الدولتين بعد إخضاع الشاه اسماعيل بن حيدر لإمارة دلغادر 1507- 1512

2ُ _ تنازل السلطان بيازيد واستلام الأمير سليم العرش عام 1512- 1514م.

3ُ _ معركة جالديران عام 1514م بين العثمانيين والصفويين.

ثانياً توتر العلاقات بين السلطة المملوكية والدولة العثمانية مابين عامي 1514 – 1516 م

1ُ_عدم مساندة المماليك للعثمانيين أثناء حربهم مع الصفويين.

2ُ_رفض المماليك تسليم ابن أخ السلطان سليم الذي لجأ إليهم.

2ُ _ تعيين على بن شاه سوار على إمارة دلغادر.

4ُ _ كشف السلطان سليم عن إقامة تحالف بين السلطان الغوري والشاه إسماعيل.

ثالثاً: احتلال العثمانيين لبلاد الشام ومصر 1516- 1517م.

1ُ_ معركة مرج دابق 1516م واحتلال بلاد الشام.

2 _ معركة الريدانية 1517م واحتلال مصر.

الفصل الثالث: تحسن العلاقات بين الدولتين ثم توترها مابين 1500- 1527م

أولاً: تحسن العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العمانية مابين عامي1500- 1514م

استمرت العلاقات الجيدة بين العثمانيين والمماليك، واتسمت بالود عقب اعتلاء السلطان الأشرف قانصوه الغوري عرش السلطنة المملوكية عام 1500م والدليل على ذلك الرسائل الكثيرة والهدايا والتحف المتبادلة بين السلطان قانصوه الغوري والسلطان بيازيد الثاني.[1] وفي عام 1502م أرسل السلطان بيازيد الثاني رسالةً لتهنئة السلطان قانصوه الغوري بالسلطنة، عملاً بالعادة القديمة بين الدولتين، تتضمن مدح السلطان المملوكي الغوري، وحثه على إقامة العدل وعمل الخير. ثم جاء رد السلطان قانصوه الغوري على رسالة السلطان بيازيد الثاني بإرسال أحد أمرائه الخاصكية الأمير شجاع الدين هندوباي ومعه التحف والهدايا. وما جاء في الرسالة: يشكر الله سبحانه وتعالى على سلامة وجود السلطان العثماني الذي أرجع العلاقات الطيبة بين الدولتين، كما كانت قبل فترة حكم السلطان قايتباي.[2]

وفي العام نفسه 1502م وصل إلى مصر مبعوث السلطان بيازيد الثاني إلى السلطان قانصوه الغوري حاملاً هدية قَيِّمة له، وقد أحسن الأخير استقبال المبعوث العثماني، وأعد موكباً كبير لاستقباله،[3] وعرض المبعوث العثماني على السلطان الغوري شكاوىَ تقدمَ بها التجار العثمانيون ضد وكيل السلطان الغوري في ميناء الإسكندرية المدعو علي بن الجود بسبب معاملته السيئة، وقد عالج السلطان الغوري على الفور تلك الشكاوي من خلال إقصائه المدعو علي بن الجود من منصبه ومصادرة أملاكه،[4] ثم بادر إلى إرسال الأمير المملوكي قاني الخازندار* ومعه هدية قيمة للسلطان بيازيد الثاني.[5]

ويذكر ابن طولون أنَّ "السلطان قانصوه الغوري أرسل وفداً برئاسة الأمير أزبك وعدد من الأمراء المماليك والتجار المصريين فعاملهم السلطان أبو يزيد بالإكرام ولم يكلفهم شيئاً، وأرسل معهم للسلطان

---

[1] أحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، ص177.

[2] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص51-52.

[3] بيشوف الجرماني: تحفة الأنباء في تاريخ حلب الشهباء، بيروت 1880م، ص118.

[4] حنان جاسم الزهيري: العثمانيون في السياسة المملوكية 1382- 1517م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2002، ص187.

* الخازندار:(الخزندار): وهي مركبة من خزنة، وهي ما يخزن فيه المال، ودار تعني الممسك والمقصود بها ممسك الخزانة. انظر: محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص68.

[5] الجرماني: تحفة الأنباء في تاريخ حلب الشهباء، ص118. وأيضاً ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيين والأتراك، ص219.

الغوري الهدايا والتحف".[1] وهذا بدوره ينمُّ عن علاقات الود التي سلكها كلا الطرفين تجاه بعضهما البعض.

وقد أصبحت الصداقة متينةً بين الجانبين بعد الرسالة التي أرسلها السلطان قانصوه الغوري إلى السلطان بيازيد الثاني، حيث نبهه على المخاطر الناجمة من الفرق القزلباشية* على مناطق الأناضول الشرقية وتوغلهم فيها، وحثَّهُ على محاربتهم، كما عرض عليه المساعدة، وذكر أنه أصدر أوامره إلى أمراء الحدود للاستعداد ضد الطائفة الصوفية.[2]

ففي عام 1504م جاء رد السلطان بيازيد على رسالة السلطان قانصوه الغوري برسالة يمدحه فيها ويشكره على ما قام به ويخبره بأنه على علم بما نبّه إليه من خطر طائفة القزلباش على الممالك الشرقية، ويطلب منه التماس العفو عن دولت باي نائب طرابلس الشام* لما ارتكبه من أخطاء، فأجاب السلطان الغوري عن طلبه برسالة حملها رسوله يونس الخاصكي الأشرفي ومعه رسول السلطان بيازيد سنان بك، وذكر السلطان فيها: "بأنه استجابة لالتماسه عن دولت باي، ويطلب منه أن ينصحه حتى لاينحرف عن الطريق القويم مره أخرى.[3]

إن الخلاف الذي وقع بين السلطان بيازيد الثاني وابنه الأمير قرقود (قرقد) أدى إلى قرار الأخير للرحيل سراً إلى مصر لعلَّ السلطان قانصوه الغوري أن يصلح بينهما.[4]

وبالفعل وصل الأمير قرقود إلى دمياط عام 1509م، ولما علم السلطان قانصوه الغوري بالخبر أمر باستقبال الأمير أحسن استقبال.[5]

ويروي ابن اياس أنه في "عام 1509م وصل إلى القاهرة الأمير قرقد بك ابن السلطان أبي يزيد وشقيق السلطان سليم، فعامله الغوري معاملة الملوك".[6]

---

[1] ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص268.

* الفرق القزلباشية: وهي كلمة مكونة من لفظين: قزل بمعنى أحمر، وباش بمعنى رأس ومعنى الاصطلاح: أصحاب الرؤوس الحمراء، وهو اسم أطلقه الأتراك على تسع قبائل من التركمان كانت تلبس قلانس حمراء وهي روملو، شاملو، استاجلو، تكه لو، ذولقادر إفشار، قاجار، ورساق، وقراباغ. انظر: أحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، ص178.

[2] انظر: أحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، ص179.

* يذكر ابن اجا بأن دولت باي كان نائباً على الشام وليس على طرابلس الشام، وإنما كان قريباً من الملك العادل طومان باي، وقد بلغه ما حل بالملك العادل فخشي على نفسه فهرب إلى ابن عثمان، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص219.

[3] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص54-55.

[4] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص224.

[5] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص64.

[6] ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج4، ص153.

وحين أقام في القاهرة أحسن السلطان قانصوه الغوري استقباله وضيافته وأفاض في إكرامه وبالغ في خلعه عليه وعين له راتباً شهرياً قدره ألفا دينار.[1] وبعد مضي ثلاثة أشهر على إقامة الأمير قرقود في القاهرة، أرسل السلطان الغوري الأمير علان الداوادار إلى السلطان بيازيد لإخباره بمجيئ ابنه الأمير قرقود إلى مصر،[2] وأحسن السلطان بيازيد استقباله وبالغ في إكرامه وأحسن إليه وعاد إلى مصر في بداية عام 1510م.[3]

عندما أراد الأمير قرقود الذهاب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج استأذن السلطان قانصوه الغوري فعلّق موافقته بموافقة والده السلطان بيازيد الثاني، وأرسل الأمير التماساً إلى أبيه مع الشيخ عبد السلام أحد علماء الأزهر، وعندما وصل الشيخ قصَّ على السلطان قصةَ ولده ثم طلب منه الإذن له بالذهاب إلى الأراضي الحجازية، فمكث الأمير قرقود في مصر أربعة عشر شهراً، وقبل عودته إلى بلاده طلب السلطان الغوري من السلطان بيازيد عبر رسالة أرسل إليه أن يعفو عن ابنه قرقود وأن يحسن إليه بحكم بعض المناطق المهمة في الأناضول كلواء أنطاكية وعلائية ومنوغاد وما حولها. فوافق السلطان بيازيد على طلب السلطان الغوري.[4] وفي سنة عام 1510م استأذن الأمير قرقود السلطان قانصوه الغوري في العودة إلى موطنه فأذن له.[5]

ويذكر ابن اياس أنه "في عام 1510م حضر الأمير يونس العادلي إلى ديار ابن عثمان ليشتري الخشب والبارود والحديد، فعلم السلطان أبو يزيد بذلك فأعطاه ما طلب وردّ المال الذي معه وقال له: أنا أجهز بنفسي جيوش السلطان، وبالفعل وصلت إلى القاهرة الذخيرة والأسلحة المطلوبة فسرّ السلطان بذلك.[6]

ومن ثَمَّ انعكست العلاقات الجيدة بين العثمانيين والمماليك في تعاونهما المشترك ضد القوة الأوروبية، حيث خاضت السفن المملوكية والعثمانية قتالاً مشتركاً ضد فرسان القديس يوحنا في عام 1510م بالقرب من الإسكندرية،[7] وهذا بالطبع دليل على علاقات الود والصداقة بين الدولة العثمانية والدولة المملوكية، والذي يبرهن على ذلك كثرة الوفود العثمانية التي زارت القاهرة حيث جرت لهم احتفالات عسكرية وأقيمت لهم ألعاب الفروسية بهدف إظهار قوة الدولة وعظمتها.[8]

---

[1] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص224.

[2] احمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص65.

[3] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص224.

[4] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص65.

[5] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص224.

[6] ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج4، ص196-201.

[7] جلال يحيى، مصر الحديثة 1517- 1805، الاسكندرية، د.ت، ص65.

[8] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص218.

والذي متَّنَ العلاقات بينهما وكانت سبباً للانفراج والتحسن وإقامة الود وصولاً إلى تقديم المساعدات هو التهديد البرتغالي لكلا الدولتين من جهة، والتهديد الذي بلغه الصفويين لكلا الطرفين بعد إخضاع الشاه اسماعيل بن حيدر* لإمارة دلغادر عام 1507م من جهة أخرى.

1 _ أسباب الانفراج وتحسن العلاقات بينهما.

1_ التهديد البرتغالي لكلا الدولتين:

عُدّت السلطنة المملوكية أكثرَ الدول الإسلامية في أواخر القرن الخامس عشر بداية القرن السادس عشر إدراكاً لخطورة نجاح البرتغاليين في الوصول إلى الهند بحراً، حيث تدهورت أوضاعها الاقتصادية،[1] ومن ثَمَّ فإن إلحاق الضرر بمصالح السلطنة الاقتصادية خلال تلك الفترة مرتبط بعوامل داخلية، كالقحط الناتج عن انخفاض مستوى النيل والأوبئة وازدياد الضرائب والنزاع على السلطنة، وبعوامل خارجية متمثلة باكتشاف طريق رأس رجاء الصالح على يد فاسكو دوغاما عام 1498م وتحول تجارة الهند والشرق الأقصى عن طرق التجارة المارة عبر أراضي السلطنة المملوكية.[2]

وكان هذا الغزو البرتغالي أول غزو عسكري أوروبي مسيحي في العصر الحديث لأجزاء هامة من العالم الإسلامي والعالم العربي في الشرق من أجل تحقيق أهداف استعمارية واقتصادية، وعليه يمكن تبيان أهداف البرتغاليين بعد اكتشافهم رأس الرجاء الصالح والدوران حول إفريقيا والوصول إلى الهند بالآتي:

- الاستيلاء على أقاليم شاسعة في الهند وشرقي الجزيرة العربية وجنوبها والساحل الشرقي لإفريقيا المطل على المحيط الهندي، ثم إنشاء مراكز تجارية مسلحة في تلك الأقاليم.
- احتكار تجارة الشرق لأنفسهم من خلال الحصول على مصادر إنتاجها وتشمل: العقاقير الطبية والأقمشة الحريرية والتوابل والبخور والعطور، ثم نقلها عن طريق رأس الرجاء الصالح إلى لشبونة ثم توزيعها في أوروبا.
- مطاردة السفن العربية والإسلامية في المحيط الهندي، وإغلاق الطرق التجارية الخاصة بهم، كطريق الخليج العربي العراق ثم الشام، أما الآخر البحر الأحمر- السويس ثم الإسكندرية عبر أراضي مصر.

---

* اسماعيل بن حيدر: ولد عام 1487م وهو مؤسس الدولة الصفوية في إيران، وسعى إلى نشر المذهب الشيعي في المناطق التي سيطر عليها في الأناضول، وهذا ما أثار غضب السلطان سليم الأول الذي حاربه وهزمه في معركة جالديران سنة 1514م. توفي في أربيل عام 1524م. انظر: أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1979، ج8، ص144.

[1] محمد حميد السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة مابين 1507- 1525م، مركز زايد للنشر والتوزيع، دبي، 2000، ص17.

[2] Ayalom, David, Gunpowder and Firearms In The Mamluk Kingdom: A Challenge To Amedieaval Society, London, 1965, P132.

- وضع مخطط أوروبي خطير للغاية تمثل في دخولهم إلى البحر الأحمر واحتلالهم جدة، ثم الزحف منها إلى مكة المكرمة لهدم الكعبة الشريفة، ثم مواصلة الزحف إلى المدينة المنورة لنبش قبر النبي الأكرم محمد (ص) ثم الزحف إلى تبوك وصولاً إلى بيت المقدس، حيث المسجد الأقصى وقبة الصخرة.[1]

بعد معرفة الأهداف المستوخاة من هذا الغزو البرتغالي يمكن القول: إذا كانت العوامل أو الأهداف الاقتصادية والتجارية بالذات هي السبب الرئيسُ في ركوب البرتغاليين البحر والسيطرة على السواحل الإفريقية والآسيوية فيما بعد، وعلى مضائق التجارة وطرقها، فإن التبريرات الدينية التي تغلفت بها قد وجدت آذاناً صاغية لدى الرأي العام البرتغالي بشكل خاص والأوروبي بشكل عام،[2] والدليل على ذلك قيام ملك البرتغال (أمانويل الأول)* عام 1505م بإرسال رسالة إلى البابا يوليوس الثالث قال فيها: "إنه ليس عازماً على المضي في قتل التجارة المملوكية فقط، بل إنه سيجاهد في النصرانية حتى يجعل من مكة هدفاً لمدافعه وجنوده.[3]

وفي عام 1507م قاد أمير البحر العثماني القبطان كمال الريس حملةً بحريةً إلى الإسكندرية محملة بالمواد الأولية للسلطان المملوكي قانصوه الغوري بالإضافة إلى خمسين مدفعاً جاهزاً وفقاً لأوامر السلطان بيازيد الثاني، وعلى إثر ذلك بدأ السلطان الغوري ببناء أسطوله في ترسانة السويس من أجل إعداد أسطول حربي لمواجهة الخطر البرتغالي.[4]

وفي الوقت نفسه وجَّهَ السلطانُ الغوري نداءً للبابوية في روما يطلب منها منع البرتغاليين والإسبان من التعرض بسوء للمسلمين في المشرق والمغرب، وهددهم بالحرمان من زيارة كنيسة القيامة في القدس وإغلاقها في وجوههم والقبض على رجالها وبعض المسيحيين في مصر والشام،[5] وقد كان هذا رداً على اجتياح البرتغاليين ما بين عامي 1502- 1506م لشواطئ المحيط الهندي واستيلائهم على السفن

---

[1] عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، 2ج، مطبعة جامعة القاهرة، 1980م، ج2، ص667- 668.

[2] محمد حميد السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترى مابين 1507- 1525، ص8.

* أمانويل الأول: أحد ملوك البرتغال عرف بالسعيد أو المحظوظ حكم ما بين 1495- 1520 وإبان حكمه اكتشف فاسكو دي غاما رأس الرجاء الصالح ووصل إلى الهند وعاد إلى لشبونة محملاً بالتوابل. انظر: محمد حميد السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين 1507- 1525، ص10.

[3] محمد حميد السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين 1507- 1525، ص15.

[4] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص159.

[5] محمد حميد السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين 1507- 1525، ص18.

التجارية التابعة للمماليك وإحراق من فيها من الحجاج المسلمين، ومصادرة معظم حمولتها من التوابل والسلع الهندية.[1]

لكن البابوية لم تتأثر بذلك التهديد الأجوف؛ لأنهم على دراية بقوة السلطان وضعف بلاده اقتصادياً، وهذا هو السبب الذي أخّر السلطان الغوري في بدء الاستعدادات العسكرية لطرد البرتغاليين من البحار الشرقية، وحماية طرق التجارة عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر وخصوصاً بعد استيلائهم على سوقطرى عام 1507م وعلى هرمز عام 1508م،[2] وما إن انتهى السلطان قانصوه الغوري من بناء الأسطول أبحر قائد الأسطوال حسين الكردي إلى المحيط الهندي بهدف القضاء على الحصار البرتغالي المفروض على الطرق التجارية.

وفي عام 1508م التقى الأسطول المملوكي المتحالف مع الممالك الإسلامية في الهند، مثل سلطنة الكجرات وحاكم كاليكوت، بالأسطول البرتغالي عند ميناء شيول فو جنوب سلطنة كجرات، وبعد قتال دام ثلاثة أيام عزم البرتغاليون على الفرار خوفاً من الهزيمة، لكن القذيفة التي أطلقت من إحدى السفن المصرية أصابت سفينة القيادة للأسطول البرتغالي فقتل ابن الملك البرتغالي (لورانزوا) وقتل معه حوالي مائة برتغالي.[3]

ورداً على الهزيمة التي لحقت بالأسطول البرتغالي على يد الأسطول المملوكي قام الأسطول البرتغالي انتقاماً لمقتل ابن الملك فرنسيسكو دالميدا بإلحاق هزيمة ساحقة للأسطول المملوكي في معركة ديو البحرية عام 1509م حيث تم تدمير معظم الأسطول المصري والمتحالف معه، وعلى إثر ذلك انسحب القائد حسين الكردي إلى جدة،[4] وهذا الانتصار الذي حققه الأسطول البرتغالي دليلاً على قوته وتسليحه وتدريب بحارته الذين كانوا أكثر خبرةً وكفايةً في الفنون البحرية الحربية من بحارة الأسطول المملوكي.[5]

وعلى أثر الهزيمة التي لحقت بالأسطول المملوكي ازدادت قوة البرتغاليين في الهند واتسعت أملاكهم ونشطت تجارتهم ولحق الأذى بالتجار المسلمين.[6] ويروي ابن إياس أنه "توالت الرسل على السلطان المملوكي من كلكوتا وغيرها من غوجارات الهندية الإسلامية وفي أيديهم مكاتبات للسلطان

---

(1) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص157.

(2) أحمد عبد الرحيم مصطفى: أصول التاريخ العثماني، ص82.

(3) محمد حميد السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترى ما بين 1507- 1525، ص20.

(4) محمد أنيس: الدولة العثمانية والمشرق العربي 1514- 1914، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ص123.

(5) عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، ص698.

(6) محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر والشام، ص554.

تضمن الطلب بسرعة التجهيز لحملة عسكرية إلى جهات الهند لدفع خطر البرتغاليين وتهدده في الوقت نفسه بالتعاون معهم ودفع الجزية لهم إن لم يتمكن من دفعهم خارج المحيط".[1]

وبالفعل بعد أن دمر البرتغاليون أسطول المماليك بصورة كلية تقريباً في معركة ديو البحرية في البحر الأحمر، لجأ المماليك إلى طلب العون والمساعدة من العثمانيين لبناء أسطول جديد، فاستجاب العثمانيون لطلب المماليك بسبب العلاقات الطيبة والحسنة بينهما، حيث وصلت أول مساعدة اشتملت على الأسلحة والتجهيزات العسكرية لاستخدامها ضد البرتغاليين ومنها أربعمائة مدفع وطنان من البارود،[2] لكن المساعدة الثانية التي أرسلت واشتملت على ثلاثين سفينة محملة بالأخشاب وثلاثمائة مدفعٍ تم الاسيتلاء عليها من قبل فرسان القديس في جزيرة رودوس.[3]

وفي عام 1511م أرسل العثمانيون العديد من رجال البحر إلى مصر لمساعدتها في بناء السفن الحربية، فضلاً عن ذلك، اعتمد المماليك على العثمانيين في تجهيزهم بالأخشاب والقار والحديد لاستخدامها في بناء السفن،[4] وتنقل هذه المواد سنوياً بواسطة السفن من ميناء أنطاليا، جنوب غرب تركيا، إلى الإسكندرية،[5] ثم أوفد السلطان بيازيد الثانضي أحد كبار رجال البحرية العثمانية كمال الرئيس لتنظيم الأسطول، وأهدى إلى البحرية المملوكية ثمانيَ سفنٍ حربية، وأمر القبطان كمال الرئيس الفنيين من صناع السفن بإنشاء ثلاثين سفينةً حربية في ترسانة السويس، ثم أوفد السلطان بيازيد قائداً آخرَ هو حامد رئيس مع كمية كبيرة من المهام العسكرية والمواد اللازمة لاستكمال بناء الأسطول المملوكي وإصلاح سفنه في ثغر السويس.[6] ويذكر ابن إياس أنَّ "أمير الأسطول العثماني كمال رئيس قد قتل في عاصفة بحرية أثناء جلبه للمساعدات الهائلة للبحرية المملوكية، ورغم ذلك وصلت معظم المساعدات".[7]

لكن امتدادَ الخطرِ البرتغاليَّ وتهديدَه لمصرَ تهديداً مباشراً بعد سيطرته على جزيرة كمران التي تقع في مدخل البحر الأحمر دفعَ السلطان الغوري إلى طلب المزيد من المساعدات العثمانية، وقد لبى السلطان بيازيد الثاني، على الفور، طلبَ السلطان الغوري، وأوفد أحد كبار قادته البحريين وهو سليمان ريس ومعه ألفان من الجنود العثمانيين العاملين في البحرية العثمانية، ولتعميق المساعدات العثمانية المملوكية لمواجهة الخطر البرتغالي الذي يهدد الأماكن المقدسة جهز سليمان أسطولاً مكوّناً من عشرين سفينة حربية، على متنها ستة آلاف مقاتل وعليه قيادة مشتركة يترأسه القبطان كمال وحسين الكردي

---

[1] ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج4، ص183.

[2] يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص231.

[3] Holt and, Other: The Cambridge History Of Islam, Cambridge, P317.

[4] Holt, Others, Op. Cit, P317.

[5] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص231.

[6] عبد الحميد حامد سليمان: تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1995م، ص46.

[7] ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج4، ص203.

مساعداً له،[1] وعلى إثر ذلك أبحر هذا الأسطول نحو كوجارات الواقعة شمالَ غربي الهند ومسلحاً بأسلحة نارية.[2] نجح الأسطول المملوكي ذو القيادة العثمانية من احتلال عدن سنة 1516م وأراد السيطرة على باب المندب وجزره، ولم يوفق فعاد أدراجه إلى ثغر جدة، وخلال العودة علم القائد سليمان ريس ومساعده بقدوم السلطان سليم إلى مصر بعد انتصاره على جيش السلطان قانصوه الغوري في معركة مرج دابق 1516م ونجاحه في السيطره على مصر، فأرسل إليه القبطان سليمان ريس يجدد الولاء فأبقاه في جدة، وفيما بعد تم تعيين القبطان سليمان ريس أميرالاً على الأسطول العثماني في المحيط الهندي وأطلق عليه قبودان مصر والهند.[3]

2- التهديد الصفوي لكلا الدولتين بعد إخضاع الشاه اسماعيل بن حيدر لإمارة دلغادر 1507-1512م:

تنسب الدولة الصفوية التي ظهرت في بلاد فارس إلى الشيخ صفي الدين إسحاق الأردبيلي* (1252- 1334م)[4] الذي ينحدر من أسرة ثرية معروفة كانت تسكن في مدينة أردبيل* جنوب أذربيجان، وبعد تأسيسه للطريقة الصوفية في تلك المنطقة ذاعت شهرته بوصفه صوفياً ووليا من الأولياء،[5] ومترأساً مقام الإرشاد الصوفي حتى وفاته عام 1334م،[6] وبعد وفاته تولى مشيخة الطريقة الصوفية ابنه صدر الدين موسى حتى وفاته عام 1392م، ثم استلم الطريقة الصوفية حفيده الخواجا علي ابن صدر الدين موسى، حيث تواصل الأخير مع القائد المغولي تيمورلنك خلال سيطرته على الأناضول وتعاون معه،[7] وحظيت آنذاك التكية التي أقامها الشيخ صفي الدين الأردبيلي على اهتمام تيمورلنك حيث زارها وتبرع لها[8] حين عودته من الأناضول وزيارته لمدينة أردبيل. فاستغل الفرصة الشيخ علي حفيد الشيخ صفي الدين وطلب من تيمورلنك أن يطلق سراح الأسرى العثمانيين ففعل وألحقهم بخدمته، كما أغدق

---

(1) عبد الحميد حامد سليمان: تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني، ص46.

(2) أحمد صادق: تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، بيروت، ط1، 1979م، ص431.

(3) عبد الحميد حامد سليمان: تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني، ص46-47.

* ولد الشيخ صفي الدين الأردبيلي عام 1253م في مدينة أردبيل، ولما بلغ من العمر 25 عاماً أصبح من مريدي الشيخ تاج الدين زاهد الجيلاني، وبعد وفاة شيخه تولى مقام الإرشاد الصوفي حتى وفاته عام 1344م. انظر: رضا شعباني: المنتخب من تاريخ إيران، ص321.

(4) جعفر السجاني: أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، إيران، 2000، ص97.

* أردبيل: مدينة إيرانية من مدن شمال غرب إيران وهي المدينة التي ولد فيها الشيخ صفي الدين وظهور حفيده الشاه اسماعيل الصفوي. انظر: عبد الكريم العفيفي: موسوعة 1000 مدينة إسلامية، ص41.

(5) دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، القاهرة، 1958م، ص86.

(6) رضا شعباني: المنتخب من تاريخ إيران، ص321.

(7) إبراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العصر الحديث والمعاصر، جامعة الموصل، عام 1987، ص12.

(8) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص201.

تيمورلنك على الصفويين الامتيازات والنعم.[1] وبالطبع هذه الثقة التي نالها الشيخ علي من تيمورلنك جعل الأخير يوقف عليه مدينة أردبيل ولأعقابه من بعده.[2]

وبعد وفاة الشيخ علي عام 1428م تولى مشيخة الطريقة الصوفية ابنه ابراهيم حتى وفاته عام 1447م ثم تولى المشيخة ابنه الشيخ جنيد (1447- 1460م) وكان للشيخ جنيد طموحات سياسية بعيدة المدى، فقد تمكن من كسب كثير من الأعوان بين أوساط القبائل التركمانية في جنوب الأناضول وشرقها،[3] وخصوصاً بعد خروجه من أردبيل عام 1448م وذهابه إلى الأناضول،[4] حيث جمع حوله أكثر من عشرة آلاف مقاتل، وبذلك استطاع الشيخ جنيد أن يحول المشيخة إلى حركة سياسية قائمة على القوة.[5]

إن تعاظم الشيخ جنيد أثار مخاوفَ الأمير ميرزا جهانشاه (1437- 1467م) أمير إمارة القره قوينلو (1380- 1469م) التي كانت تسيطر على بلاد فارس والعراق، ولذا أمره بالرحيل من أذربيجان،[6] وهكذا ترك الشيخ جنيد أردبيل وأمضى ثلاث سنوات متنقلا في الأناضول وبلاد الشام إلى أن استقر به المطاف في بلاط الأمير أوزون حسن حاكم إمارة الآق قوينلو في ديار بكر سنة 1456م، حيث مكث في بلاطه ثلاث سنوات وتزوج من السيدة خديجة بيكوم أخت الأمير أوزون حسن[7].

إن هذا الزواج أكسب الشيخ جنيد قوةً كبيرةً مستفيداً من العداء المتأصل بين إمارة الآق قوينلو والسلطنة العثمانية، وبعد إعداد مريديه وجد أن الوقت قد حان للتوسع والامتداد بعد تحقيق بعض المقومات الاقتصادية والبشرية والسياسية،[8] ففي عام 1459م حاول الشيخ جنيد استرداد أردبيل لكنه فشل في تحقيق ذلك، حيث لقي حتفه على يد حاكم شيروان فروخ يسار عام 1460م وبمقتله فشلت المحاولات الأولى للصفويين في التوسع الجغرافي.[9] وعقب مصرع الشيخ جنيد تولى زعامة الحركة

---

[1] عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص52.

[2] غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص162. وأيضاً ابراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العصر الحديث والمعاصر، ص22.

[3] Seory, R.M, " The Struggle For Supremacy In Persia After The Death Of Timur" Der Islam, Band 40, Heft 1, Mai 1964, 56.

[4] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص201.

[5] شحادة الناطور وآخرون: تاريخ العرب الحديث، دار الأمل، إربد، 1992م، ص28.

[6] سليمان صائغ: تاريخ الموصل، القاهرة، 1923، ج1، ص260.

[7] إبراهيم خليل أحمد وخليل علي مراد: إيران وتركيا دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الموصل 1992، ص18. يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص201.

[8] غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص163.

[9] شاهين مكاريوس: تاريخ إيران، القاهرة، 1898، ص148. غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص163.

الصفوية ابنه الشيخ حيدر، وفي عهده ازدادت أهمية الأسرة الصوفية بسبب رسوخ المذهب الشيعي بين أتباعها، وبسبب ازدياد قوتها عسكرياً ونظراً لما التف حولها من التركمان فقد اتصل الشيخ حيدر بالأمير أوزون حسن وتزوج من ابنته[1] السيدة حليمة بكيم، وقد ولدت له الشاه اسماعيل الذي عدّ حفيد أوزون حسن.[2]

واستطاع الشيخ حيدر أن يَقلِبَ الطريقة الصوفية قلباً نهائياً من طورها الديني إلى طورها العسكري بعد تنظيم مريديه بشكل جيد، فقد اختار لهم لباساً خاصاً على الرأس أي قلنسوة حمراء ملفوفة اثني عشرة لفة تيمناً بالأئمة الاثنا عشرية (عليهم السلام)، والذين عرفوا فيما بعد بالقزلباشيين (ذو الرؤوس الحمراء).[3]

وهنا يعلق والتر هينتس بقوله: "لقد بذل كل من الشيخ جنيد وابنه الشيخ حيدر جهوداً مضنية واستثنائية بشكل علني لأجل الوصول إلى الحكم والسلطة الدنيوية، لكنهما قُتلا في الحرب التي وقعت بينهما وبين ملوك شيروان، رغم أنهما كان يتمتعان بتأييد وحماية جماعة من مريديهما التركمان الذين اشتهروا فيما بعدا بلقب القزلباش"[4] ويقول إدريس البدليسي:* "عندما حاول الشيخ حيدر أن يثأر لوالده من حاكم شيروان فروخ يسار مُني بالهزيمة، وقتل عام 1488م، وبعد مقتل الشيخ حيدر التف الصفويون حول ابنه الشيخ علي (1488- 1494م) عندما كان في أردبيل لكن خاله الأمير يعقوب بن أوزون حسن (1478- 1490م) وضع الشيخ علي وأخوته إبراهيم وإسماعيل تحت الحراسة المشددة في قلعة اصطخر في شيراز الواقعة جنوب بلاد فارس".[5]

وفي عام 1493م تم إطلاق سراح الأخوة، فعاد الشيخ علي إلى أردبيل، وسرعان ما زاد أتباعه فأثار قلق الأمير رستم بن مقصود (1492- 1497م) أمير إمارة الآق قوينلو، فتم إلقاء القبض عليهم وإرسالهم إلى شمال غرب بحيرة أورمية للحيلولة دون التواصل مع أعوانهم، وعندما استقر رأي الأمير

---

[1] عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص52.

[2] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص202.

[3] غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص163.

[4] والتر هينتس: تشكيل دولت ملي در إيران، ت: كيكاووس جهانداري، ج2، تهران، انتشارات خوارزمى 1361، ص116.

* هو الملا ادريس البدليسي المؤرخ الكردي الشهير دخل في خدمة إمارة الآق قوينلو قبل أن يسيطر الصفويون على مملكتها، عرف عنه بأنه كان عالماً فاضلاً معروفاً بين الأكراد بشخصيته الفذة وقدرته على الإقناع والتأثير، حيث اعتمد عليه السلطان سليم الأول في إخضاع الكرد لسلطانه. انظر فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص21.

[5] إدريس البدليسي: شرفنامة، ت: محمد علي عوني، 2ج، القاهرة، 1962، ج2، ص119.

رستم على التخلص من الشيخ علي[1] علم الأخير بذلك فهرب إلى أردبيل، وفي الطريق عين أخاه الأصغر إسماعيل خلفاً له في قيادة الطريقة الصفوية.

وقد جاء تنصيب الشيخ اسماعيل في قيادة الطريقة الصوفية بعد مقتل أخيه الشيخ علي على يد قوات إمارة الآق قوينلو عام 1494م في التكية المقدسة في أردبيل[2] وجراء ذلك تحالف كلٌّ من الأمير الوند (1497– 1504م) حفيد أوزون حسن حاكم الآق قوينلو وحاكم شيروان فروخ يسار لإلقاء القبض على الشيخ إسماعيل أو اغتياله، لكن كل المحاولات باءت بالفشل.[3]

وعلى أثر ذلك قرر الشيخ إسماعيل مواجهة كلٍّ على حِدَه، ففي عام 1500م اشتبك الشيخ إسماعيل مع قوات الأمير فروخ يسار حاكم شيروان، ورغم التفوق العددي للأمير يسار فإنه هزم على يد الشيخ اسماعيل وقتل قرب قلعة كلستان، وبما أن الأمير فروخ يسار قتل أباه وجدَّهُ أراد الانتقام منه،[4] فطلب من جنوده أن يضعوا جثته في قدر ويأكلوها،[5] وبعد سيطرة الشيخ إسماعيل على شيروان أصبح يستعد لمقاتلة الأمير الوند الذي أظهر استياءَه من الانتصار الذي حققه الشيخ اسماعيل على شيروان شاه (فروخ يسار)، وبالفعل التقى مع الأمير الوند في معركة شرور عام 1501م وألحق به الهزيمة فقتل مع سبعة آلاف من جنده وعدد من أعيان التركمان.[6] وبعد ذلك سيطر على أذربيجان ودخل عاصمتها تبريز وجعلها عاصمة للدولة الصفوية المتنامية بعد اتخاذه لقب شاه وسط مراسيم مفخمة، وحكم فارس من عام 1501– 1524م.[7]

ومن ثَمَّ فقد عُدّ الشاه اسماعيل المؤسس الحقيقي للدولة الصفوية والمحرك الأساسي للامتداد الجغرافي،[8] وخصوصاً بعد تحقيقه مكاسب سياسية سريعة خلال الفترة ما بين عامي 1502– 1507م حيث استولى على بلاد فارس والعراق وشروان وأذربيجان حتى وصل إلى ديار بكر معلناً قيام الدولة الصفوية ذات المذهب الشيعي الاثني عشري.[9] وبذلك أصبح الشاه إسماعيل يتمتع بسلطة دينية كونه زعيماً روحياً في النظام الصوفي الشيعي، فلقب بالمرشد الأكبر.[10]

---

(1) Saory, r, m, op. cit , 59.

(2) إدريس البدليسي: شرفنامة، ج2، ص120

(3) Saory, r, m, op. cit , 63.

(4) رضا شعباني: المنتخب من تاريخ إيران، ص323–324.

(5) محمد الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن القرن السابع، القاهرة، ط1، 1348، ج1، ص271.

(6) البدليسي: شرفنامة، ج2، ص120.

(7) إبراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العصر الحديث والمعاصر، ص22.

(8) غيثاء نافع: العلاقات العثمانية– المملوكية 1464– 1517، ص164.

(9) محمود محمد الحويري: تاريخ الدولة العثمانية، ص198.

(10) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516– 1798، ص53.

وفي عام 1503م اشتبكت قوات الشاه إسماعيل بقوات الأمير مراد ابن عم الأمير الوند حفيد أوزون حسن قرب همذان، وبعد سحقه هرب الأمير مراد إلى بغداد ومنها إلى إمارة دلغادر،[1] وهناك تحالف مع الأمير علي دولت لمنع وصول الشاه اسماعيل إلى المنطقة.[2] لكنه فيما بعد التجأ إلى الأمير سليم في ولاية طرابزون، وهناك منحه الأمير سليم بيوتاً ووظائف له ولأولاده.[3]

صّمم الشاه إسماعيل على مد نفوذه إلى الأراضي العثمانية الواقعة شرق الأناضول ووسطها من خلال نشر المذهب الجعفري في أوساط القبائل التركمانية التي تسكن في تلك المنطقة،[4] ولذا استمال إليه القزل باش في الأناضول وكسبهم إلى جانبه مستغلاً بذلك مرونة السلطان بيازيد وعدم مبالاة رجالات الدولة العثمانية بما يقوم به الشاه إسماعيل، فعمل على توسيع نشاطاته ونجح في كسب قبائل القزل باش الذين قاموا بإرسال الهدايا والنذور إليه،[5] وهذا أدى بدوره في نهاية المطاف إلى تدفق آلاف من تركمان الأناضول وانخراطهم في جيش الشاه إسماعيل،[6] حيث بلغ عدد التركمان الوافدين من سبع قبائل تركمانية نحو سبعة آلاف رجل فكوّن منهم الشاه اسماعيل جيشاً عرف بالقزل باش.[7]

وبذل الشاه اسماعيل مجهوداً كبيراً في سبيل نشر المذهب الشيعي الاثنا عشرية في الأناضول بهدف اجتثاث الدولة العثمانية من إقليم الأناضول كونه البيئة التي نمت وتشكلت به الدولة العثمانية،[8] ومن ثَمَّ رأى العثمانيون أن نشر المذهب الشيعي في الأناضول هو تهديد سياسي يهدد وجودهم في المنطقة، ولذا عارضوا الصفويين ليس لخطر تواجدهم فحسب بل لأن المذهب الشيعي يمثل تحدياً خطيراً للمذهب الذي يعتنقه العثمانيون.[9]

ويمكن أن نستنتج مما سبق أن التقسيم المذهبي أصبح على أساس جغرافي بعد أن فرض الشاه إسماعيل وحدة المذهب على بلاد فارس والمناطق التي سيطر عليها، وهذا بدوره مزّق شمل العالم الإسلامي حيث باتت كل من الدولة الصفوية والدولة العثمانية تدعي أحقيتها في تزعم العالم الإسلامي وتتستر وراء المذهب تحقيقَ أهدافها التوسعية، وهذا بدوره أتاح المجال للمستعمر البرتغالي أن يضع

---

(1) نوري عبد الحميد العاني: العراق في القرن الخامس عشر، بغداد، 2002، ص154.

(2) غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص165.

(3) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص205.

(4) محمود محمد الحويري: تاريخ الدولة العثمانية، ص198. وأيضاً يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص203.

(5) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص16.

(6) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص203.

(7) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798م، ص53.

(8) غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص164.

(9) Shaw standford, history of the Othman empire and modern turkey, v1, Cambridge, 1977, p79.

أقدامه في الخليج العربي وأن يسيطر على سواحله ويتحكم في منافذه، ويهدد السلطنة المملوكية في البحر الأسود وضرب الأماكن المقدسة (مكة والمدينة) في الحجاز.

إن نشاط أعوان الشاه إسماعيل ومريديه في الأناضول هدفه ليس فقط نشر المذهب الشيعي الاثني عشري، وإنما يرمي إلى إضعاف شوكه الدولة العثمانية وكسرها من خلال نشر الفوضى والإرهاب فيها،[1] ولذا بادر السلطان بيازيد على اتخاذ بعض الإجراءات الاحترازية ومنها: حشد القوات العثمانية على الحدود مع بلاد فارس تحسباً من إقدام الشاه اسماعيل على مهاجمة السلطنة العثمانية، ولضمان بقاء الرعايا التركمان في المناطق الحدودية تحت السيطرة العثمانية،[2] لكن هذه القوات لم تقم بهجوم واسع ضد الشاه اسماعيل لمعارضة السلطان بيازيد لذلك إما لتعاطفه مع التعاليم الغامضة التي يتم نشرها من قبل مريدي الشاه اسماعيل بالأناضول، أو لرغبته تجنب الحرب قدر الإمكان أو لخوفه من أن الدعوة الصفوية قد تغري عدداً كبيراً من مقاتليه على اعتناقها، ولذا تمهل ودخل في مراسلات مع الشاه إسماعيل على أمل إقناعه بالكف عن نشر المذهب الشيعي في الأناضول،[3] ومن ثَمَّ فإن التهديد الصفوي وأتباعه (القزل باش) في الأناضول ونشرهم للمذهب الشيعي الاثنا عشرية زاد من تحسن العلاقات بين الدولة العثمانية والسلطنة المملوكية من خلال الرسالة التي أرسلها السلطان قانصوه الغوري للسلطان بيازيد الثاني عام 1504م حيث نبه السلطان بيازيد على خطورة الفرق القزلباشية على الممالك الشرقية، ويؤكد في الرسالة على أن دفع شرهم واجب على الجميع،[4] وخصوصاً عندما تمادى الشاه اسماعيل في اضطهاد المسلمين ممن لا يشاطرونه مذهبه، والذين اضطروا إلى اللجوء إلى الأراضي العثمانية، فكتب إليه السلطان بيازيد الثاني يطلب منه التعقل في معاملة أهل السنة الأحياء منهم والأموات، وأن يقتدي بأسلافه العظماء وبتاريخ فارس وحضارتها العريقة،[5] فضلاً عن ذلك ذهبت أحلام الشاه اسماعيل إلى حد التعرض للدولة المملوكية، والتدخل في شؤونها الداخلية حيث أعدّ مخططاً عام 1505م بالتعاون مع الدول الأوروبية لمهاجمة مصر، وخير دليل على ذلك هو التمرد المسلح الذي تفاقم في صعد مصر عام 1505م والذي انتهى بالفشل وإعدام مدبريه بتهم من بينها الدعوة للشاه إسماعيل.[6]

وقد استمر الشاه اسماعيل بسياسته التوسعية خارج حدود فارس فكانت حملته باتجاه إمارة دلغادر عام 1507م أولى الحملات المهمة ما وراء فارس؛ لأن الأمير علي دولت حاكم دلغادر قد منح حق اللجوء للأمير مراد بن يعقوب حاكم إمارة الآق قوينلو بعد هزيمته أمام الشاه قرب همذان عام 1503م

---

(1) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص203.

(2) برنارد لويس: استنبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية، تعريب: سيد رضوان علي، بيروت، د.ت، ص40.

(3) محمود محمد الحويري: تاريخ الدولة العثمانية، ص199.

(4) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص55.

(5) محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الصفوية في إيران (1501- 1736)، دار النفائس، بيروت، ط1، 2009، ص69.

(6) كمال مصطفى الشيبي: الطريقة الصفوية ورواسبها في العراق المعاصر، بغداد 1967، ص29.

وعقد تحالفاً معه، كما أسلفنا بالقول، للوقوف بوجه الشاه،[1] وزوجه ابنته، ولم يكتفِ الأمير علي دولت بذلك بل رفض طلباً كان قد تقدم به الشاه اسماعيل للزواج من إحدى بناته، فاتخذ الشاه اسماعيل هذا الرفض ذريعةً للسيطرة على إمارة دلغادر.[2] ويذكر إدريس البدليسي أن الشاه اسماعيل بدأ عملياته العسكرية ضد إمارة دلغادر عام 1507م بعدما فرض حصاراً على ديار بكر، حيث اضطر حاكمها إلى الاستسلام، فعين الشاه اسماعيل أحد رجاله يدعى محمد خان حاكماً عليها، والذي سيطر على آمد وماردين فيما بعد، بينما الشاه اسماعيل استولى على خربوط.[3] ويروي يلماز أنه: توغل في عمق الإمارة الدلغادرية حتى وصل إلى مرعش والعاصمة ألبستان، فقد قام بتخريب قبور سلالة دلغادر ونبشها وألقى القبض على أحد أبناء علي دولت وحفيديه وقتلهم.[4]

بينما يذكر باحث آخر أنه "عندما اضطر الشاه اسماعيل أن يعبر الحدود العثمانية عند قيصرية أمر جنوده بعدم التعرض لأرواح الرعايا وأموالها، وأن يعاملوهم بالحسنى، واعتذر للسلطان بيازيد الثاني على اختراق أراضيه وأعلمه بأنه لا يفكر مطلقاً في تعكير صفو العلاقات بينهما، وتمثل رضا السلطان بيازيد على تصرف الشاه من خلال الألقاب الفخمة التي أطلقها عليه في رسالته الجوابية، مثل: المليك الأعظم، المتوج الأكرم، وملك ممالك العجم"[5] وهذا بدوره يناقض ما أورده الباحث التركي يلماز أوزتونا.

وبعد سيطرة الشاه اسماعيل على إمارة دلغادر دخل إلى جانب المماليك والعثمانيين ميدان الصراع على النفوذ في منطقة ألبستان،[6] وحسب قول ابن إياس: "إثر تغلب الشاه إسماعيل على التحالف بين علي دولت والأمير مراد وسيطرته على إمارة دلغادر جعل الدولتين العثمانية والمملوكية يتفاهمان حول تنظيم ردٍّ مشترك ضد الدولة الفارسية الجديدة،[7] لكن هذا لم يوضع موضع التنفيد وذلك لعدة أسباب، ويمكن إجمال الأسباب بالآتي:

1. عندما علم السلطان قانصوه الغوري أن الشاه إسماعيل قد تحرك على بلاد السلطان ووصل أوائل عسكره إلى ملطيه أشار الأمراء إلى إرسال حملة، ولكن وصلت عام 1507م وصلت الأخبار أن علي دولت خرج إليهم وتحارب معهم، فأبطل السلطان الغوري تلك الحملة.[8]

---

[1] غيثاء نافع: العلاقات العثمانية– المملوكية 1464– 1517، ص165.

[2] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص204.

[3] إدريس البدليسي: شرفنامة، ج2، ص127.

[4] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص204.

[5] محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الصفوية في إيران (1501– 1736)، ص70.

[6] عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516– 1798، ص53.

[7] ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج4، ص119.

[8] ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيين والأتراك، ص220– 221.

2. إرسال الشاه اسماعيل عام 1507م رسولاً إلى السلطان الغوري مع ولديه رسالة تبين أن ما جرى حتى من أعمال عسكرية في مرعش وألبستان لم تكن إلا احتياطات أمنية، فأمر السلطان الغوري بإبطال إعداد الحملة العسكرية ضد الشاه.
3. إن الظروف العامة التي واجهت السلطان الغوري من تهديد برتغالي، ووضع اقتصادي صعب جراء تغير طرق التجارة عبر رأس الرجاء الصالح منعته من أن يخوض حرباً حقيقية مع الشاه إسماعيل.[1]
4. ظهور الشاه إسماعيل على مسرح الأحداث وسيطرته على ألبستان عام 1507م وتهديد كلا الدولتين العثمانية والمملوكية لم يخفف مطلقاً التناقضات بين الدولتين، فكل دولة تصرفت اتجاه هذا الخطر بمعزل عن الأخرى، والدليل على ذلك ما فعلته الدولة العثمانية عندما أرسلت جيشاً قوامه مائة وخمسة عشر ألف جندي إلى قيصرية، وظلَّ مرابطاً هناك طيلة عام 1508م دون التنسيق مع جارتها السلطنة المملوكية، وكان هذا إجراءاً احترازياً اتخذته الدولة من تعدي الشاه اسماعيل على ممتلكات الدولة، فعندما رأى الشاه اسماعيل هذا الحشد عدل عن خوض الحرب ضد العثمانيين وبعث برسالة إلى السلطان بيازيد الثاني استهلها بقوله: "إلى المبجل والمعظم" وانسحب إلى ديار بكر.[2] لكن الأمير سليم ابن السلطان بيازيد الثاني الذي كان والياً على طرابزون أظهر حماساً كبيراً لتصدي الشاه إسماعيل عندما اجتاز قيصرية التابعة للدولة العثمانية لمحاربة إمارة دلغادر، حيث توغل مرات عديدة داخل الأراضي الصفوية وسيطر على معظم ممتلكات إمارة الآق قوينلو، وعندما بعث الشاه إسماعيل أخاه إبراهيم على رأس قوة عسكرية لاسترجاع الأراضي التي سيطر عليها الأمير سليم نجح الأخير من دحره وتمكن من أسره،[3] ووصل الأمير سليم في إحدى حملاته إلى أرزنجان.*[4]

وقد أرسل الشاه اسماعيل رسالة إلى السلطان بيازيد الثاني مذكراً إياه بالصداقة الصفوية العثمانية،[5] وعلى إثر ذلك أصدر الديوان الهمايوني أمراً إلى الأمير سليم، وتولى السلطان بيازيد الثاني إبلاغه إياه، ونتج عن ذلك اضطرار الأمير فك أسر إبراهيم شقيق الشاه إسماعيل، وإخلاء الأراضي التي سيطر عليها، ومن بينها أرزنجان وإعادتها للصفويين.

---

[1] غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص165-166.

[2] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص205.

[3] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص206.

* أرزنجان: مدينة معروفة في شمال وسط تركيا الآسيوية في هضبة الأناضول، وتقع جنوب مدينة طرابزون. انظر: عبد الحكيم العفيفي: موسوعة 1000 مدينة إسلامية، ص43.

[4] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب: تاريخ العرب الحديث، دار الأهلية للطباعة، عمان 1989، ص19.

[5] محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الصفوية في إيران (1501- 1736م)، ص70.

وبعد تنفيذ أمر السلطان بيازيد الثاني أعلن ابنه الأمير سليم أن هذا الإجراء يعني انعدام الشرف، كون أرزنجان تابعة للدولة العثمانية منذ أيام السلطان بيازيد الصاعقة (1389- 1402م)، وأن هذا التصرف لم يلقَ ارتياحاً سواءٌ من الجيش أو أهالي الأناضول[1] بعد الهجوم الذي شنه الشاه إسماعيل على إمارة دلغادر عام 1507م واستيلائه على ديار بكر وتمزيقه لجيش علي دولت وتعيين محمد بك استاجلو حاكماً على تلك المناطق[2] ودخول الشاه اسماعيل حلبة الصراع على النفوذ في منطقة ألبستان.

وعلى إثر ذلك توجهت أنظاره نحو العراق لعدة أسباب، كون العراق يعاني من أوضاع سياسية متدهورة[3] وخصوصاً بعد خروج مراد بن يعقوب نحو إمارة دلغادر وتعيين باريك البايندري والياً على العراق،[4] وهذا كان مشجعاً للتوسع الصفوي، وخصوبة أراضي العراق الزراعية قد تسد من حاجات سكان فارس، فضلاً عن ذلك يتبوأ العراق مركزاً تجارياً هاماً على الخليج العربي وملتقى الطرق التجارية الدولية، إضافة إلى وجود العتبات والمراقد المقدسة في كربلاء والنجف،[5] وعلى هذا واصل الشاه اسماعيل سياسته التوسعية، حيث زحف باتجاه شهرزور والموصل وتمكن من السيطرة عليهما دون مقاومة،[6] ثم توجه جيش الشاه اسماعيل وعلى رأسه القائد حسين بيك لالا إلى بغداد، وعندما علم والي بغداد بقدوم الجيش فضل الفرار على المواجهة وتوجه نحو حلب.[7] وقد كان موقف السلطنة المملوكية من سيطرة الشاه اسماعيل على بغداد هو ترك والي بغداد باريك المعين من قبل الأمير مراد يدبر أمره بنفسه رغم مناشدة الأخير وطلب المساعدة من السلطان الغوري، لكن الظروف التي تعاني منها السلطنة حالت دون تقديم المساعدة، فكانت مهمة الجيش الصفوي سهلة في عملياته العسكرية.[8] وقد تم الاستيلاء على بغداد عام 1507م.[9]

أما موقف الدولة العثمانية من سيطرة الشاه إسماعيل على العراق فيتمثل في أن السلطان بيازيد الثاني أرسل إليه هدايا كثيرة ورسالة تهنئة غير متوقعة بفتح فارس والعراق، ويبدو أن السلطان العثماني

---

(1) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص206.

(2) عباس العزاوي: موسوعة العراق بين احتلالين، مج3، ص346.

(3) إبراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516- 1916، ص23.

(4) عباس العزاوي: موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، مج3، ص345.

(5) غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص165. وإبراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516- 1916، ص23.

(6) أوليا جلبي، سياحتنامه س، ترجمة محمد جميل الروز بياني، دار الجنة العامرة، بغداد 1998، ص14.

(7) عباس العزاوي: موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، مج3، ص347.

(8) غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص166.

(9) إدريس البدليسي: شرفنامة، ج2، ص128.

كان يهدف وراء ذلك دعم العلاقة الجيدة مع الشاه دون إدراكه ماسيشكله من خطر على دولته مستقبلاً.[1]

وبما أن العراق مركز للشيعة وبه كثير من تراثهم مثل: مراقد الأئمة (عليهم السلام)، في النجف وكربلاء وبغداد والكاظمية، فقد اتبع الشاه اسماعيل سياسة بسط المذهب الشيعي الاثنا عشري، وصك النقود باسمه وخطب له على المنابر[2] السيد محمد كمونة* الذي استلم بعض الولايات وإدراة النجف الأشرف، وخصوصاً بعد زيارة الشاه اسماعيل إلى كربلاء وأنعم على مجاوري الروضة المطهرة بإنعامات جزيلة، وبعد ذلك ذهب إلى النجف الأشرف للزيارة وقدم للحضرة هدايا ونوادرَ ثمينة وأكرم سكان المدينة وأنعم عليهم بالعطايا.[3]

يتبين مما سبق ذكره أن السلطان العثماني بيازيد قدم الهدايا للشاه جراء سيطرته على العراق، أما السلطان قانصوه الغوري فقد ترك واليَ العراق يدبر أمره بنفسه، وإن التفاهم الذي حصل بين العاهلين من أجل الوقوف في وجه القوة الصفوية الصاعدة أسفر بدوره عن تشجيع الشاه اسماعيل على تصفية القبائل الأزبكية المتحالفة مع كلا الدولتين (العثمانية والمملوكية) وبالتالي تحقيق حلمه بتأسيس دولة شيعية مترامية الأطراف في المنطقة.[4]

وبالفعل خاض الشاه اسماعيل عام 1508م حرباً مع القبائل الأوزبكية في بلاد ماوراء النهر (آسيا الوسطى) الذين حاولوا السيطرة على ولاية خراسان، فاستطاع الشاه الانتصار عليهم في مداخل خراسان الواقعة شرق بلاد فارس، وقتل الحاكم الأوزبكي محمد الشيباني واستحوذ على أملاكه عام 1510م،[5] وبلغ من شدة حقد الشاه اسماعيل على محمد شيباني خان اتخاذ جمجمته وعاءاً يتناول فيه الشراب بعد أن كساها بالذهب الخالص.[6]

---

(1) عبد الله إيناس السعدي: تاريخ العراق الحديث 1258- 1918، دار عدنان بغداد، د.ت، ص193.

(2) غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص165-166.

* السيد محمد كمونة: هو من أشراف بغداد ونقيب النجف، حيث ورث هذا المقام أباً عن جد، وإبّان ظهور الشاه إسماعيل أخلص له فقام الوالي باريك بزجه في جب مظلم، وعندما هرب الأخير من بغداد بعد وصول القائد حسين لالا الصفوي تم إخراجه من الجب واستلم إدارة النجف الأشرف عباس العزاوي. انظر: موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، مج3، ص347.

(3) عباس العزاوي: موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، مج3، ص348.

(4) غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص167. وهذا ما ذكره يلماز ازتونا بقوله: "لم تبدِ القاهرة واستانبول أي رد فعل إزاء ما فعله الشاه، وبناء على ذلك زاد اعتبار الشاه في الأناضول وفي العالم الإسلامي بصورة كبيرة"، ص204.

(5) استانلي لين: طبقات سلاطين الإسلام، ت: مكي طاهر الكعبي، بغداد، 1968، ص238.

(6) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص202.

وبهذا الشكل استطاع الشاه من خلال عملياته العسكرية الآنفة الذكر تأسيسَ دولة واسعة الأرجاء، حيث أخضع لنفوذه جميع الهضبة الإيرانية وأمن حدود دولته من جهة الشرق، ودانت له جميع المدن الواقعة على طريق التجارة من مرو إلى ديار بكر.[1]

وفي هذا السياق يذكر رضا شعباني: أن الشاه إسماعيل خلال فترة حكمه خاض سبعةَ حروبٍ كبيرةٍ أنهى خلالها حياة ثلاث عشرة سلسلة من سلاسل حكام محليين في فارس قد حكموا مناطق مختلفة منها،[2] وفي نهاية المطاف وصف الشاه اسماعيل بأنه "الرجل الذي أفنى دزينة من الدول خلال خمسة عشر عاماً".

ولتنفيذ سياسة الشاه اسماعيل التوسعية على حساب كلا الدولتين المملوكية والعثمانية تحالفَ مع الدول الأوروبية المعادية لهما، ومن أجل القضاء على الدولة العثمانية أرسل الشاه اسماعيل سفراء إلى البندقية ليخبرها بأنه يريد القضاء على الدولة العثمانية، ولذا على الدول الأوروبية المعادية، إذا كانت تريد الحصول على المكاسب، أن تتحرك من الروميلي، لكن جمهورية البندقية رفضت الوقوف إلى جانبه كونها خرجت من حرب ضارية مع العثمانيين جلبت لها الهزيمة والانهيار الاقتصادي، كذلك حاول مع السلطنة المملوكية لكنها أعرضت عن التحالف معه؛ لأنها تدرك أنْ لو انهارت الدولة العثمانية سوف يتسلط عليها الشاه إسماعيل.[3]

وعندما ازداد النفوذ البرتغالي في الخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي خصوصاً بعد معركة ديو البحرية عام 1509م مع السلطنة المملوكية أرسل الشاه اسماعيل مبعوثين لمفاوضة البرتغاليين حول تقسيم النفوذ في المنطقة، حيث رغب الشاه في مساعدة البرتغاليين وتزويد سفنهم بالمؤون والذخائر أثناء رجوعها، مقابل تلقي الدعم العسكري منهم ضد العثمانيين.[4]

أما تحالفاته من أجل القضاء على السلطنة المملوكية، فقد تحالف مع البنادقة من أجل القضاء على السلطنة. ففي عام 1511م ألقى نائب البيرة (تقع أعالي الفرات) القبض على مجموعة من الجواسيس معهم رسائل من شاه فارس إلى البنادقة وقنصلهم في الشام، ورسالة إلى قنصلهم في الإسكندرية، يدعوهم أن يقفوا إلى جانبه في حال أراد الهجوم على السلطنة المملوكية،[5] وهذا ما أكده ابن إياس بقوله: "أن يجو إلى مصر من البحر ويجي هو من البر".[6] وبالفعل أراد البنادقة القضاء على

---

(1) غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص167.

(2) رضا شعباني: المنتخب من تاريخ إيران، ص323.

(3) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص218-204.

(4) غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص172.

(5) حنان جاسم الزهري: العثمانيون في السياسة المملوكية 1382- 1517، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الموصل، 2002، ص206.

(6) ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج4، ص141.

السلطنة المملوكية لكن تحتاج إلى حليف قوي، وتمثل ذلك بالشاه إسماعيل الذي أراد بدوره القضاء على السلطنة للوصول إلى البحر المتوسط عبر أملاك السلطنة، وبهذا الشكل تستطيع البندقية إحياء الطريق التجاري البحري المار عبر العراق والخليج العربي، وهو يمر عبر أملاك الصفويين، ومن ثَمَّ فإن الهدف من التحالف بين الصفويين والبنادقة يدخل ضمن إطار المصالح المشتركة فيما بينهما،[1] بالإضافة إلى ذلك تفاهم الشاه اسماعيل مع البرتغاليين من أجل القضاء على السلطنة المملوكية والسيطرة على أملاكها، فعندما التقى مع السفير البرتغالي في تبريز كشف عن مخططاته الرامية للاستيلاء على مكة المكرمة واجتياح الأراضي التابعة للسلطنة المملوكية.[2]

لم يكتف الشاه إسماعيل بذلك بل بعث وفداً إلى القاهرة عام 1511م حاملاً معه مصحفاً، وسجادة وصندوقاً صغيراً بداخله رأس الزعيم الأوزبكي محمد الشيباني، وخطاباً تضمن بيتين من الشعر طغى عليهما طابع التهديد:

السيف والخنجر ريحانتا اف على النرجس والآس
مدامنـــا من دم أعدائنا وكأسنا جمجمة الرأس[3]

وتزامن هذا التهديد المبطن من قبل الشاه اسماعيل دخول العلاقات العثمانية الصفوية مرحلة جديدة عام 1511م عندما نشب تمرد خطير في ولاية تكة* قاده قره بيك بن حسن خليفة الذي اتخذ لنفسه لقب شاه قولي (عبد الشاه)،[4] وسبب هذا التمرد هو العداء الذي يضمره الإقطاعيون للسلطات العثمانية بسبب مصادرتها لأراضي الإقطاعيين، فلم يلتزموا بقرارها بوجوب العودة إلى الدولة العثمانية عقب الانتهاء من زيارة أردبيل، وعدم إتاحة السلطات العثمانية الفرصة للاقطاعين بشغل المناصب الإدارية في الدولة العثمانية.

على إثر ذلك حرض الاقطاعيون القزلباش على التمرد ونشر الدعاية للحركة الصفوية، وكانوا يهتفون إلى إقامة دولة خاصة بهم على غرار الدولة الصفوية في بلاد فارس، وعندما فشل التمرد وقتل

---

[1] غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص171.

[2] نيقولاي إيفانوف: الفتح العثماني للاقطار العربية 1516- 1574، ص35.

[3] حنان جاسم الزهيري: العثمانيون في السياسة المملوكية 1382-1517، ص208.

* ولاية تكة: تقع عند الحدود الشرقية للدولة العثمانية في الأناضول وعاصمتها أنطاليا، وتجمع فيها أعوان الشاه إسماعيل كونها كانت مركزاً لحسن الخليفة الذي اتخذه الشيخ حيدر ممثلاً له في التكية، وفيما بعد منحها السلطان سليم الأول لأخيه الأمير قرقوط عام 1512م. انظر: يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص214.

[4] والذي أطلق عليه فيما بعد شيطان قولي، وجاءت هذه التسمية من أعدائه. انظر: عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت، 1516- 1798، ص54.

القائد (شاه قولي) بادروا بالانخراط في جيش الشاه إسماعيل،[1] وهناك سبب آخر يتمحور حول طرد العثمانيين من منطقة وسط الأناضول وشمال غرب بلاد الشام وحصرهم في منطقة البحر الأسود- مرمرة - ايجة- البحر المتوسط وهذا بدوره يؤدي إلى سيطرة الشاه اسماعيل على الأناضول أو وقوعه تحت نفوذه.[2]

وبعد التفاف القزلباش حول شاه قولي في ولاية تكّة ممثلاً للشاه اسماعيل[3] هاجموا منطقة كرمان واجتاحوا ولاية سيواس،[4] وسرعان ما اتسع التمرد ليشمل المناطق الوسطى في الأناضول الواقعة بين البحر الأسود والبحر المتوسط[5] مما دفع السلطان بيازيد الثاني إلى إرسال جيش قوامه ثمانية آلاف إنكشاري[6] بقيادة الصدر الأعظم علي باشا الخادم للقضاء على التمرد، لكن القائدين قُتلا في المعركة التي وقعت بينهما في كوكجاي بين قيصرى وسيواس عام 1511م، وعلى إثر قتل شاه قولي لجأت أعداد كبيرة من أعوانه إلى بلاد فارس،[7] وأثناء فلول اتباع شاه قولي نحو بلاد فارس نهبوا قافلةً تجاريةً فارسية قادمة من تبريز، فأثار هذا التصرف غضب الشاه إسماعيل وسخطه الذي عُرِف بحرصه على التجارة، وعندما التقى باللاجئين في تبريز أنَّبهم على تعرضهم للقافلة التجارية وقال لهم: أنا والسلطان بيازيد صديقان حميمان، وإن نهب القافلة يُعدُّ بمثابة اعتداء على شخصه.[8]

ومن ثَمَّ فإن هذا التمرد كان بمثابة إنذار للعثمانيين بالخطر الذي يمثله الشاه اسماعيل بالنسبة لسكان الدولة العثمانية بالذات،[9] ولذا قام السلطان بيازيد الثاني بنفي بعض العناصر الموالية لشاه قولي الذي عُدَّ منفذاً لأوامر الشاه اسماعيل من الأناضول إلى المورة لمنعهم من الالتحاق بالشاه اسماعيل بعد مقتل شاه قولي.[10] أما موقف السلطنة المملوكية من الأحداث التي جرت في الأناضول فقد أرسل

---

[1] روبرت دبليو اولسن: حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية 1718- 1742، الترجمة: عبد الرحمن بن أمين الجليل، الرياض، 1983، ص57-58.

[2] محمد جمال باروت: الصراع العثماني- الصفوي وآثاره في الشيعة في شمال بلاد الشام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط1، 2018، ص95.

[3] وجيه كوثراني: الفقيه والسلطان (جدلية الدين والسياسة في تجربتين تاريخيتين العثمانية والصفوية- القاجارية)، المركز العربي للأبحاث، بيروت، ط4، 2015، ص75.

[4] محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة العثمانية، ص81.

[5] روبرت دبليو اولسن: حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية 1718- 1743، ص58.

[6] علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، ص81.

[7] محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة العثمانية، ص70، يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص209.

[8] روبرت دبليو اولسن: حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية 1718- 1743، ص58. وأيضاً: محمد جمال باروت: الصراع العثماني- الصفوي- وآثاره في الشيعية في بلاد الشام، ص96.

[9] عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت، ص54.

[10] محمد جمال باروت: الصراع العثماني- الصفوي وآثاره في الشيعة في شمال بلاد الشام، ص96.

السلطان الغوري رسالةً إلى السلطان بيازيد عام 1511م يحثُّهُ فيها على محاربة القزلباش، وعرض عليه المساعدة وذلك لتأكيد الصداقة بين الدولتين، وسلم الرسالة خاير بك إلى الصدر الأعظم خير الدين آغا وذكر له: أنَّ السلطان الغوري أصدر أوامره إلى أمراء الحدود للاستعداد بجنودهم (الأمير محمود محمود بك أمير رمضان ونواب سيس وطرطوس) وطلب منهم بعد جمع العسكر أن يلاقوا عساكر الدولة العثمانية ويشتركوا معهم في الحرب ضد القزلباش.[1]

لكن هذا لم يحصل؛ لأن السلطنة المملوكية لم تسعَ إلى تقديم أيةِ مساعدة للعثمانيين في الوقت الذي قدم فيه السلطان بيازيد لهم قبل ديو البحرية 1509م وبعدها كميةً كبيرة من الأسلحة والذخائر الحربية؛ لأن السلطنة المملوكية عدّت كل انتصار للدولة العثمانية هزيمةً قاسية للمماليك، ويؤدي إلى الانتقاص من هيبتهم بوصفهم سلاطين المسلمين.[2]

ويذكر البعض أن السلطان قانصوه الغوري اتخذ موقفاً وسيطاً من النزاع العثماني- الصفوي متخذاً سياسة التقارب بين الشاه إسماعيل والسلطان بيازيد في أواخر سنوات حكمه.[3]

وفي أواخر عام 1511م أعلن أتباع الشاه اسماعيل في الدولة العثمانية تمرداً آخر في الروميلي (المورة) بعد نفيهم من قبل السلطان بيازيد الثاني، كما أسلفنا بالقول، حيث تمكنوا من كسب تأييد بعض أفراد الأسرة الحاكمة حين حاول الأمير شهنشاه ابن السلطان بيازيد الثاني الذي كان حاكماً على قرمان عقدَ اتفاقية مع المتمردين، لكن توفي فجأة أواخر عام 1511م قبل أن ينجز أي أمر.[4]

وبما أن السلطان بيازيد كان يعاني من تدهور في صحته ومن المنازعة على العرش بين أولاده الثلاثة (أحمد، سليم، قرقود) اكتفى بإرسال رسالة احتجاج إلى الشاه اسماعيل يؤنبه فيها على تشجيعه لاتباعه في الأراضي العثمانية، وتأيده لهم في تمرداتهم ضد الدولة العثمانية،[5] ومن ثَمَّ فإنَّ السلطان بيازيد لم يحسم الموقف ويضع حداً للتحرشات الصفوية بالأناضول أو الروميلي، وهذا سيساعد فيما بعد في بروز الأمير سليم خليفةً له من واقع مساندة الإنكشارية له وقيامه بعمليات مسلحة ضد الصفويين وإجبارهم على التراجع.[6]

---

(1) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص55-56.

(2) غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص173.

(3) محمد جمال باروت: الصراع العثماني- الصفوي وآثاره في الشيعة في شمال بلاد الشام، ص108.

(4) Parry. V,1," the region of bayezid II and selim 1481- 1520" in M. A, cook (ed), a history of the ottoman empire to 1730, cambridage ,1976, p70.

(5) محمد عبد اللطيف هريدي: الحروب العثمانية- الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوربا، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 1987، ص44.

(6) عبد الله عودة وابراهيم ياسين الخطيب: تاريخ العرب الحديث، دار الأهلية، عمان، 1989، ص19.

2- تنازل السلطان بيازيد واستلام الأمير سليم العرش عام 1512- 1514م:

شهدت السنوات الأخيرة من حكم السلطان بيازيد الثاني تردي حالته الصحية إثر اشتداد مرض النقرس الذي كان يعاني منه والذي أقعده عن الحركة،[1] وهذا ما نتج عنه حصول تنافس حاد على العرش بين أبنائه الثلاثة (أحمد وقرقود وسليم) وإشعال نار الحرب الأهلية بينهما.

وعلى الرغم من اختيار السلطان بيازيد الثاني ابنه أحمد لتولي العرش كونه أكبرهم سناً، إلا أن الصراع العثماني- الصفوي[2] وتصدي الأمير سليم للصفويين في الأقاليم الصفوية في شرق الأناضول مازال مستمراً، وتعقب الشاه اسماعيل الذين شاركوا في التمرد الذي قام به شاه قولي، فضلاً عن فوزه بتأييد الإنكشارية من خلال قيادته لهم في حملات ناجحة في جورجيا.[3] ومن ثَمَّ فإن التحركات المهمة التي حققها السلطان سليم قد تمت بمبادرة منه، ومن دون الحصول على أذن من استنبول، لفت أنظار الباديشاه بيازيد الثاني، والديوان والجيش، وأصبح واضحاً أن جلوس أحمد على عرش أبيه سوف يلاقي عدم ارتياح عند حلول موعد الجلوس، وبذلك أيقن السلطان بيازيد إصراره على ابنه أحمد أنه سيهدر الدماء بين الأخوة، فدعى الأمير سليم وتخلى عن العرش له في 24 نيسان من عام 1512م.[4]

وعلى أثر ذلك احتدم الصراع بين السلطان سليم وأخيه أحمد حول العرش، فتمرد الأخير على أخيه وجمع جيشاً من أنصاره وقاتل أخوه سليماً بالقرب من مدينة يكي شهر عام 1513م، فخسر المعركة وقتل.[5] أما ابنه مراد فقد أجرى مفاوضات مع أعوان الحركة الصفوية وسمح لهم الدخول إلى أماسيا، ثم فر إلى الشاه اسماعيل لطلب المساعدة،[6] أما الأمير قرقوط بالرغم من مبايعته لأخيه سليم في استنبول لكن وشاية أخيه السلطان سليم أدى إلى إعدامه 1513م.[7] أما أخوه علاء الدين ابن أحمد فقد هرب إلى سلطان مصر قانصوه الغوري الذي امتنع عن تسليمه للسلطان سليم، ولم يكتف السلطان سليم بذلك بل ذهب إلى بورصة وأُلقيَ القبضُ على أولاد أخوته وقُتِلوا جميعاً.[8]

ومن ثَمَّ فقد أمضى السلطان سليم سنتين من سني حكمه منشغلاً في القضاء على تمردات أخوته المنافسين له على عرش السلطنة،[9] وما إن اطمأن السلطان سليم على سلامة جبهته الداخلية حتى عاد

---

(1) أحمد يوسف الدمشقي القرماني: أخبار الدول وآثار الأول، ص312.

(2) غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص174- 175.

(3) Shaw, stand for d. J, history of the ottoman empire and modern turkey vol. I, combridge, 1978, p79.

(4) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص208-210.

(5) غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص176.

(6) parry: op. cit. p70.

(7) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص215.

(8) غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص176.

(9) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص16.

إلى أدرنه فعقد المعاهدات مع البندقية، والمجر وروسيا، وذلك بهدف خلق علاقات سلمية مع أوربا حتى يتفرغ لمواجهة الخطر الصفوي.[1]

ثم بادر السلطان سليم إلى إعلان نفسه حامياً للمسلمين وزعيماً لهم وحصل على فتوى* تجيز محاربة الصفويين وتقرر وجوب قتلهم ووضع خطة لذلك، وعلى إثر ذلك قتل كل شخص معروفاً بولائه للصفويين داخل حدود السلطنة، وأسس نمطاً من الشرطة السرية، ووزع أفرادها داخل أرجاء السلطنة، وطلب منهم إعداد لائحةٍ بأسماء المؤيدين للشاه إسماعيل حتى يتم قتلهم، وهذا بدوره زادَ التوتر بين الدولتين الصفوية والعثمانية.[2] ويذكر بعض المؤرخين أن السلطان سليم قام بمذبحة شنيعة في شرقي الأناضول بحق أتباع الشاه إسماعيل القزلباش، وراح ضحيتها أربعون ألفاً، ولم ينجُ منهم طفل ولا إمرأة ولا شيخ، وذلك للقضاء على أية محاولة للتمرد قد تحصل في المستقبل، وحتى يتفرغ لقتال الشاه إسماعيل.[3]

وكان موقف السلطنة المملوكية جراء تفاقم الصراع العثماني الصفوي بعد اعتلاء السلطان سليم على عرش الدولة العثمانية وقتله أتباع الشاه إسماعيل القزلباش موقفاً وسيطاً، كما أسلفنا القول، فلم تقف إلى جانب الشاه، بل استقبل بعثة صفوية مكونة من مئتي موفد من الشاه أبلغته بالحرب الوشيكة بين الصفويين والعثمانيين ودعته إلى التحالف مع الشاه ضد السلطان سليم، فرد الأخير بإرسال وفد إلى السلطان قانصوه الغوري يدعوه للتحالف ضد الصفويين فنشب صراع بين الوفدين في حلب،[4] لكن عندما سلّمه وفد شاه إسماعيل رسالة من الشاه وجد فيها السلطان الغوري ألفاظاً (يابسة وكلاماً فجاً) على حد تعبير ابن إياس، فاغتاظ السلطان منها، وردّ عليها برسالة ألفاظها يابسة،[5] وحسب قول أكرم العلبي: إن هذا الخبر على بساطته وإيجازه ينفي تماماً أي تحالف أو تقارب بين المماليك والصفويين؛ لأن اتفاقاً كهذا لو تم فهو يعني نهاية السلطان الغوري ودولته، ولاسيما أن الشاه إسماعيل كان يتكلم بنوع من الاستعلاء

---

[1] غيثاء نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص176.

* من ابن كمال باشا (1469- 1534) الذي أصدر فتوى في إكفار القزلباش، ومن ثَمَّ قتل أتباع الشاه اسماعيل في الدولة العثمانية (القزلباش). للاطلاع على الفتوى محمد جمال باروت: الصراع العثماني- الصفوي وآثاره في الشيعة في شمال بلاد الشام، ص105.

[2] إبراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العصر الحديث والمعاصر، ص23- 24.

[3] كامل مصطفى الشيبي: الطريقة الصفوية ورواسبها في العراق المعاصر، دراسة عامة للشبك والنحل الصفوية في شمال العراق، دار النهضة، بغداد 1977، ص 47. وأيضاً فاضل بيات: دراسات في العرب في العهد العثماني، ص17.

[4] محمد جمال باروت: الصراع العثماني- الصفوي وآثاره في الشيعية في شمال بلاد الشام، ص108.

[5] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج4، ص266 -271.

والتهديد والتكبر، ويرى نفسه أنه أعلى بكثير من السلطان ودولته، فالسلطان سليم الأول يعرف جيداً استحالة قيام تحالف صفوي مملوكي؛ لأنه ليس هناك أي هدف مشترك بين الطرفين.[1]

3- معركة جالديران عام 1514م بين العثمانيين والصفويين:

كان الأمير سليم بن السلطان بيازيد الثاني يقاتل الصفويين ويتعقبهم إلى خارج الحدود لأنه عرِف بوضوح الأهداف التي كانت تحركهم،[2] فكانت رسائل التنبيه التي أرسلها إلى رجال الدولة وأبيه تشير كلها إلى حجم المخاطر التي تواجه الدولة على الحدود، ومما زاد في غضبه تجاهل هؤلاء لكل ما ورد في رسائله،[3] وعندما علِم الأمير سليم بقتل خان الأوزبك محمد الشيباني وقطع رأسه على يد الشاه إسماعيل جعله يقسم أن ينتقم منه جراء عمله.[4]

فضلاً عن ذلك قبل اعتلاء الأمير سليم عرش السلطنة فقد استاء كثيراً من الأعمال التي قام بها الشاه إسماعيل من خلال كسب العديد من المؤيدين له في الأناضول، والتي أدت إلى حدوث تمردات كما أسلفنا القول. ولم ينس الأمير سليم كل ذلك بعد استلامه عرش السلطنة.[5]

وبعد استلام السلطان سليم عرش السلطنة عام 1512م حدثت عوامل أسرعت تفاقم الصراع العثماني- الصفوي وانتهت بالمواجهة العسكرية بين الطرفين في سهل جالديران عام 1514م، ويمكن إجمال تلك العوامل بالآتي:

1- توافق سياسة التعصب المذهبي للنوايا التوسعية لكل من الشاه اسماعيل، والسلطان بيازيد. صحيح أن الشاه اسماعيل أسهم في نشر المذهب الشيعي الاثنا عشرية في الأناضول، لكنه تعاون مع السلطنة المملوكية ومع إمارات التركمان الحدودية بين الدولة العثمانية والسلطنة المملوكية، كما تحالف مع ملك جورجيا ضد العثمانيين، ومن ثَمَّ فإن التحالفات التي أجراها الشاه اسماعيل تبعد العامل المذهبي،[6] وهذا يعني أن الأعمال التي ارتكبها السلطان سليم الأول بحق اتباع الشاه اسماعيل (القزلباش) كان الهدف منها خلق فتنة لتبرير نواياه التوسعية، وهذا بدوره ينطبق على الشاه اسماعيل وأعماله التي ارتكبها في المناطق التي سيطر عليها.

2- وقوف الشاه إسماعيل إلى جانب الأمير أحمد وعدَّهُ أحق باعتلاء العرش من الأمير سليم لكن مقتله على يد الأخير في معركة يني شهر عام 1513م، أسفر عن استقبال ابنه مراد بعد هروبه

---

[1] أكرم العلبي: دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، الشركة المتحدة، دمشق، 1982، ص372.

[2] يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص206.

[3] عبد الحفيظ دحدح: العلاقات العثمانية الصفوية خلال القرن 16 (مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ العراق الحديث، إشراف: د محمد دراج، جامعة الجزائر، 2015، ص91.

[4] غيثاء نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، ص167.

[5] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص16.

[6] إبراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العصر الحديث والمعاصر، ص24.

إليه، فاستغل الشاه اسماعيل وجوده لتأليب المعارضة على حكم السلطان سليم.[1] فلم يكتف بذلك بل جعل مقره ملجأ للأمراء العثمانيين المعارضين للسلطان سليم، فأخذ يعدّ العدّة لخوض حرب كان يرى وقوعها لا محاله مع السلطان سليم.[2]

3- تجاهل الشاه اسماعيل مناسبة اعتلاء السلطان سليم العرش، حيث امتنع عن إرسال موفد لتهنئته.[3] ويمكن عدُّ هذا العامل ثانوياً إذا ما علمنا أن المسألة تتعلق بانقلاب ولاء الأمراء في منطقة الحدود المشتركة للشاه إسماعيل، فالمواجهة العسكرية والنتائج التي ستسفر عنها هي عودة هؤلاء الأمراء للحضيرة العثمانية.[4]

4- أراد السلطان سليم من هذه الحرب اتباع طريقه حازمة لتحطيم طموحات الصفويين التوسعية في أراضي إمارة الآق قوينلو السابقة، وإنهاء سيطرة الشاه على المحطات الاستراتيجية في طريق تبريز- حلب البرية لتجارة الحرير، وعليه يسيطر السلطان سليم على خطوط طريق الحرير الفارسية التي تصله بمدينة حلب- أنطاكية، وبعد وقوعها تحت سيطرته تكون مفتوحة أمام الأوروبيين.[5]

وبناءاً على ما تقدم أعدّ السلطان سليم جيشاً قوياً قوامه مائة وأربعين ألف جندي إنكشاري،[6] لمحاربة الشاه اسماعيل، والقضاء على دولته وتولى قيادة هذا الجيش بنفسه،[7] وانطلق هذا الجيش من الاسكدار في 23 نيسان 1514م، ثم وصل قونية في 1 حزيران في العام نفسه حيث توقف السلطان سليم في قونية فزار مولانا جلال الدين الرومي، ثم تابع السير حتى وصل أرزنجان في 24 تموز، لكن من الملاحظ أن أحد قادة الشاه الكبار اسطه جالو محمد خان قد أحرق المحاصيل المساكن كافةً على طول الطريق الواصل إلى عاصمة الدولة الصفوية تبريز.[8]

وفي 23 آب 1514م وصل الجيش العثماني إلى وادي جالديران، حيث تقابل مع الجيش الصفوي بقيادة الشاه إسماعيل،[9] ومن ثَمَّ يمكن عدّ يوم 23 آب من الأيام الهامة التي ستقرر مصير الدولة

---

(1) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص54. وأيضاً يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص214.

(2) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص17.

(3) محمد جمال باروت: الصراع العثماني- الصفوي وآثاره في الشيعة في شمال بلاد الشام، ص108.

(4) إبراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العصر الحديث والمعاصر، ص24.

(5) محمد جمال باروت: الصراع العثماني- الصفوي وآثاره في الشيعة في شمال بلاد الشام، ص101-103.

(6) أحمد عبد الرحيم مصطفى: أصول التاريخ العثماني، ص79.

(7) ابراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العصر الحديث والمعاصر، ص24.

(8) يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ح1، ص215.

(9) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص17-18.

العثمانية في الأناضول؛ لأنه إذا أدت هذه الحرب إلى هزيمة العثمانيين سيتم إلحاق الأناضول الأوسط بفارس. وعندما دارت الحرب بين الطرفين انهزم الجيش الصفوي وانتصر السلطان سليم الأول على الشاه الذي خلص نفسه بصعوبة عندما أنقذه أحد اتباعه بعد دخوله بين صفوف الجيش العثماني مرتدياً لباسه قائلاً باللهجة التركمانية (شاه منم) أنا الشاه،[1] وعلى أثر ذلك تمكن الشاه إسماعيل الفرار من أرض المعركة بعد أن جرح كتفه، فكان فراره من أرض المعركة عاملاً مساعداً في ترجيح كفة الحرب لصالح العثمانيين،[2] فضلاً عن تفوق سلاح المدفعية وبنادق الرصاص التي استخدمها المشاة العثمانيون على نطاق واسع ضد القوى الصفوية المكونة بغالبيتها من التركمان الفرسان،[3] ولم يكتف السلطان سليم الأول بتحقيق النصر على الشاه إسماعيل في سهل جالديران بل انطلق بجيشه نحو تبريز عاصمة الصفويين فدخلها دون مقاومة،[4] حيث استولى السلطان سليم على خزائن الشاه وأمواله وأسر زوجته تاجلي خانم وأخذ بعض جنوده أسرى، ثم سير مجموعة من أرباب الصناعة قدر أعدادهم بألف معلم نحو استنبول. حاول الشاه فك زوجته من الأسر حيث أرسل هدايا ثمينة للسلطان سليم عن طريق رسله، لكن السلطان امتنع وحبس الرسل وزوّج امرأته لقاضي العسكر جعفر جلبي[5] بقصد إذلال الشاه.[6]

ورغم الخسارة التي منيا بها الطرفان، والتي قدرت بخمسة آلاف قتيل،[7] ودخول السلطان سليم تبريز لم يستطع الأخير القضاء نهائياً على الصفويين، وذلك لعدة أسباب يمكن إجمالها بالآتي:

1- طبيعة بلاد فارس الجبلية وصعوبة المواصلات فيها.[8]

رغم رغبة السلطان سليم السيطرة على ممتلكات الصفويين فإن جنده الإنكشاريين حال دون تحقيق رغبته؛[9] لأنهم أظهروا علامات عدم ارتياح، وتحت ضغطهم رجع قافلا إلى استنبول، وتقرر السيطرة على فارس إلى حملة جديدة،[10] وخصوصاً بعد أن خسر الجيش بعض قواده.[11]

---

(1) يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص216-218.

(2) إبراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العصر الحديث والمعاصر، ص25.

(3) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص55.

(4) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص18.

(5) عباس العزاوي: موسوعة العراق بين احتلالين، مج3، ص360.

(6) ولكن فيما بعد قتل قاضي عسكر جعفر جلبي كونه من رجال الدين البكتاشية الذين رفضوا مبايعة الحرب ضد الشاه إسماعيل. انظر: الرفيعي: العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، 4ج، دار الفرات، بيروت، ط1، 2002، ج1، ص297.

(7) إبراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العصر الحديث والمعاصر، ص25.

(8) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص55.

(9) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص18.

(10) يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص219.

(11) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص184.

3- كثرة الغلاء والقحط في المنطقة بسبب سياسة الأرض المحروقة التي اتبعها الشاه اسماعيل[1] وقائده اسطه جالو محمد خان بعد انسحاب الأخير من ديار بكر باتجاه العاصمة تبريز أدى إلى امتناع السلطان عن مواصلة القتال، وهذا ماتم ذكره سابقاً[2]

4- تعرض المماليك لقوافل المؤن العثمانية التي رفدت الجيش العثماني أثناء المعركة مع الصفويين،[3] وخصوصاً عندما أغار علي دولت التابع للسلطنة على تلك القوافل.[4]

بعد فشل السلطان سليم الأول في تحقيق رغبته، والمتمثلة في القضاء على الدولة الصفوية استبدل سياسته القتالية تجاه الشاه اسماعيل ودولته إلى سياسة الحصار الاقتصادي بقصد انهيار الدولة الصفوية، ولتحقيق ذلك وجب على السلطان سليم الأول ضم أرمينيا وجورجيا وكردستان إلى أملاك الدولة العثمانية، فضلاً عن سيطرته على الجزيرة والتخوم الشمالية لبلاد الشام لقطع الطريق أمام الصادرات الصفوية وارداتها مع الموانئ الأوروبية،[5] وشل الحياة الاقتصادية في الأقاليم التركمانية التابعة للدولة الصفوية من خلال طرد جميع تجار الحرير من بورصة، وبقية المدن العثمانية ونفيهم إلى مناطق نائية في البلقان فضلاً عن منع تجارة الحرير وإيقاف سير القوافل البرية التي يسيرها رجال القبائل التركمانية إلى أسواق الغرب، ومن ثَمَّ حرمانهم من أهم مصدر لكسب الذهب والفضة.

بعد ذكر الأسباب التي منعت السلطان سليم الأول من التوغل داخل الأراضي الصفوية، وإدراكه أن انهيار الدولة الصفوية يكمن في استبدال سياسته القتالية بسياسة اقتصادية خانقة هدفها إحكام الطوق على الشاه إسماعيل، وجب علينا ذكر النتائج التي أسفرت عنها معركة جالديران عام 1514م وتأثيرها على السلطنة المملوكية، ويمكن إجمال تلك النتائج بالآتي:

1- إن انتصار السلطان سليم على الصفويين في جالديران عام 1514م أدى إلى تحقيق إنجازات ذات أبعاد تاريخية هامة، حيث استطاعت المؤسسة العسكرية العثمانية (الإنكشارية) من تحجيم تأثيرات الثورة الصفوية، وحالت دون توسع الشاه اسماعيل باتجاه الغرب،[6] وخصوصاً بعد إصابة الشاه بفقدان الأمل والكآبة بعد انكساره في جالديران.[7]

2- شكل الانتصار العثماني الحاسم على الصفويين في جالديران منعطفاً في تاريخ الأناضول الشرقي وشمال العراق، حيث تم إلحاق الهضاب المرتفعة من الأناضول الشرقي إلى الدولة

---

[1] عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص55.

[2] يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية،ج1، ص215.

[3] عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص55.

[4] ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج4، ص459.

[5] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص184.

[6] الرفيعي: العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، ج1، ص298.

[7] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص219.

العثمانية، وهذا هام من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية.[1] فمن الناحية الاستراتيجية عدّت هذه الهضاب المرتفعة والمشرفة على الشرق عسكرياً حاجزاً طبيعي أمام تقدم أي جيوش قادمة من الشرق، وبهذا الشكل غيّر السلطان سليم الأول الموازين العسكرية لصالح دولته،[2] وهذا بدوره جعل الطريق أمام العثمانييين مفتوحاً للسيطرة على العراق والمنطقة الشرقية للجزيرة العربية من جهة، واستخدام أقاليم الأناضول الشرقي قواعدَ عسكرية لشن العمليات في المستقبل من جهة ثانية.[3] أما من الناحية الاقتصادية فإن سيطرة السلطان سليم على طرق التجارة الدولية التي ينقل عبرها حريرَ فارس وغيره من منتجات الشرق من تبريز إلى حلب وبورصة أدى إلى حصول الخزانة العثمانية على مصادر هامة من الدخل وعرقلة تجارة الحرير الفارسية على الغرب متى يشاء. فضلاً عن ذلك سيطرته على تجارة الرقيق في القوقاز، وهذا بدوره يشكل عاملَ ضغطٍ على السلطنة المملوكية في المستقبل.[4]

3- ارتباط أمراء الأقاليم الواقعة في الأناضول الشرقي بالدولة العثمانية بعد أن غيروا ولاءَهم من الدولة الصفوية.

4- نتج عن هزيمة جالديران بالنسبة للصفويين ضعف الأسس الذي كان يقوم عليه الجيش الصفوي؛ لأن الشاه اسماعيل عدّ في النظام الصفوي المرشد الكامل للصفوية،[5] وكان شخصاً غير قابل للهزيمة إلا أن انكساره في جالديران أذهبت عنه أسطورة عدم غلبته التي تصورها الناس، فأثرت فيه من خلال إصابته بالإحباط واليأس الكامل، فلم يشارك في أي معركة بعد جالديران، وأوكل أموره بلاده إلى أمرائه المحليين بعد ذلك توفي عام 1524م ومن ثم تم نقل جثمانه إلى أردبيل ودفن في العتبة المقدسة بجانب جده الشيخ صفي الدين. ومن الجدير بالذكر أن رغبة الشاه في إشاعة الأمن في بلاده، وإيجاد الوحدة الوطنية والقومية بين مختلف مكونات الشعب الفارسي، واختيار المذهب الشيعي الاثنا عشري ليكون المذهب الرسمي في فارس دليلاً على فهمه ودرايته وحنكته، وهذا ما منحه ليكون رمزاً في تاريخ فارس.[6]

وعليه فإن الصراع العثماني- الصفوي وانتصار السلطان سليم الأول على الصفويين في جالديران عام 1514م هو أحد الأسباب التي جعلت السلطان سليم يقرر السيطرة على أراضي السلطنة المملوكية، ومن ثَمَّ فإن توتر العلاقات بين الطرفين كان وراءه أسباب ودوافع بعضها أسهم في صنعة المماليك،

---

[1] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص18- 19.

[2] الرفيعي: العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، ج1، ص298.

[3] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص18.

[4] أحمد عبد الرحيم مصطفى: أصول التاريخ العثماني، ص81.

[5] عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص56.

[6] رضا شعباني: المنتخب من تاريخ إيران، ص324- 325.

والبعض الآخر ناجم عن سياسة السلطان سليم،[1] فأدت في نهاية المطاف إلى المواجهة العسكرية بين الطرفين.

ثانياً: توتر العلاقات بين السلطة المملوكية والدولة العثمانية ما بين عامي 1514– 1516م

توترت العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية بعد الانتصار الذي حققه السلطان سليم على الشاه إسماعيل في معركة جالديران عام 1514م ويمكن إرجاع هذا التوتر الذي أدى إلى المواجهة العسكرية بين الطرفين إلى العوامل الآتية:

1- عدم مساندة المماليك للعثمانيين أثناء حربهم مع الصفويين:

إن العلاقة الودية بين الدولة العثمانية والسلطنة المملوكية لم تستمر طويلاً بعد اعتلاء السلطان سليم عرش السلطنة العثمانية عام 1512م؛ لأنه باعتلائه العرش أحدث تغيراً كبيراً في موقف الدولة العثمانية من الدولتين (الصفوية والمملوكية)،[2] فضلاً عن ذلك أن فكرة السيطرة على شرقي الأناضول وجنوبه قد اختمرت في عقل الأمير سليم منذ أن كان والياً على طرابزون، ولذا بعد أن تولى العرش عام 1512م والسيطرة على الوضع الداخلي وعقده معاهدة سلام مع أوروبا، كما أسلفنا القول، بدأ يستعد لمحاربة الصفويين للقضاء على خطرهم في شرقي الأناضول،[3] عندها عرض السلطان سليم الأول على السلطان قانصوه الغوري إقامة تحالف مشترك ضد الشاه إسماعيل، لكن السلطان الغوري رفض هذا العرض واكتفى بموقف المتفرج،[4] وقد ذكر البعض أن المماليك اتفقوا مع الفرس خشية أن يهاجمهم العثمانيون فيهب الصفويون لنجدتهم.[5]

أما البعض الآخر فقد ذكر أن قانصوه الغوري وقف على الحياد، ولم يساعد الصفويين خشية أن ينتصر الصفويون فيكون ذلك وبالاً على المماليك،[6] فقام بإرسال قوة من المماليك الجلبان إلى حلب لمراقبة تطورات الأمور، ولحماية الأراضي والإمارات الواقعة تحت نفوذ المماليك من الجيش العثماني الزاحف لمحاربة الشاه،[7] ومن الجدير بالذكر: أن السلطان قانصوه الغوري كان مسروراً بالصراع الدائر بين الدولتين العثمانية والصفوية؛ لأن هذا الصراع يحمي دولته من المخاطر المحدقة بها.[8] وعليه يمكن القول: تمنى السلطان الغوري أن تكون الحرب بين الطرفين سجالاً وتطول سنوات بحيث تضعف

---

[1] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص81.

[2] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص59.

[3] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص82.

[4] ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيون والأتراك، ص231.

[5] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص82.

[6] ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج5، ص22.

[7] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية – المملوكية 1464- 1517، ص187.

[8] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص60.

الخصمين وتقوى دولة المماليك؛ لأن السلطان قانصوه الغوري يعرف جيداً بأن المنتصر منهما سيحاربه لامحالة وهذا ما حصل.

بعد انتصار السلطان سليم الأول على شاه فارس بدأ يتحرش بالسلطان الغوري، وخصوصاً عندما وصلت إلى القاهرة رؤوس الأمراء والقادة الصفويين، وهذا كان واضحاً للجميع أن ذلك بداية الاحتكاك بالسلطان سليم. ويقول ابن اياس: "إن السلطان الغوري أدرك نوايا السلطان سليم، وذلك لم يظهر الابتهاج بما رأى، وأخذ أمراؤه حذرهم من السلطان سليم الذي بدأت مطامعه في بلاد السلطان تظهر"[1] ورغم ذلك فقد أرسل السلطان الغوري عن طريق نائبه في حلب خاير بك رسالة تهنئه بالنصر، رغم عدم امتنانه بنتيجة المعركة؛ لأن السلطان سليم أرسل له بشارة انتصاره على الصفويين فكان على الغوري أن يرد عليه كيلا يثير على نفسه غضب ابن عثمان ويتهمه بتحالفه مع الشاه إسماعيل.[2] وبالرغم من أنَّ ذلك السلطان سليم لم يكن راضياً على سلوك السلطان الغوري بسبب اتباعه سياسة الحياد، وهذا بدوره وتر العلاقات بينهما.[3]

2- رفض المماليك تسليم ابن أخ السلطان سليم الذي لجأ إليهم:

حرضت الدول المجاورة للدولة العثمانية: كالسلطنة المملوكية والدولة الصفوية الأمراء العثمانيون على اللجوء إلى أراضيهما، وهذا بدوره هدد العرش العثماني وسبب عداء شديد بين الدولة العثمانية وتلك الدول، وعند محاولة الدولة العثمانية الحصول على هؤلاء الأمراء لم تستجب تلك الدول لطلب الدولة العثمانية.[4]

وعندما استلم السلطان سليم عرش السلطنة عام 1512م أعمل السيف في رقاب إخوته وأبنائهم، وهذا انعكس بدوره على العلاقات الودية مع السلطان قانصوه الغوري،[5] وإن الذي عمله السلطان سليم تنفيذ ما سنّه السلطان محمد الفاتح الذي ورد في قانونه "قتل الأخوة" وبخاصة في وراثة العرش الذي يتيح لمن يفوز بالعرش قتل جميع إخوته الباقيين حرصاً على مصلحة البلاد،[6] وعندما سمح السلطان الغوري لأولاد أحمد بن السلطان بيازيد اللجوء إلى السلطنة المملوكية، واستقبالهما بحفاوى وترحاب، ورغم أن إقامتهما لم تطل بالقاهرة بسبب وفاتهما بالطاعون، إلا أن هذا العمل قد أثار حفيظة السلطان سليم

---

(1) ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج4، ص398.

(2) احمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص116-117.

(3) محمد جمال باروت: الصراع العثماني- الصفوي وآثاره في الشيعة في شمال بلاد الشام، ص108.

(4) احمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص82-83.

(5) ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيون والأتراك، ص229.

(6) احمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص83.

وخنقه، لكنه كظم غيظه إلى الوقت المناسب، وعدّ عمل الغوري عملاً غير ودي بسبب استقباله لأولاد أخيه أحمد.[1]

وعندما هرب الأمير قاسم بن أحمد سراً إلى حلب تم إحضاره سراً إلى القاهرة من قبل السلطان الغوري الذي كان في طريقه لمحاربه السلطان سليم الأول، وبالفعل اصطحبه معه إلى حلب وأخلع عليه الخلع السلطانية نكاية بعمه السلطان سليم.[2] ومن ثَمَّ عدّ العثمانيون إيواء الأمراء المطالبين بالعرش عملاً تحريضياً ترك أثراً عميقاً في نفوس سلاطين بني عثمان، وخصوصاً السلطان سليم الذي عدّه تصرفاً عدائياً سافراً، وبالمقابل استقبل السلطان سليم الأول الناقمين على حكم السلطان قانصوه الغوري ومنهم أحد كبار أمرائه المدعو (خوشقدم*) الذي التجأ إلى السلطان وأطلعه على كل كبيرة وصغيرة في أمر السلطان الغوري وحكومته وجيشه،[3] وهذا بدوره وَتَرَ العلاقات بين الطرفين وزادت من تصميم السلطان سليم على المضي في طريقه حتى النهاية.

3- تعيين علي بن شاه سوار على إمارة دلغادر:

عند مرور جيش السلطان سليم الأول من قيسارية عام 1514م في طريقه لمحاربة الشاه إسماعيل أرسل رسوله إلى أمير دلغادر علي دولت طالباً منه المشاركة في حرب الصفويين، لكن الأمير علي دولت خلق الأعذار معللاً كبره بالسن، وأنه لايستطيع القيام بأي مساعدة كونه تابع للسلطنة المملوكية، وما إن تابعت الحملة المسير حتى أغار علي دولت على قوافل الإمداد التي رفدت الجيش،[4] فضلاً عن هجومه على بعض تجهيزات الجيش العثماني[5] وأطرافه المتوجه إلى جالديران ونهبها،[6] ورغم أن السلطان سليم الأول لم يتعرض لإمارته[7] فأرسل السلطان سليم الأول رسالة إلى السلطان قانصوه الغوري يخبره بما فعله علي دولت، فرد عليه الغوري بكتاب جاء فيه: إن علي دولت عاصٍ، فإن ظفرت به فاقتله، وبالوقت ذاته أرسل الغوري رسالة إلى علي دولت يشكره على فعله ويشد على يديه بالاستمرار بتصلبه تجاه العثمانيين،[8] وبعد الانتصار الحاسم الذي حققه السلطان سليم على الشاه اسماعيل في

---

[1] ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيون والأتراك، ص231-232.

[2] احمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص71.

* خوشقدم: هو خوشقدم شاد الشون (مدير الأسطول) حيث صار السلطان الغوري أمواله فهرب إلى السلطان سليم الأول يحرض الأخير على السلطان سليم الأول وأخذ يحرض الأخير على السلطان قانصوه الغوري. للمزيد انظر: ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيون والأتراك، ص232.

[3] ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج4، ص449.

[4] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص188- 189.

[5] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص60.

[6] محمد جمال باروت: الصراع العثماني- الصفوي وآثاره في الشيعة في شمال بلاد الشام، ص124.

[7] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص87.

[8] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص189.

جالديران عام 1514م استطاع السلطان سليم الأول بالتحالف مع الفقيه الكردي إدريس البدليسي أن يسيطرَ على الأطراف العليا في إقليم الجزيرة في شمال بلاد الشام، وشمال غرب العراق، وأن يطرد الصفويين من تلك المناطق، ويحول ولاء الأمراء الكرد وانضمامهم للدولة العثمانية،[1] وبعد ذلك تفرغ للأمير علي دولت، ففي عام 1515م وجّه السلطان سليم أولى ضرباته المباشرة للسلطان قانصوه الغوري عندما طلب منه عزل الأمير علي دولت أمير إمارة دلغادر التركمانية الموالي للمماليك وتعين ابن أخيه (علي بن شاه سوار) مكانه، والذي التجأ سابقاً إلى السلطان سليم الأول هرباً من عمه علي دولت، وعلى وجه السرعة عمد السلطان سليم مباشرة إلى تجهيز الأمير علي بن شاه سوار بالأسلحة والرجال، وهاجم بهم عمه علي دولت الذي التجأ إلى قلعة زمنطو. ومن الملاحظ أن السلطان سليم أراد معاقبة الأمير علي دولت على الأعمال التي ارتكبها بحق جيش السلطان الذاهب لمحاربة الشاه اسماعيل.

وفي أوائل شباط عام 1515م وصل سفير علي دولت إلى القاهرة يطلب النجدة فلم يكترث السلطان الغوري به، بل أرسل معه أربعة أمراء إلى حلب ليراقبوا الوضع عن كثب،[2] بالرغم من شرح السفير (القاصد) للسلطان الغوري ما حدث بين أمير علي دولت وابن أخيه وبيّن مدى تعصب السلطان سليم لعلي بك ودعمه له.[3]

وفي شهر تموز عام 1515م وصلت إلى القاهرة أخبار مصرع علي دولت الذي قتله السلطان سليم الأول، واحتل بلاده التي كانت تابعة للسلطان الغوري، حيث كانت تضرب الدراهم باسمه والخطبة له. وقد علق ابن اياس على ذلك بقوله: "وقد خرجت بلاد علي دولت من يد السلطان ولن تنتطح في ذلك شاتان".[4] ثم قام السلطان سليم بتعيين علي بن شاه سيوار حاكماً على إمارة درلغادر. ويبدو أن هذا العمل الذي ارتكبه السلطان سليم قد قوبل برد عنيف من قبل السلطان قانصوه الغوري فأرسل الأخير رسالة إلى السلطان سليم الأول يطلب منه إبعاد الأمير الجديد من إمارة دلغادر وقراءة الخطبة باسمه، لكن السلطان سليم اغتاظ من طلب السلطان الغوري وعدّ ذلك تجاوزاً لحدوده فقال جملته المشهورة: "إن كان هذا الجركسي العجوز رجلاً، فليواصل الخطبة باسمه في مصر".[5]

وفي شهر آب عام 1515م وصلت إلى القاهرة رؤوس علي دولت وولده ووزيره في صندوق، ولما عرضوا على السلطان الغوري غضب وقال: "أتراه انتصر على ملوك الفرنجة حتى أرسل إليّ رؤوسهم" وهذه العبارة تلخص الموقف كله، وهو أن السلطان سليم استعان بالكفار على حرب المسلمين، وكانت هذه نظرة الناس إليه.

---

[1] محمد جمال باروت: الصراع العثماني- الصفوي وآثاره في الشيعة في شمال بلاد الشام، ص121- 122.

[2] ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج4، ص435-437.

[3] ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيون والأتراك، ص233.

[4] ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج4، ص378.

[5] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص60.

وعندما وصلت الأخبار إلى القاهرة أن السلطان سليم بعد سيطرته على إمارة دلغادر بدأ ببناء القلاع والحصون، فأسرع كلٌّ من نائب حلب خاير بك ونائب الشام سيباي بإرسال الرسل إلى السلطان الغوري من أجل إرسال العسكر قبل أن يتمكن ابن عثمان من أخذ البلاد،[1] لكن السلطان سليم اتبع أسلوب المراوغة، حيث احتل الأراضي التابعة للسلطنة المملوكية وهمَّ السلطان الغوري بالتحرك، فأرسل إليه السلطان سليم رسالة أو سفيراً وصرف السلطان الغوري النظر عن الحركة. وبعد أشهر محدودة وجَّه السلطان سليم ضربة جديدة.

وهكذا قد استمر هذا الأسلوب حتى معركة مرج دابق،[2] فمثلا بعد إلحاق إمارة دلغادر للدولة العثمانية وإرسال رؤوس قادتها إلى السلطنة المملوكية أرسل عدة رسائل للسلطان الغوري الأولى، أن الهدف من وراء تحركاته العسكرية الأخيرة هو إقصاء القوات الصفوية، وأكد له أنه ليس طامعاً في دولته أو يلحق الضرر به، ويحرص على العمل لتحسين العلاقات بين البلدين،[3] ثم بعث رسالة ثانية للسلطان الغوري مفادها أنه "قد أصدرنا هذه المفاوضة الشريفة مُخبِرةً عن خلوص نيّتنا وصفاءً لهويتنا إلى حامي الحرمين الشرفين ناصر الإسلام والمسلمين لنجدد المودة الأزلية بيننا".

ولم يلتفت الغوري للرسائل التي بعثها السلطان سليم الأول بعدما عرف أساليبه، بل أرسل له رسالةً طلب فيها "تأمين الأخشاب اللازمة لبناء السفن، وإرسالها مع الصناع، وذلك لاختبار نوايا السلطان سليم، وكان يعرف ردّه مسبقاً، ومما جاء منه: "إنه يعتذر عن إرسال الصناع لأنه قرر بناء مائة مركب كبيرة لا صغيرة... والمقام العالي ينبغي ألا يحمّل ذلك على التقصير والفتور"[4] فلم يرسل السلطان سليم الصناع والأخشاب إلى الغوري لأنه أذكى من أن يقوّي عدوه، ومن ثَمَّ كانت تصرفات السلطان سليم مرسومة بدقة متناهية وتُنفذ في التوقيت المناسب.

وقبل نهاية عام 1515م أقدم السلطان سليم على اعتقال الأمير جانم الخاصكي رسول السلطان الغوري إلى ملك التتار وأخذ ما لديه من الهدايا وهمّ بشنقه وقال أموراً شنيعة في حق سلطان مصر وعسكرها،[5] وعليه يمكن القول: إزاء الأعمال التي قام بها السلطان سليم الأول تجاه الممتلكات السلطنة بالشمال والسياسة التي اتبعها كلها كانت تُنذرُ بوقوع حرب لا محالة بين الطرفين.

---

[1] ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج4، ص463-466.

[2] أكرم العلبي: دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ص378.

[3] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص191.

[4] أحمد فريدون بك: منشآت السلاطين، 2ج، الاستانة، 1264، ج1، ص369-373.

[5] ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج4، ص471.

4- كشف السلطان سليم عن إقامة تحالف بين السلطان الغوري والشاه إسماعيل:

بعد انسحاب السلطان سليم من تبريز عاد الشاه إسماعيل الصفوي إليها، وبدأ بإصلاح ما خربه العثمانيون، وأعدّ جيشاً وشرع في إعادة نفوذه المنهار إلى المنطقة من جديد،[1] وخلال ذلك وصلت الأخبار إلى مسامع السلطان الغوري عن قرب اندلاع الحرب مجدداً بين الصفويين والعثمانيين،[2] وعندئذ وصلت رسالة من الشاه إسماعيل إلى الغوري يدعوه إلى التحالف محذراً إياه بأن السلطان سليم إذا أقدم على حملة ثانية إلى فارس فإنه سيتمكن من الاستيلاء عليها، ولن يكتفي بذلك بل سيتوجه نحو البلاد العربية للسيطرة عليها، والقضاء على الدولة المملوكية.[3] وعلى إثر ذلك قرر السلطان قانصوه الغوري الوقوف إلى جانب الشاه إسماعيل؛ لأنه ظن أنه لو ساعد الشاه في أول الأمر، في جالديران، لكان خيراً له ولجاءت النتيجة لصالحه.[4] وهنا يذكر أحمد متولي تأكيداً على ذلك بقوله: "إن المماليك أضاعوا الفرصة التي كانت مواتية أمامهم لكي ينضموا إلى جانب الصفويين في حربهم مع السلطان سليم عام 1514م، حيث كان من الصعب على العثمانيين تشتيت قواتهم وتوزيعها على جبهتين".[5]

وقد أدرك السلطان سليم أن هناك اتفاق في الأفق بين الصفويين والمماليك، وإذا حصل سيشكل خطراً على دولته، ولذا سعى إلى تضليله واتباع سياسة المراوغة مع السلطان الغوري، كما أسلفنا، ثم بادر إلى إرسال الهدايا القيمة إلى الخليفة والأمراء المماليك المتنفذين، وعندما انتشرت أخبار استعداداته لحملة جديدة أشار إلى أن هذه الحملة تستهدف فارس للقضاء على الدولة الصفوية،[6] وعندما علم السلطان الغوري بأمور الحملة عرف أن الدولة العثمانية تعدّ العدّة للسيطرة على بلاد الشام ومصر،[7] فأمر الغوري بإرسال حملة عسكرية إلى حلب يكون هو على رأسها، وأشاع أنها للتوسط بين السلطان سليم والقزلباش أتباع الشاه إسماعيل،[8] وأرسل إلى إخوة علي دولت وأبنائه ثمانية آلاف دينار لتجنيد التركمان ضد السلطان سليم،[9] وبعد ذلك تحرك السلطان بشكل فعلي لمحاربة المماليك ليتأكد من تحالف الغوري مع اسماعيل الصفوي.[10]

---

(1) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص21.

(2) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص193.

(3) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص60.

(4) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص193.

(5) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص255.

(6) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص61.

(7) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص89.

(8) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص193.

(9) محمد جمال باروت: الصراع العثماني- الصفوي وآثاره في الشيعة في شمال بلاد الشام، ص124.

(10) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص89.

ففي شهر آب من عام 1516م استولى السلطان سليم على النيابات المملوكية في عينتاب وملطية ولارندة وبهنسا في شمال بلاد الشام، وخطب فيها للسلطان سليم وضربت السكة باسمه ودعا السلطان المملوكي إلى النزال والحرب،[1] ثم أرسل رسالة تهديد للسلطان الغوري أنه اتضحت لنا بعض تصرفاتك التي لا تليق، والتي قصدت بها تقوية الشاه إسماعيل فقصدت البلاد لأنك أسوأ منه"،[2] وخصوصاً أن وصول السلطان الغوري إلى حلب آنذاك كان مبنياً على اتفاق مع الشاه إسماعيل،[3] فضلاً عن ذلك كان السلطان سليم على علم ودراية بالحلف الذي أقامه الشاه إسماعيل مع البرتغاليين قبل انكساره في جالديران عام 1514م، حيث كُشِف في حديث سري مع السفير البرتغالي الذي زار الشاه 1513م عن مخططات الشاه للاستيلاء على مكة والمدينة واجتياح الأراضي المملوكية،[4] بينما ترددت الشائعات عن مشاريع برتغالية هدفها السيطرة على عدن والاستيلاء على مكة والمدينة وإخراج عظام الرسول صلى الله عليه وعلى آله من قبره،[5] وهذا بدوره أزعج السلطان سليم عندما علم بقيام تحالف بين السلطان الغوري والشاه إسماعيل رغم معرفة السلطان الغوري بتحالف الشاه إسماعيل مع البرتغاليين الذين هددوا الأماكن المقدسة، وهذا أدى إلى توتر العلاقات بين الطرفين، فأراد السلطان سليم الأول السيطرة على بلاد الشام ومصر والقضاء على الحكم المملوكي، ليؤمن التجارة العثمانية الآتية من الشرق عبر البلاد العربية فيحصل على الأموال الطائلة من المكوس المفروضة على البضائع، وخصوصاً إذا استطاع السلطان سليم استعادة طرق التجارة كما كانت قبل الحصار البرتغالي،[6] فضلاً عن ذلك أراد أن يثبت للمسلمين أن مهمة حماية الأماكن المقدسة يجب أن تناط به، وأنه المنقذ الوحيد للعالم الإسلامي من الخطر البرتغالي، وبعد سيطرته على بلاد الشام ومصر وإنهاء الحكم المملوكي يبرزه بطلاً إسلامياً ويحقق أحلامه في بناء إمبراطورية غربية وشرقية على غرار إمبراطورية الاسكندر المقدوني الذي كان يتشبه به.[7]

ووفقاً للعوامل التي أدت إلى توتر العلاقات بين الطرفين، أدى في نهاية المطاف إلى المواجهة العسكرية بين السلطان سليم والسلطان الغوري في مرج دابق عام 1516م ومعركة الريدانية عام 1517م بين السلطان سليم الأول وخليفة السلطان الغوري (طومان باي)، والتي على أثرها تم السيطرة على مصر، ويومذاك بدأ الحكم العثماني للمنطقة العربية والذي استمر أربعمائة عام حتى عام 1918م.

---

(1) محمد جمال باروت: الصراع العثماني- الصفوي وآثاره في الشيعة في شمال بلاد الشام، ص124.

(2) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص89.

(3) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص61.

(4) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص179.

(5) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص59.

(6) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص90.

(7) ليلى صباغ: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، مطبعة ابن حيان، دمشق، 1982، ص83.

ثالثاً-احتلال العثمانيين لبلاد الشام ومصر 1516- 1517م:

كان السلطان سليم يُدركُ خطورة إعلان الحرب على دولة إسلامية، ولذا قبل أن يتوجه إلى المنطقة وجب عليه إيجاد أرضية شرعية لهذا الأمر حتى لا تتعرض سمعته الجهادية في العالم الإسلامي إلى الإساءة، فادعى أن السلطنة المملوكية غير قادرة على القضاء على التهديد البرتغالي الذي يستهدف الأراضي الإسلامية المقدسة، وأن العرب في تلك المناطق رفعوا شكواهم من ظلم المماليك إلى العثمانيين، فضلاً عن استغلاله الاتفاق الدائر بين الصفويين والمماليك، وعلى إثر ذلك استشار علماء الدين في مشروعية إعلان الحرب على حاكم مسلم (السلطان الغوري) تصدى له في حملته ضد الصفويين، فأفتوا ضد هذا الحاكم.[1]

ومن الأساليب التي اتبعها السلطان سليم الأول حتى يصرف أنظار السلطان قانصوه الغوري عن التحرك بجيشه نحوه وتركيزه على صفاء الود، وعدم الرغبة في احتلال الأرض أنه في عام 1516م وجه السلطان سليم الأول رسالة إلى السلطان قانصوه الغوري تضمنت البنود الآتية:

1. أن الخلافات بين الدولتين نشأت من أن التجار العثمانيين مُنعوا من شراء بضائعهم من بلاد السلطان.
2. وأن الحرب مع القزلباش لم تتم إلا بدافع ديني محض دون أن يكون الاستيلاء على الأرض من ضمن أسبابها.
3. وإن الحرب مع الشاه تلزمنا سدَّ جميع الطرق المؤدية إلى الشرق، وسنفتش ونمنع كل من نشك فيه.
4. وأنه لم يخطر ببالنا الإساءة اليكم أبداً.
5. وأننا أرسلنا إليكم سفيرين ركن الدين وأحمد لإعادة المودة بيننا.
6. وأن السفن التي نعدّها هي ضد الكفار.[2]

بالإضافة إلى ذلك تقصّد السلطان سليم نشر الأخبار الكاذبة عندما توجه لمحاربة السلطان الغوري مدعياً أنه عازم على محاربة الفرس، فأرسل إلى الغوري رسائل مملوءةً بالألفاظ المعسولة ومصحوبة بالتحف والهدايا للتمويه عليه وتضليله.

وبدوره فإن السلطان الغوري لم يخبر السلطان سليم الأول عن سبب قدومه الحقيقي إلى الشام وحلب، حيث قال له: إنه أتى من أجل إتمام الصلح بينه وبين الصفويين، لكن الحقيقة هي الدفاع عن بلاده واستعداده للتصدي للسلطان سليم في حال نشوب حرب بينهما،[3] وبعد وصول السلطان الغوري

---

[1] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص59. وأيضاً محمد جمال باروت: الصراع العثماني-الصفوي وآثاره في الشيعة في شمال بلاد الشام، ص107.

[2] أحمد فريدون بك: منشآت السلاطين، ج1، ص374.

[3] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص154-155.

إلى حلب التقى بسفير السلطان سليم ركن الدين زيزك وأحمد قراجا باشا، حيث عرضا على السلطان الغوري رغبة السلطان سليم بتمتين الصداقة والمحبة بينهما، فكان مطلب السلطان الغوري هو إقالة ابن سوار عن الحكم، واستعادة الأراضي التي أخذها العثمانيون منه، والتوسط للصلح بين السلطان سليم والشاه إسماعيل.[1]

وظنَّ السلطان قانصوه الغوري أن مجرد ظهوره على الحدود الشمالية من سلطنته سيخيف السلطان العثماني فيتنازل له عما يريد، لكنه أساء التقدير؛ لأنه بعمله هذا استثار العثمانيين ودفعهم إلى القتال،[2] والذي زاد الطين بلة حين ألقى العثمانيون القبض على جواسيس المماليك حيث كانوا يحملون رسالة من السلطان قانصوه الغوري إلى الشاه إسماعيل يستحثه على قتال السلطان العثماني،[3] وهذا ما سبب استعجال السلطان سليم الأول للقضاء على جيش المماليك، فقام باحتلال عينتاب واستعد للسير نحو حلب للقاء السلطان قانصوه الغوري،[4] خصوصاً بعد إهانته لرسول السلطان الغوري الأمير مغلباي فحمّله رسالة تهديد يقول فيها: "قل لأستاذك يلاقينا على مرج دابق".

1- معركة مرج دابق عام 1516م واحتلال بلاد الشام:

إن رسالة التهديد التي أرسلها السلطان سليم الأول للسلطان قانصوه الغوري مع كاتم سره مغلباي بعد أن حلق لحيته وأركبه على حمار أعرج معقور[5] جعلت السلطان الغوري يستشيط غضباً[6] مما جعله يدفع بطوالع جنده إلى مرج دابق، وخوفاً من غدر أمرائه جمعهم وجعلهم يقسمون على المصحف الشريف ألا يخونوه ولايغدروا به، فأقسم كلهم على ذلك، أما الجند فإنهم مروا تحت سيفين على قنطرة وأقسموا على الولاء،[7] وكان عددهم يقدر بثمانين ألفاً، ورغم ذلك لم يتمكن من الاستفادة من قلة عدد خصمه العثمانيين البالغ نحو ستين ألفاً بفضل وجود المدافع البالغ عددها نحو ثلاثمائة مدفع.[8]

وفي 23 آب من عام 1516م اصطدم الجيشان العثماني والمملوكي في موضع يعرف بتل الفار في مرج دابق قرب حلب،[9] واستمرت المعركة والتي عرفت بشدتها مابين 8-9 ساعات، وكان الجيش العثماني يتفوق على الجيش المملوكي في المعدات الحربية وبخاصة امتلاكه المدافع. وفي نهاية المطاف

---

(1) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص195-196.

(2) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص98.

(3) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص200.

(4) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص98.

(5) ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج5، ص68-163.

(6) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص164.

(7) ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج5، ص163.

(8) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص222.

(9) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص99.

تمكن الجيش العثماني من تحقيق نصر حاسم على المماليك،[1] وعلى إثر ذلك انتحر السلطان قانصوه الغوري بشرب السم، فوقع عن حصانه بعد أن فقد وعيه ومات على الفور،[2] كما قُتِلَ معظم أمرائه وتفرق الجيش المملوكي، ولاذ الأمراء والأفراد الباقون بالفرار، فغنم العثمانيون غنائم كثيرة.[3]

والحقيقة إن هذه المعركة تُعد إحدى أكبر المعارك في العصر الحديث، وقد عبر عنها ابن زنبل بقوله: "لم نرَ في التواريخ القديمة والحديثة وقعةً مثل هذه الوقعه، ولا اجتمع فيها مثل هذين العسكريين ولا أكثر عدداً"،[4] حيث حققت ثلاث نتائج هامة يمكن إجمالها بالآتي:

أ- رفع المعنويات العسكرية والنفسية للعثمانيين لمواصلة حملتهم للقضاء على السلطنة المملوكية.

ب- تأمين السيطرة على بلاد الشام وفتح طريق مصر والحجاز في الوقت نفسه أمام العثمانيين.

ت- شكلت عاملاً هاماً لاستكمال وحدة الأناضول.[5]

وبعد الهزيمة التي لحقت بالجيش المملوكي لجأت فلول المماليك نحو حلب،[6] فكان موقف أهل المدينة أنْ أقفلوا أبواب المدينة في وجه فلول المماليك الهاربة التي حاولت الدخول إلى المدينة لالتماس المساعدة، واستعادة الودائع حتى تعرض أفرادها للقتل والنهب.[7] وحسب قول ابن إياس: "قام أهل حلب قاطبة بصد الجنود المماليك المتقهقرين، ودخلوا في معركة معهم لما فعلوه من فسق في نسائهم وأولادهم أيام نزولهم في بيوتهم غصباً، فأخذوا بثأرهم منهم، فغادرها الجند".[8] ولما رأى الأمراء وبقية العسكر ذلك خرجوا من حلب وتوجهوا إلى الشام وهم في أنحس حال.[9]

وعند وصول جنود المماليك الهاربين إلى القاهرة في تشرين الأول عام 1516م بعد أن تعرضوا في الطريق لهجمات البدو، تأكد لأهل القاهرة نبأ الهزيمة التي حلت بالجيش المملوكي على يد السلطان سليم الأول، فأسرع الأمراء في مصر باختيار طومان باي سلطاناً خلفاً للغوري.[10] ويقول ابن إياس: إن

---

(1) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص62.

(2) ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج5، ص70.

(3) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص62.

(4) ابن زنبل؛ الشيح أحمد الرمال: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، ت: عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1997، ص33.

(5) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص62-63.

(6) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص172.

(7) ابن زنبل: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، ص40.

(8) ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج5، ص72-73.

(9) ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيون والأتراك، ص254.

(10) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص173.

طومان باي لم يقبل بالسلطنة إلا بعد أن أحضر مصحفاً شريفاً وحلف الأمراء"بأنهم إذا سلطنوه لا يخونوه ولا يغدرونه ولا يغامرون عليه ويرضون بقوله وفعله".[1]

وفي 24 آب من عام 1516م سار السلطان سليم إلى حلب، فخرج أهلها لاستقباله، وعند مقابلة أعيان حلب وشيوخ القبائل السلطان سليم عرضوا عليه الطاعة والولاء وسلموه مفاتيح القلعة.[2]

وفي الجامع الكبير أدى السلطان سليم، يرافقه الخليفة والقضاة الثلاثة* وخاير بك* صلاة الجمعة، وذكره خطيب الجامع بلقب خادم الحرمين الشريفين، وبعد ذلك استولى السلطان سليم الأول على خزائن السلطان الغوري، والتي تشمل مبالغ كبيرة من الأموال وكميات كبيرة من الذهب والفضة والمواد الثمينة.[3]

توقف السلطان سليم الأول في حلب سبعة عشر يوماً لاتخاذ التدابير اللازمة قبل أن يتوجه لاحتلال دمشق، حيث عين قراجا باشا حاكماً على المدينة، وكمال جلبي قاضياً فيها، وأمر عبد الكريم بك دفتردار الروميلي بالبقاء في حلب لجمع المال،[4] وأكرم العلماء وأحسن إليهم وعلى رأسهم الخليفة العباسي. لكنه وبّخ قضاة القضاء عندما قابلوه وقال لهم: "أنتم تأخذون الرشوة على الأحكام الشرعية وتسعون بالمال حتى تتولوا القضاء لماذا لم تمنعوا سلطانكم عن المظالم التي كان يفعلها بالناس؟".[5]

وبعد هروب الأمراء المماليك وعلى رأسهم جان بردي الغزالي الذي وصل إلى الشام في 3 أيلول 1516م، بما أنه كان مؤيداً للسلطنة المملوكية ظاهرياً، فقد عين من قبله حاكماً على حماه وحمص، وتحالف مع ناصر الدين بن الحنش الأمير البدوي، فعينه نائباً على حمص، وعين ابن جانباي البدوي صهر ابن الحنش على بلاد حوران والمرج.[6]

وبعد مكوث السلطان سليم الأول في حلب قرر متابعة احتلال بلاد الشام، فانطلق نحو دمشق عبر تدمر، وعندما وصل إلى حماه تم تسليم القلعة إلى رجاله وعهد بإدارتها إلى كوزلجة قاسم باشا. ثم تقدم الجيش نحو حمص فدخلها السلطان سليم دون مقاومة[7] بعد هروب حاكمها المعين من قبل جان بردي الغزالي نحو دمشق، ثم بدأت جماعات المماليك على رأسهم نائب الشام (جان بردي الغزالي)

---

[1] ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج5، ص86.

[2] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص171.

* أما القاضي الحنفي محمود بن الشحنة هرب مع العسكر وتوجه إلى الشام فنهبت جميع أملاكه ودخل الشام في أنحس حال. انظر: ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص255.

* بعد دخول السلطان حلب توجه خاير بك إلى حماه، وبعد ذلك أرسل خلفه السلطان وخلع عليه وسمّاه السلطان سليم خاين بك؛ لأنه خان سلطانه وأطاع ابن عثمان. ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص257.

[3] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص64.

[4] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص172.

[5] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص255.

[6] عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص100.

[7] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص64-65.

يخرجون من الشام تجاه مصر بعد زحف السلطان سليم تجاه الشام، وتسلم نائب القلعة المملوكي علي باي المحافظة على الأمن في دمشق، وعلى إثر ذلك استغل الزعران اضطرابات الوضع السياسي فقاموا بهجمات ضد المماليك، وحصل نزاع بين أهل المزة وداريا لتصفية خلافات قديمة.[1] وبعد سيطرة السلطان سليم الأول على حمص من دون مقاومة اتخذتها سنجق وعين عليها "(هتمان أوغلي) لإدارتها وترك فيها وفي حماه قواتٍ كافيةً لفرض الأمن فيها، ثمَّ توجه نحو دمشق.[2]

وعندما وصل السلطان سليم إلى أطراف دمشق أرسل الرسل لطلب تسليمها فاجتمع العلماء ومشايخ الحارات وقرروا تسليم البلد، خصوصاً بعد فشلهم في حماية البلد من النهب، وهزيمة المماليك عسكرياً على أيدي العثمانيين.

وعلى أثر ذلك دخل فريق من العثمانيين إلى دمشق وضم المتسلم وخاير بك، وبعد ذلك قدِم الوالي العثماني يونس باشا المعين لدمشق، ثمَّ توجهوا نحو الجامع الأموي وخُطِب باسم السلطان سليم، وعلى ذلك بدأ جنود بني عثمان يتوافدون إلى دمشق ووصل القاضي الحنفي زين العابدين بن الفنري الرومي، وعين من قبله القضاة على المذاهب كافةً (الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي)، وأدخل تعديلات على التنظيمات القضائية.

وعندما وصل السلطان إلى برزة ظاهر دمشق ومعه الخليفة العباسي قدم إليه القضاة على المذاهب الأربعة، ومعهم السيد كمال الدين بن الحمزة، وجماعة من الأشراف، وقدموا الولاء والطاعة،[3] كما قدِم ناصر الدين بن الحنش الذي عين نائباً على الشام من قبل المماليك بعدما أقنعه خاير بك بالاستسلام، فقدّم فروضَ الطاعة والولاء للسلطان سليم، كما قدم قادة قلاع سورية وشيوخ العرب وأمراء الدروز* الطاعة والولاء للسلطان.[4]

وبقي السلطان اثنا عشر يوماً، ففي 8 تشرين من عام 1516م دخل دمشق وعين لحكمها شهاب الدين أحمد بن يخشى العثماني، ومن الملاحظ أن مدن بلاد الشام أخذت تتساقط الواحدة تلو الأخرى بيد السلطان سليم دون مقاومة حتى دخوله دمشق، حيث مكث فيها سبعاً وستين يوماً.[5] وخلال ذلك أدخل بعض التنظيمات والإصلاحات التي تخص الإدارة والقضاء والعلماء والشؤون العلمية، كما أجرى إحصاءً للسكان والممتلكات في المدينة، وألغى القيود المذلة المفروضة على السكان المسيحيين واليهود وتجار

---

(1) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص101.

(2) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص65.

(3) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص101.

* أمثال الأمير فخر الدين المعني الأول والأمير جمال الدين اليمني والأمير عساف التركماني. انظر: غيثاء نافع: العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517م هامش 6، ص210.

(4) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص65.

(5) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص174.

البندقية وسمح لهم بممارسة طقوسهم الدينية بحرية، وبهذا الشكل بعد سقوط دمشق بيد السلطان سليم الأول أصبح سيد بلاد الشام دون منازع.[1]

بعد أن تكلمنا عن معركة مرج دابق ودخول السلطان سليم الأول إلى حلب وهروب الجيش المملوكي ثم سقوط مدن بلاد الشام واحدة تلو الأخرى، حتى سيطرته على دمشق، وجب علينا معرفة الأسباب التي أدت إلى هزيمة الجيش المملوكي أمام الجيش العثماني.

أسباب هزيمة المماليك أمام العثمانيين:

تمحور أسباب هزيمة المماليك وانتصار العثمانيين في معركة مرج دابق بالآتي:

1. أسلوب المباغتة والمفاجأة الذي اتبعه السلطان سليم الأول، حيث نجح بإقناع المماليك بأن حملته العسكرية الضخمة المعسكرة قرب الحدود المملوكية العثمانية إنما القصد منها مواجهة الصفويين، فاقتنع المماليك بهذا الأمر ثم تعرضوا لمفاجأة نزول العثمانيين قرب مرج دابق بعد اعتقال رسل السلطان الغوري وسيطرته على كثير من الحصون والقلاع الحدودية، فاضطر السلطان الغوري للاشتباك معه على عجل في مرج دابق.[2]
2. يمتلك الجيش العثماني الروح المعنوية العالية وخصوصاً بعد انتصاره الساحق على الصفويين في جالديران، بينما الجيش المملوكي كان يفتقر إلى تلك الروح، فضلاً عن افتقاره للخبرة القتالية إذا ما قورنت بالجيش العثماني، والسبب في ذلك عدم تعرض السلطنة المملوكية لغزوات كبرى هذا من جهة، ومحافظة الجيش المملوكي على التقاليد القديمة في الفروسية والقتال وعدم محاولة السلاطين تطوير الجيش وتسليحه بأسلحة حديثة من جهة ثانية، فدخل معركة مرج دابق بأسلحته التقليدية المعروفة، بينما مدافع السلطان سليم وبنادقه كانت له بالمرصاد.[3]
3. تفكك الجيش المملوكي في أواخر أيامه وانشغاله بالمنازعات الداخلية وقيامه على نظام الجلبان والقرانص* الذي أدى إلى انهيار صفوف الجيش المملوكي أمام الجيش العثماني، فالشجاعة والفروسية المملوكية لم تنفع أمام تطور الأساليب القتالية العثمانية المتمثلة بالمدافع العثمانية وقدرتها على المناورة والحركة،[4] فضلاً عن الأساليب التكتيكية الحديثة التي طبقت من خلال تدعيم مواقع الجيش العثماني بواسطة قلاع متحركة تشكلت من عربات مربوطة ببعضها

---

[1] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية– المملوكية 1464– 1517، ص210– 211.

[2] شاديه حسن العدوان: "موارد ابن إياس في كتابه بدائع الزهور عن الصراع المملوكي العثماني، 1516– 1517"، المجلة الأدبية للتاريخ والآثار، مج6، العدد2، 2011، ص100.

[3] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيون والأتراك، ص258–259.

* القرانصة: هم المماليك القدامى، أما إذا كان المملوك معتقا وله ولد فيقال له: ابن الناس. انظر: محمد دهمان: الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص122.

[4] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص254.

البعض، وامتلاك الخيالة معدات كانت على شكل شوكات وخطافات حديدية مربوطة بالحبال، والتي كان لها دور هام في المعركة.[1]

4. إن الخطة العسكرية التي طبقها السلطان سليم في مرج دابق لها دور هام في تحقيق الانتصار، ومفاد هذه الخطة أن يتم الهجوم والتقدم أولا، ثم التراجع حتى يصبح الجيش المعادي على مرمى المدفعية والبنادق التي تعمل في الوقت المناسب، والدليل على ذلك أنَّ عدد القتلى الذي بلغ نحو خمسمائة فردٍ قُتلوا برصاص البنادق.
5. يفتقر الجيش المملوكي إلى التجانس بالتشكيل، حيث تكوّن من المماليك الذين رافقوا السلطان الغوري فور خروجه من مصر ومع مماليك نواب بلاد الشام، فضلاً عن التنافس والبغضاء اللتين ميزتا الجيش المملوكي الذي تكون من الجلبان والمماليك القرانصة ومماليك الأمراء والنواب.[2] وفي بداية المعركة أشاع خاير بك أن السلطان الغوري أمر جلبانه بعدم القتال حتى يصدر أوامره إليهم، وحتى يقاتل القراصنة وحدهم، وعلى إثر ذلك فترت همة القرانصة،[3] وبالمقابل إن المماليك الجلبان لم يبذلوا فعاليةً كبيرةً في القتال، خصوصاً عندما رأوا أن السلطان قدم عليهم القرانصة فعدوا ذلك قلة ثقة السلطان بهم وتحقيراً لشأنهم مع أنه فعل ذلك ليبقيهم حتى يحميهم.[4] وقد رفض القرانصة مواصلة القتال[5] وقالوا لبعضهم: "نحن نقاتل بأنفسنا مع النار، وأنت، أي السلطان، واقف تنظر إلينا بالعين الشامتة، ما تأمر أحداً من المماليك يخرج إلى الميدان".[6] وكان ذلك رداً على ما قاله السلطان الغوري لمماليكه الجلبان: "لاتقاتلو شيئاً وخلو المماليك القرانصة تقاتل وحدهم"،[7] فأدى ذلك إلى تقاعس الطرفين عن القتال في المعركة، فاختل ميزان المعركة لصالح الجيش العثماني، وأخذ السلطان الغوري ينادي يا أغوات! هذا وقت المروءة، هذا وقت النجدة يا أغوات الشجاعة، صبر ساعة.[8] لكن الإشاعة التي أشاعها خاير بك بأن السلطان الغوري قد قتل وقال: "الفرار الفرار، فإن السلطان سليماً أحاط بكم وقتل الغوري والكسرة علينا".[9] وبالطبع هذه الإشاعات كان لها دور محبطٌ فانهارت قوة الجيش المملوكي أمام

---

(1) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية– المملوكية 1464– 1517م، ص213.

(2) ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين والأتراك، ص259–260.

(3) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص167.

(4) ليلى صباغ: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص90.

(5) شادية حسن العدوان: موارد ابن اياس في كتابة بدائع الزهور عن الصراع المملوكي العثماني، ص102.

(6) ابن زنبل: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، ص16.

(7) ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج5، ص68–73.

(8) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص168.

(9) ابن زنبل: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، ص17.

الجيش العثماني المتماسك الذي تمتع بكثير من التنظيم، إذ إن الفساد لم يدب بعد بشكل كبير في صفوف الإنكشارية،[1] والفضل يعود للسلطان سليم الأول الذي سعى إلى تأمين حاجات الجند والضباط أثناء الحرب.[2]

6. أدت الخيانة دوراً هاماً في تقويض أركان السلطنة المملوكية قبل معركة مرج دابق وخلالها فأدى أدوارها خوشقدم (شاد الشون) وإبراهيم السمرقندي ويونس العادلي وصولاً إلى خاير بك وجان بردي الغزالي. وبالنسبة لخاير بك فقد أدى دوراً فعالاً في سرعة هزيمة الجيش المملوكي، حيث انسحب من المعركة مع قواته بعد أن أشاع مقتل السلطان الغوري، وتوجه إلى حماه وبعد دخول السلطان سليم عاد إلى حلب وأصبح من أمرائه وأطلق عليه السلطان خاين بك؛ لأنه خان سيده، كما أسلفنا. أما جان بردي الغزالي فكان أكثر دهاءً من خاير بك حيث انسحب من المعركة متظاهراً بالهزيمة وحضر دمشق وتولى نيابتها باتفاق الأمراء ثم غادرها إلى مصر، وله دور هام في انتصار السلطان سليم على السلطان طومان باي في معركة الريدانية.[3] وبعد القضاء على السلطنة المملوكية كافأ العثمانيون كلاً من خاير بك وجان بردي الغزالي فأعطوا الأول حكم ولاية مصر، والثاني حكم ولاية الشام ثمناً للخيانة.[4]
7. عند مقارنة الدولة العثمانية مع الدولة المملوكية وجب علينا أن ننوه بأن الدولة العثمانية فتية آخذة بالنمو وتحقق الانتصارات على جيرانها، بينما السلطنة المملوكية دولة هرمة متفككة آخذة في الضعف والانهيار، وقد أنهك اقتصادها تحول طرق التجارة إلى رأس الرجاء الصالح،[5] وهذا بدوره أثر بشكل سلبي على إعداد الحملات العسكرية، وخصوصاً الحملة التي قادها السلطان قانصوه الغوري وخوضها معركة غير متكافئة مع قوات السلطان سليم الأول في معركة مرج دابق عام 1516م.

بعد تبيان الأسباب التي أدت إلى هزيمة المماليك وانتصار العثمانيين في معركة مرج دابق في 24 آب عام 1516م وسيطرة السلطان سليم على بلاد الشام واستقراره في دمشق حيث مكث فيها من 28 أيلول إلى 16 كانون الأول من عام 1516م، فقد أعلنت طرابلس أثناء ذلك خضوعَها للدولة العثمانية، وبدأت الحاميات المملوكية في المنطقة الجنوبية بالانسحاب من المدن الهامة، فأعلنت كلٌّ من صفد وطبرية ونابلس والقدس وخليل الرحمن خضوعَها للدولة العثمانية،[6] وللتقرب من الأهالي وكسب عطف

---

[1] عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص100.

[2] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517، ص214.

[3] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين والأتراك، ص261.

[4] عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص99.

[5] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص254.

[6] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني.

العلماء والرأي العام الإسلامي وأنه جدير بلقب خادم الحرمين الشرفين قام السلطان سليم بتزيين المحمل الذي يرافق الحجاج إلى الحجاز ونشر الجند في غزة والقدس والمناطق المجاورة للمحافظة على سلامة الحجاج من جهة، ولرؤية رد الفعل لدى المماليك في مصر، فيما لو توسع جنوباً وهاجم مصر.[1] لكن أثناء ذلك لم يهتم السلطان سليم بالسيطرة على مصر، وذلك للأسباب الآتية:

1. أنَّ حملته على مصر ستعرضه لمخاطر اجتياز صحراء سيناء، بما في ذلك خطر هجوم البدو عليه وامتداد خطوط مواصلاته.
2. وأنَّ سهولة السيطرة على بلاد الشام يجب ألا تقارن بالسيطرة على مصر؛ لأن مماليك في بلاد الشام كانوا قلةً إذا ما تم مقارنتهم بمصر، وكراهية الشعب في بلاد الشام للمماليك ونقمته على ظلمهم وتعسفهم سهل عملية سيطرة السلطان سليم على المنطقة.
3. وأنَّ توقع السلطان سليم الأول أن تكون المقاومة المملوكية أكثر عنفاً في مصر كون مصر آخر معقل لهم.
4. وأنَّ توغل العثمانيين في مصر من شأنه أن يشجع الصفويين على استجماع قوتهم وإعادة تهديد المناطق العثمانية.[2]

إثر هذه الأسباب أراد السلطان سليم أن يفاوض السلطان طومان باي وهو في دمشق، ففي البداية أرسل وزراء بني عثمان رسائل إلى الغزالي وأمراء المماليك في مصر يطلبون منهم إعلان الطاعة والولاء للسلطان سليم،[3] لكن رسالة السلطان سليم للسلطان طومان باي هي التي قررت خروج السلطان إلى مصر والقضاء على السلطنة المملوكية.

وشملت هذه الرسالة؛ التقليل من شأن طومان باي وفيها تهديد ووعيد، نذكر مقاطع منها: "إن الله تعالى قد أوحى إليّ بأن أملك الأرض والبلاد من الشرق إلى الغرب كما ملكها الاسكندر ذو القرنين... إنك مملوك منباع مشترى ولا تصح لك ولاية، وأنا ملك ابن ملك إلى عشرين جد، وقد توليت الملك بعهد من الخليفة ومن قضاة الشرع... وإني أخذت المملكة بحد السيف بحكم الوفاة عن السلطان الغوري، فأحمل لي خراج مصر في كل سنة كما كان يحمل لخلفاء بغداد... وإن أردت أن تنجو من سطوة بأسنا فاضرب السكة في مصر باسمنا وكذلك الخطبة، وتكون نائباً عنا بمصر ولك من غزة إلى مصر، ولنا من الشام إلى الفرات...".[4]

---

[1] عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص103.

[2] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص183. وأيضاً صلاح هريدي: دراسات في تاريخ العرب الحديث، ص64-65. وأيضاً غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص216. وأيضاًعبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص103-104.

[3] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص183.

[4] ابن اجا: العراك بين المماليك والعثمانيون والأتراك، ص219.

ومن الملاحظ أن السلطان سليم لا يريد الحرب مع السلطان طومان باي بل أراد أن تكون مصر تابعة له تحت حكم الأخير، حيث حذره السلطان سليم من مغبة الوقوع بالخطأ كما وقع سلفه السلطان قانصوه الغوري، لكن عندما قرأ السلطان طومان باي الرسالة رفض الطلب، وبتأثير من أتباعه الأمراء الشراكسه قتل رسول السلطان لاعتقاده أن احتلال السلطان لبلاد الشام لن يدوم طويلاً، وليس باستطاعة السلطان سليم وجيشه اجتياز صحراء سيناء، وأنه سيسحب قواته من بلاد الشام، كما فعل المغول من قبل، وعندئذ يتم استعادة بلاد الشام بعد مغادرة السلطان سليم إلى الأناضول.[1]

لكن الذي حدث خلاف ما توقعه السلطان طومان باي وأمراؤه؛ لأن السلطان سليم بعد مقتل رسوله ورفض طومان باي تنفيذ ما طلبه وبإلحاح من خاير بك، حيث قال للسلطان سليم: "تركب إلى مصر نأخذها، ونقطع هذه الطائفة الجراكسة من أرض مصر جملة واحدة، وأنا ضامن لك هذا الأمر بعناية الله".[2]

لكن السلطان سليم رأى أن الإنجازات العسكرية التي حققها في بلاد الشام ستتلاشى دون السيطرة على مصر.[3] وعلى إثر ذلك جهز السلطان سليم الأول جيشاً كبيراً، وكانت طلائع هذا الجيش البالغ عدده سبعة آلاف مقاتل* تحت قيادة وزيره الأعظم سنان باشا، قد وصلت إلى أطراف غزة، وعند خان يونس التقى مع الجيش المملوكي البالغ عدده عشرة آلاف مقاتل بقيادة جان بردي الغزالي في 22 كانون الأول عام من عام 1516م،[4] حيث عين الأخير من قبل السلطان طومان باي على نيابة دمشق وأمره أن يعيد النظام الجركسي إلى بلاد الشام، وذلك بعد مغادرة السلطان سليم الأول المنطقة،[5] لكن الذي حصل أن القائد المملوكي جان بردي الغزالي أوقع جيشه بكمين نصبه سنان باشا وزير السلطان سليم الأول ولم يسلم منهم سوى عدد قليل* وعاد إلى القاهرة متظاهراً بجرحه في المعركة، وقد ثبت تواطؤه مع العثمانيين إذ إنه أشار إلى السلطان طومان باي بحفر نفق لنصب المدافع وغمرها بالرمال بغية إخفائها على القوات العثمانية[6] قبل خروجه إلى غزة، وعند أسره تمكن من الفرار، أو بالأحرى سُهِّلَ عليه الفرار،

---

[1] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص75-76.

[2] ابن زنبل: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، ص42.

[3] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص76.

* كان مع الصدر الأعظم سنان باشا خمسة آلاف مقاتل لكن عند وصوله إلى أطراف غزة ضم إليه ألفي فارس كانت بقيادة الأمير محمد بن عيسى كان قد أرسلها السلطان سليم إلى أطراف غزة حتى تراقب تحركات المماليك وقلده المنطقة انظر: فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص65.

[4] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص225.

[5] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص76.

* حيث نجى نحو 1000 جندي والبقية قسم قتل والباقي أسر. انظر: يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص226.

[6] ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين والأتراك، ص236.

وقد اطلع صديقه الخائن خاير بك على خطة طومان باي العسكرية، وعلى الطرق التي يجب على السلطان اتباعها لقهر المماليك قبل المعركة الحاسمة في الريدانية.[1] والدليل على خيانة جان بردي الغزالي أنه عند فور انتهاء معركة خان يونس وانتصار الجيش العثماني على الجيش المملوكي، أرسل السلطان سليم الأول رسالةً إلى ابنه سليمان قال فيها: "أبدى جان بردي المذكور بعض مظاهر الإخلاص في هذه النواحي (غزة) ثم تراجع وهرب إلى القاهرة والتقى مع طومان باي".[2]

ويبدو من رسالة السلطان سليم الأول أن جان بردي الغزالي ساعد العثمانيين في الانتصار في خان يونس، وأنه سُهِل له الفرار بعد أسره حتى يعمل لصالح الجيش العثماني في المعركة المرتقبة في الريدانية.

2- معركة الريدانية عام 1517م واحتلال مصر:

استعد السلطان طومان باي الذي انتخب بعد موت السلطان الغوري ولقب بالملك الصالح، وأبدى جهوداً جبارة في تجهيز جيشه، وقام بتحصين القاهرة، وكانت خطتُه مبنيةً على أساس هزيمة السلطان سليم الأول وإجباره على التراجع ومطاردته وإبادة جيشه بالصحراء ثم استرداد سورية.[3] أمّا السلطان سليم الأول بعد وصول طلائع جيشه إلى أطراف غزة غادر دمشق في 20 كانون الأول متجهاً إلى الرملة وغزة، وعند وصوله قرب الرملة أخبر بالانتصار الذي حققه سنان باشا على جان بردي الغزالي، وعند انضمام جيشه مع قوات وزيره سنان باشا انفصل عنهم واتجه إلى القدس، حيث أدى الصلاة في المسجد الأقصى والخليل ثم التحق بالجيش السلطاني، وأخذ يعدّ العدّة لاجتياز الصحراء ثم الوصول إلى القاهرة.[4] وعندما علم السلطان طومان باي وأمراؤه أن السلطان سليم الأول وجيشه قد وصل إلى غزة وأخذ بتجهيزه لاجتياز الصحراء ثم الوصول إلى القاهرة، أمر السلطان طومان باي أمراءه بالخروج إلى الريدانية على عجل وأن يكونوا على يقظة،[5] وحاول إقناعهم بمباغتة الجيش العثماني عند الصالحية ذات الأهمية الاستراتيجية، حيث تلتقي الصحراء بالدلتا، وخصوصاً بعد أن أنهك الجيش العثماني عبور صحراء سيناء،[6] لكن أمراء السلطان طومان باي وعسكره أبوا إلا الوقوف في الريدانية وعدم التحرك، وقالوا للسلطان: "مايقع بيننا وبينه قتال إلا في الريدانية" وعلى إثر ذلك أخذ السلطان طومان باي يحصن الريدانية، فتم حفر خندق على طول الخطوط الأمامية، وأعد أسلحته، وحاول مرة أخرى إقناع عسكره

---

(1) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص105-106.

(2) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص185.

(3) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص226.

(4) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص66.

(5) ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيون والأتراك، ص278.

(6) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص106.

وأمرائه بضرورة التوجه إلى الصالحية، لكن دون جدوى ظناً منهم أن الخندق الذي أعدوه بالريدانية كفيلاً بحمايتهم.[1]

تقدم السلطان سليم الأول مع جيشه ومعداته الثقيلة في الطريق المؤدية إلى مصر، استطاع بهم اجتياز الصحراء بسبب هطول أمطار غزيرة آنذاك، فخفت حرارة الرمال المحرقة وتصلبت الأرض، وهذا ما سهّل مرور الجند العثماني ومعداته في غضون خمسة أيام، فوصلوا إلى العريش في 11 كانون الثاني من عام 1517م. لكن سبب تأخير وصول الجيش العثماني إلى بركة الحاج التي تبعد عدة ساعات عن القاهرة حتى 21 كانون الثاني من العام نفسه هو تعرض الجيش لغارات البدو التي اشتراهم طومان باي وحرضهم على مهاجمة الجيش العثماني، فكان يدفع مقابل رؤوس الأتراك وزنها ذهباً،[2] ولذا كان شراء ولاء البدو من قبل العثمانيين عاملاً هاماً في تسريع الوصول إلى الريدانية، ولولا شراؤهم لكان بإمكان البدو إشغال قسم كبير من الجيش في قتالهم في منطقة هم أدرى بجغرافيتها، فضلاً عن تهديدهم لقوافل المؤن التي ترفد الجيش العثماني،[3] بالإضافة إلى ذلك أصدر السلطان طومان باي أمراً بحرق بعض الشون التي تقع خارج القاهرة،[4] حتى لا تقع بإيدي العثمانيين، واتخذ موقعه في الريدانية على الطريق الواصل بين بركة الحاج والقاهرة، وكان عدد جيشه يقارب ثلاثين ألف مقاتل، وعدد مدافعه نحو مائتي مدفع وضعت في موقع العادلية[5] على قواعد ثابتة، وأصبحت غير قابلة للحركة، وزاد الطين بلة أنها طمرت في الرمال لإخفائها وهي معمرة،[6] والهدف من ذلك مباغتة الجيش العثماني عند مروره والانقضاض عليه،[7] وعند تدفق الجيش العثماني البالغ عدده نحو مائتي ألف مقاتل ومعه نحو ستمائة مدفع بعضها كبير، لكنها سهلة الحركة تتحرك على عربات في أي اتجاه[8] نحو العادلية للتمويه، ولكن بسرعة التف حول الجبل المقطم الواقع جنوب القاهرة، وجعل جيشه خلف فواهات المدافع المملوكية، وانقض الجيش العثماني بكل ثقله على الجيش المملوكي في موقعة الريدانية فجرت معركة ضارية بين الجيشين استمرت نحو تسع ساعات انتهت بهزيمة المماليك وانتصار العثمانيين، وكان العامل الأكبر في تحقيق هذا الانتصار بقاء مدافع المماليك التي نصبوها في العادلية خارج الخدمة مقابل مدافع العثمانيين

---

[1] أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص187-188.

[2] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص76-77.

[3] عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص106.

[4] ابن إياس: بدائع الزهور في معرفة وقائع الدهور، ج5، ص142.

[5] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص77.

[6] صلاح هريدي: دراسات في تاريخ العرب الحديث، ص69.

[7] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص77.

[8] صلاح هريدي: دراسات في تاريخ العرب الحديث، ص69.

التي قامت بدورها على أكمل وجه، فحلت الهزيمة بالجيش المملوكي،[1] لكن أحمد بن زنبل وصف قتال السلطان طومان باي ومن معه بأنه قتال الأبطال، حيث قتل من العثمانيين أعداداً هائلة بما فيهم الصدر الأعظم سنان باشا، فقد تقدم إليه السلطان طومان باي ظناً منه بأنه السلطان سليم وقال له: "**يا سليم أنت غير سالم، ثم جذبه من على سرجه بيده اليسرى ورفعه إلى أعلى رأسه وألقاه على الأرض بعنف، فطبق أضلاعه بين جنبيه، وكان بجانب طومان باي الأمير علان فحز رأسه**".[2] لكنَّ السلطان طومان باي اضطر بعد أن أبدى شجاعة نادرة إلى الفرار عندما وجد نفسه مع قلة قليلة من أمرائه بعد فرار جنوده من حوله[3] تاركاً وراءَه كل معداته غنائمَ للجيش العثماني، وعلى إثر ذلك تقدمت القوات العثمانية نحو القاهرة فسيطرت عليها، لكن السلطان سليم تحاشى دخول القاهرة لعدم إكمال السيطرة عليها،[4] وفي اليوم التالي الجمعة دخل الخليفة محمد المتوكل على الله ومعه وزراء آل عثمان وعدد من العسكر وخاير بك وقضاة الشافعية والمالكية والحنبلية، وخطب باسم السلطان سليم الأول على المنابر ودعي له وسمي خادم الحرمين الشريفين، ونودي بالأمان والبيع والشراء وإغلاق باب الظلم وفتح باب العدل وأن على كل من يحوي مملوكاً أن يبلغ عنه، وإلا شنق على باب داره.[5] وكان الهدف من دخول الخليفة والقضاة إلى القاهرة قبل السلطان سليم لتهيئة الجو لدخول الأخير إلى القاهرة وإسباغ الشرعية على الحكم العثماني،[6] وبعد ثلاثة أيام من دخول الخليفة والقضاة دخل السلطان سليم إلى القاهرة يوم الاثنين غيرَ أنه لم يبقَ طويلاً فيها؛ لأن السلطان طومان باي مازال طليقاً، وأن قواته لم تدمر بالكامل، ومن المحتمل أن يقوم بهجوم مباغت على القوات العثمانية،[7] وبالفعل هذا ما حصل فقد دخل السلطان طومان باي ومعه سبعة آلاف مقاتل مدينة القاهرة يوم الأربعاء 28 كانون الثاني من عام 1517م وسدوا مداخل القاهرة ومخارجها بالتضاريس وحفروا الخنادق، وقاموا بقتل الجنود العثمانيين الذين صادفوهم،[8] وعلى إثر ذلك جرت معركة طاحنة في أزقة القاهرة بين العثمانيين والمماليك، وكان الأهالي بمن فيهم النساء يقدمون المساعدة للسلطان طومان باي وجنده،[9] فاستمرت مقاومة المماليك ومعهم المصريين أربعةَ أيام حتى يوم السبت ظهراً، وبسبب غلبة السلطان طومان باي فقد خطب له في يوم الجمعة 30 كانون الثاني، مع

---

(1) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص77- 78.

(2) ابن زنبل: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، ص32.

(3) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص192.

(4) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص78.

(5) احمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص192-193.

(6) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص107.

(7) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص79.

(8) احمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر ومقدماته، ص193.

(9) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص79.

أنه في الجمعة الماضية قد خطب للسلطان سليم،[1] وعند اشتراك السلطان سليم الأول بنفسه بالمعركة تمكن العثمانيون من إنهائها لصالحهم بعد أن كلفت الطرفين الكثير من القتلى، وعلى أثر ذلك ترك السلطان طومان باي القتال وآثر الانسحاب من المدينة بعد أن رأى عدم تمكنه من الاستمرار بمقاومة الجيش العثماني. ويقال: إنه هرب من المدينة في لباس امرأة، أما أمراؤه وعلى رأسهم جان بردي الغزالي فقد استسلموا للقوات العثمانية وعُفيَ عنهم فاستلمت المدينة مرة ثانية للعثمانيين بعد أن طلب الأهالي الأمان، فأعلن السلطان سليم الأول عفواً عاماً عن الأهالي، وبعد استرداد القاهرة عاد السلطان سليم إلى معسكره في بولاق.[2]

وبعد خروج السلطان طومان باي من القاهرة اتجه نحو الصعيد متخذاً النيل خطاً دفاعياً له حيث جند أهلها، وانضم إليه أهل الإسكندرية والعربان[3] وعلى رأسهم عرب هوارة، وتعهد لهم بأنه سيعفيهم من الضرائب لمدة ثلاث سنوات،[4] وعلى أثر ذلك رأى السلطان سليم الأول أن القضاء على السلطان طومان باي ضرورياً بصفته السلطان المملوكي الشرعي الذي يستطيع استقطاب حركة المقاومة ضد العثمانيين،[5] فاتبع السلطان سليم الحيلة لاستمالته وأرسل رسولاً يعرض عليه شروطَ الصلح شرطَ الإقرار بسلطنته بذكر اسمه بالخطبة والسكة، إلا أن المماليك الذين انفعلوا كثيراً أمام همجية العثمانيين قتلوا رسول السلطان سليم الأول مع أفراد القوة المرافقة له، فغضب السلطان سليم إزاء تصرف السلطان طومان باي، وأمر بقطع رؤوس ستين أميراً مملوكياً كانوا في السجن،[6] ويبدو أن تصرف السلطان سليم الأول إزاء خصمه وإرساله رسالة صلح كان بسبب ورود أنباء عن تحرك الشاه اسماعيل في مناطق آمد (ديار بكر) والرها وطرده للحكام العثمانيين،[7] وبعد هذه المحاولة قرر السلطان سليم السير بنفسه إلى الجيزة والقضاء على السلطان طومان باي،[8] وهناك التقى الجيشان في معركة غير متكافئة وحاسمة استبسل فيها الفريقان واقتتلا قتالَ البأسِ فحلت الهزيمة بالمماليك،[9] وقتل معظم من كان مع السلطان طومان

---

[1] صلاح هريدي: دراسات في تاريخ العرب الحديث، ص72.

[2] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص79.

[3] صلاح هريدي: دراسات في تاريخ العرب الحديث، ص74.

[4] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص80.

[5] عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص108.

[6] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص80.

[7] ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج2، ص58. وأيضاً: غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص222. عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، ص108.

[8] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص81.

[9] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص222.

باي من الأمراء والجند،[1] وسبب هذه الهزيمة الخيانة التي أخذت تدب في صفوف السلطان طومان باي، حيث انضم كاشف الفيوم جانم السيفي إلى العثمانيين بعد حصوله على وعد من السلطان سليم الأول بإعطائه الفيوم إقطاعاً له، وانفض عرب الهوارة الأشداء في الصعيد عن تأييد المماليك بعد أن أدركوا أن قضية طومان باي أصبحت خاسرة وأن العثمانيين يفتكون بالأعداء بالأسلحة النارية،[2] حتى عربان المغاربة رفضوا الاشتراك بالحرب إلى جانب طومان باي كونه مسلماً يحارب مسلماً،[3] فقد كان لهم موقف منذ بداية الصراع يتمثل بقولهم: "نحن ما لنا عادة الخروج مع العسكر ولا نقاتل إلا الفرنج ولا نقاتل المسلمين".[4] وبعد المعركة الخاسرة اتجه السلطان طومان باي إلى إقليم البحيرة حيث كان له علاقة ودية مع قبيلة محارب الذين يُدعون بأولاد مرعي، وكانت تربطه بشيخ البحيرة حسن بن مرعي علاقة ود وصداقة كونه أطلق سراحه من حبس السلطان الغوري لما تولى السلطنة.[5] لكن الشيخ حسن بن مرعي ضرب بتلك الصداقة عرض الحائط وقام بتسليمه للسلطان سليم الأول بعد أن نال منه وعداً بتقديمه على جميع مشايخ البدو بجعل المنطقة التي يسيطر عليها إقطاعاً له.[6]

وفي 13 نيسان من عام 1517م سلّم السلطان سليم الأول السلطان طومان باي إلى دلغادر أوغلو (ابن دلغادر) الأمير علي بن شاه سوار الذي أعدمه على باب زويلة في القاهرة، حيث أعدم أبوه الأمير شاه سوار قبل 45 سنة على الباب نفسه لصداقته للعثمانيين،[7] وبمقتل السلطان طومان باي تنفس السلطان سليم تنفس الصعداء فالسلطان طومان باي كان وحده القادر على لمّ شتات المماليك وجمعهم حوله، ولم يكن من بين المماليك شخصٌ يحل محله، ولهذا كان السلطان سليم محقاً بقوله "الآن تم فتح مصر".[8]

ولكن الذي يثير الانتباه قول الدكتورة نادية مصطفى: إن تدمير قوة المماليك على يد السلطان سليم الأول كان لمصلحة الإسلام وليس لمصلحة الدولة العثمانية.[9] وهذا رأي غريب جداً، فإن تدمير قوة المماليك كان بالتأكيد ضربة قوية للإسلام وللدولة العثمانية نفسها، حيث بقيت تواجه العالم وحيدة ولم

---

(1) أحمد بن زنبل: وقعة السلطان الغوري مع السلطان سليم العثماني، ص107.

(2) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798م، ص108.

(3) صلاح هريدي: دراسات في تاريخ العرب الحديث، ص76.

(4) ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيون والأتراك، ص278.

(5) صلاح هريدي: دراسات في تاريخ العرب الحديث، ص77.

(6) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798م، ص109.

(7) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص230.

(8) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص81-82.

(9) نادية مصطفى: العصر العثماني حتى بداية المسألة الشرقية، القاهرة، 1996م، ج1، ص162.

تسطع تحمّل ذلك، فانهارت بهدوء، ولولا اختلاف أوروبا عليها لانتهت منذ حكم واليها محمد علي باشا1805-1848م.

ومهما يكن من أمر فإن السلطنة المملوكية التي حكمت بلاد الشام ومصر وتزعمت العالم الإسلامي لمدة تقارب القرنين ونصف من الزمن ونيف 1251- 1517م زالت كقوة سياسية خلال ثمان أشهر من الاحتضار، وتغيرت خارطة الشرق الأدنى الإسلامي لصالح الدولة العثمانية الفتية.[1]

ومن أهم النتائج التي أسفرت عن احتلال السلطان سليم لمصر ما يمكن إجماله بالآتي:

1- إن سقوط السلطنة العثمانية المملوكية على يد السلطان سليم الأول أكسب الدولة العثمانية بلاداً هامة ومعمورة كبلاد الشام والجزيرة والحجاز في آسيا، ومصر في إفريقيا، وامتدت حدود الدولة فيما بعد في الجنوب من النوبة في السودان إلى سواكن البحر الأحمر.[2]

2- عندما أصبح السلطان سليم الأول حاكماً شرعياً على بلاد مصر فقد حصل على جميع حقوق سلاطين المماليك والتزاماتهم في مضمار العلاقات الخارجية، وأخذ حكام تلك البلدان يبعثون الوفود والرسل لتقديم الولاء للسلطان سليم الأول.[3]

3- أرسلت جمهورية البندقية سفيراً إلى السلطان سليم الأول الموجود في القاهرة وأعلمه بأن ثمانية آلاف ليرة ذهبية التي كانت تسده لمصر إبّان العهد المملوكي عن قبرص أصبحت تسدد بعد الآن إلى العثمانيين،[4] وهذا ما عزز اقتصاد الدولة العثمانية، فضلاً عن ذلك أن سيطرة العثمانيين على مصر وساحلي البحر الأحمر ساعد في سيطرتهم على الطريق التجاري للبحر الأحمر الذي كان يُعدّ أغنى مراكز تجارة الترانزيت في العالم، وبذلك تضاعفت واردات الدولة العثمانية وامتلأت خزائنها بالأموال.[5]

4- أصبح السلطان سليم الأول الحامي الفعلي لمكة والمدينة والخادم للحرمين الشرفين بعد وصول بعثة شريف مكة بركات بن محمد الذي أرسل ابنه حاملاً معه مفاتيح الكعبة الشريفة والآثار النبوية الشريفة الموجودة في مكة والمدينة المنورة، ومنذ تلك اللحظة وقع على عاتق السلطان سليم الأول ما كان واقفاً على كواهل السلاطين المماليك من كسوة مشرفة للكعبة، واحتفال لائق بسفر الحجيج، والمحمل والدفاع عن الأماكن المقدسة من الأخطار التي تهددها،[6] ومن ثَمَّ فإن السيطرة على الحجاز فضلاً عن كونه يتمتع بأهمية دينية فإنها منطقة حيوية لولاية مصر، سواء

---

[1] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص223.

[2] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص82.

[3] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية- المملوكية 1464- 1517م، ص223.

[4] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص233.

[5] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ص83.

[6] ليلى صباغ: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص93. أيضاً: يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص233.

من الناحية الدفاعية أو من الناحية الهجومية، وله أهمية خطيرة تتمحور حول منع تسرب النفوذ البرتغالي إلى البحر الأحمر.[1]

[1] غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية– المملوكية 1464– 1517م، ص223.

الخاتمة

الخاتمة

تبين لنا من خلال دراسة العلاقات المملوكية- العثمانية ما بين عامي 1453- 1517م النتائج الآتية:

أولاً: إن علاقات الود وتبادل الهدايا بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية طُويت بعد فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني عام 1453م، وزال معها آخر مظاهر الوفاق بين الدولتين، وحلّ محلها الغيرة والتنافس وحتى العداء بين الطرفين بسبب تصادم المصالح.

ثانياً: ازدادت شعبية الدولة العثمانية بعد الفتح بين الدول الإسلامية، فأخذ المماليك يراقبون تنامي هذه الدولة الفتية عند حدود دولتهم في شمال بلاد الشام.

ثالثاً: إن الصراع على الإمارات التركمانية في الأناضول، وعند الحدود المشتركة بين الدولتين بهدف السيطرة عليها جعل العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية في غاية التوتر والتنافس، فعندما انتصر السلطان محمد الثاني على الأمير حسن الطويل (أوزن حسن) في معركة أوتلق بالي عام 1473م أراد التدخل في شؤون الإمارة الدلغادرية المشمولة بالحماية المملوكية، وهذا ما أدى إلى تفاقم العلاقات ووضعها على المحكِّ في انتظار من سيكون سيدَ الأناضول، ويتزعم العالم الإسلامي، وعُدّ هذا السبب الرئيس للنزاع بينهما.

ثالثاً: إن النزعة القبلية التي سادت إمارة دلغادر، فضلاً عن موقعها الاستراتيجي بين المماليك والعثمانيين جعل كلاً منهما يدعم أميراً على حساب أميرٍ آخر، ونتج عن هذا تأزم العلاقات بين الأخوة داخل الأسرة الدلغادرية، وقد هذا انعكس سلباً على توتر العلاقات بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية؛ لأن أمراء أسرة دلغادر تكالبوا فيما بينهم للسيطرة على مقاليد الحكم في الإمارة.

رابعاً: أثارت إمارة قرمان المشاكل بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية، فاتبعت الدولة العثمانية معها سياسة اللين بعد الشدة، والعفو عند المقدرة، وذلك نظراً إلى الظروف السياسية المتحكمة بالأناضول، ولكن السلطان محمد الثاني اتبع سياسةَ تحطيمِ القوى المتحالفة والمساندة لها قبل خوض حرب مصيرية معهم، ولذا بعد القضاء على أوزون حسن الطويل المساند لهم، كما أسلفنا، أعلن الحرب على إمارة قرمان واستطاع أن يحوّلها إلى ولاية تابعة للدولة العثمانية، خصوصاً بعد تحالفها مع المماليك والفرس وحتى أوربا، فسببوا الكثير من المشاكل للدولة العثماني.

خامساً: إن سبب توتر العلاقات العثمانية- المملوكية بعد وفاة السلطان محمد الفاتح عام 1481م خصوصاً بعد اعتلاء الأمير بيازيد عرش السلطنة 1481م وصراعه مع أخيه الأمير جم؛ هو استغلاله من قبل قوى محلية (القبائل التركمانية) وقوى إقليمية ممثلة بالسلطنة المملوكية، حيث ساعده السلطان قايتباي بعد لجوئه إليه، وهذا أهم الأسباب التي أدت إلى الصدام المسلح بين الدولتين لامتلاكهما حدوداً مشتركة شرق وجنوب الأناضول، فضلاً عن تحريض المماليك للقبائل التركمانية (الورسق والترغود)

لإحداث فوضى على الحدود الشمالية للدولة المملوكية، بالإضافة إلى ذلك إن تعرض قوافل الحج العثمانية للنهب والسطو من قبل القبائل التركمانية عند إقليم كيليكيا التابعة للسلطنة المملوكية جعل السلطان بيازيد الثاني يطلب مرافقة قافلة الحج قوة عسكرية، لكن جاء الرفض من قبل السلطنة وهذا ما زاد أيضاً العداء بين الدولتين، ناهيك عن ذلك أنه عندما طلب حاكم إمارة دلغادر علي دولت المساعدة من السلطان بيازيد الثاني ضد تعديات السلطنة المملوكية أمدّه على الفور بقوة عسكرية، وهذا أدى إلى الاشتباك المباشر بين الدولتين، ورغم هزيمة الأمير علي دولت وحلفائه العثمانيين وإلحاق الهزيمة بهم لم يحقق المماليك نصراً حاسماً عليهم، واستمرت المناوشات بين الطرفين حتى عام 1491م حتى إعلان السلطان بيازيد الثاني عن مبادرة للصلح، وإحلال السلام مع السلطنة المملوكية وفقاً للشروط التي وضعتها الأخيرة، وبفضل هذه المبادرة تم إقامة معاهدة صلح وسلام مع الدولتين، واستمرت العلاقات الحسنة والطيبة بين الطرفين حتى وفاة السلطان بيازيد الثاني عام 1512م واستلام الأمير سليم عرش السلطنة من العام نفسه.

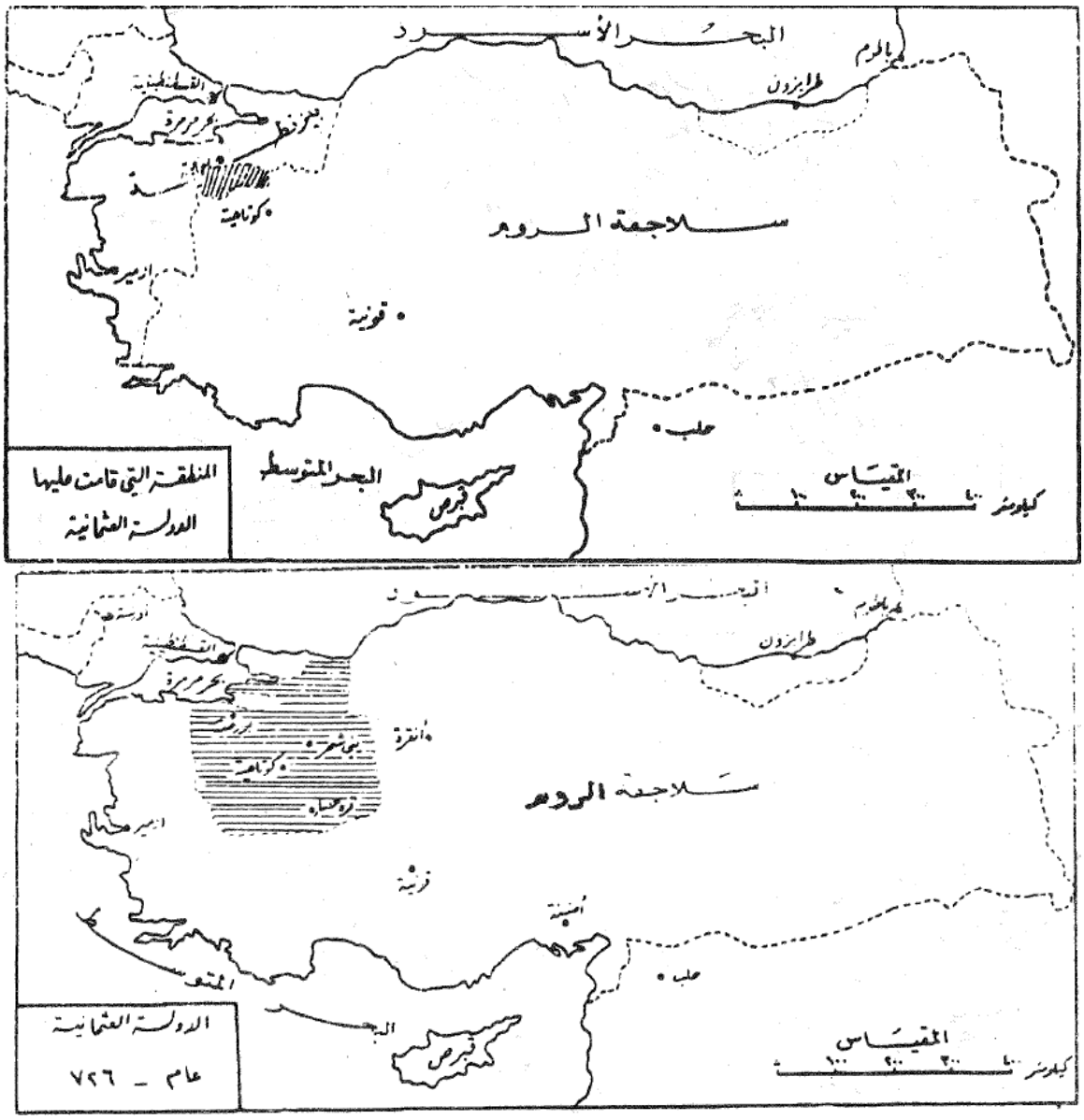
سادساً: إن السلطان سليم الأول قرر أن يتزعم العالم الإسلامي، وأن يكون حامي الحرمين الشرفين من خلال شنه حربين، الأولى: ضد الشاه اسماعيل بن حيدر عام 1514م حيث هزمه في معركة جالديران، وسيطر على الأناضول الشرقي كاملاً من خلال المذابح التي حلت بالقزلباش، ثم توجه بعد ذلك نحو السلطنة المملوكية زاعماً عقد تحالف بين السلطنة المملوكية والشاه إسماعيل، حيث شن حرباً وسيطر على إمارة دلغادر وقتل جده علي دولت وهو في سن التسعين من عمره ولم يرحمه أو يخجل منه، ثمَّ أرسل رأسه ورأس بعض الأمراء إلى السلطان الغوري حتى يعرف ردة الفعل.

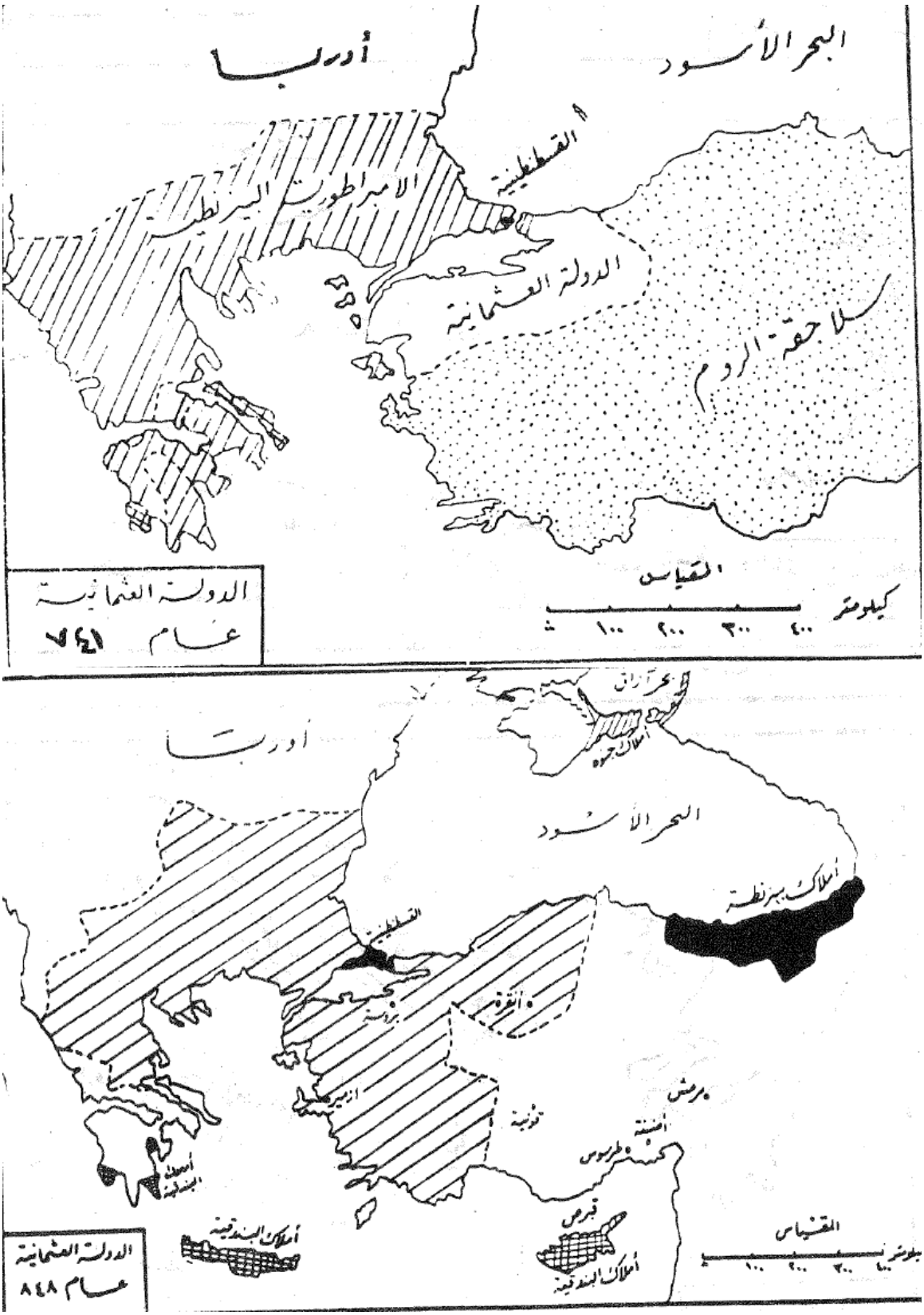
أما الحرب الثانية فهي معركة مرج دابق عام 1516م، ومن ثَمَّ دعواته بالصلح مع السلطان الغوري والإفاضة عليه بالألقاب المبجلة لم تكن إلا تمويهاً وكسباً للوقت حتى يستكمل استعداداته، حتى أنه أمعن بالخداع عندما توقف في قونية مع جيش جرار، وأشاع أن الهدف من تواجده هو توجيهُ ضربة ثانية للشاه إسماعيل، أما بالنسبة للجيش الذي ترأسه السلطان الغوري لم يكن المقصود منه الوقوف بوجه السلطان سليم، والدليل قلة عدده حيث خمسة آلاف مقاتل؛ لأن السلطان لم يسمع لنوابه بأن يرسل قواته لحماية البلاد من جيوش ابن عثمان، وهذا دليل عدم نية السلطان الغوري بخوض حرب مع ابن عثمان، ولكن الذي جرى أن السلطان سليم كان قد أعد الجيوش على أكمل وجه من أجل السيطرة على بلاد الشام ومصر، وتزعم العالم الإسلامي والتلقب بحامي الحرمين الشرفين، وتكوين إمبراطورية واسعة الأرجاء، ومن ثَمَّ السيطرة والاستيلاء على أراضي الآخرين ولو بالقوة فحصل ما ارأد.

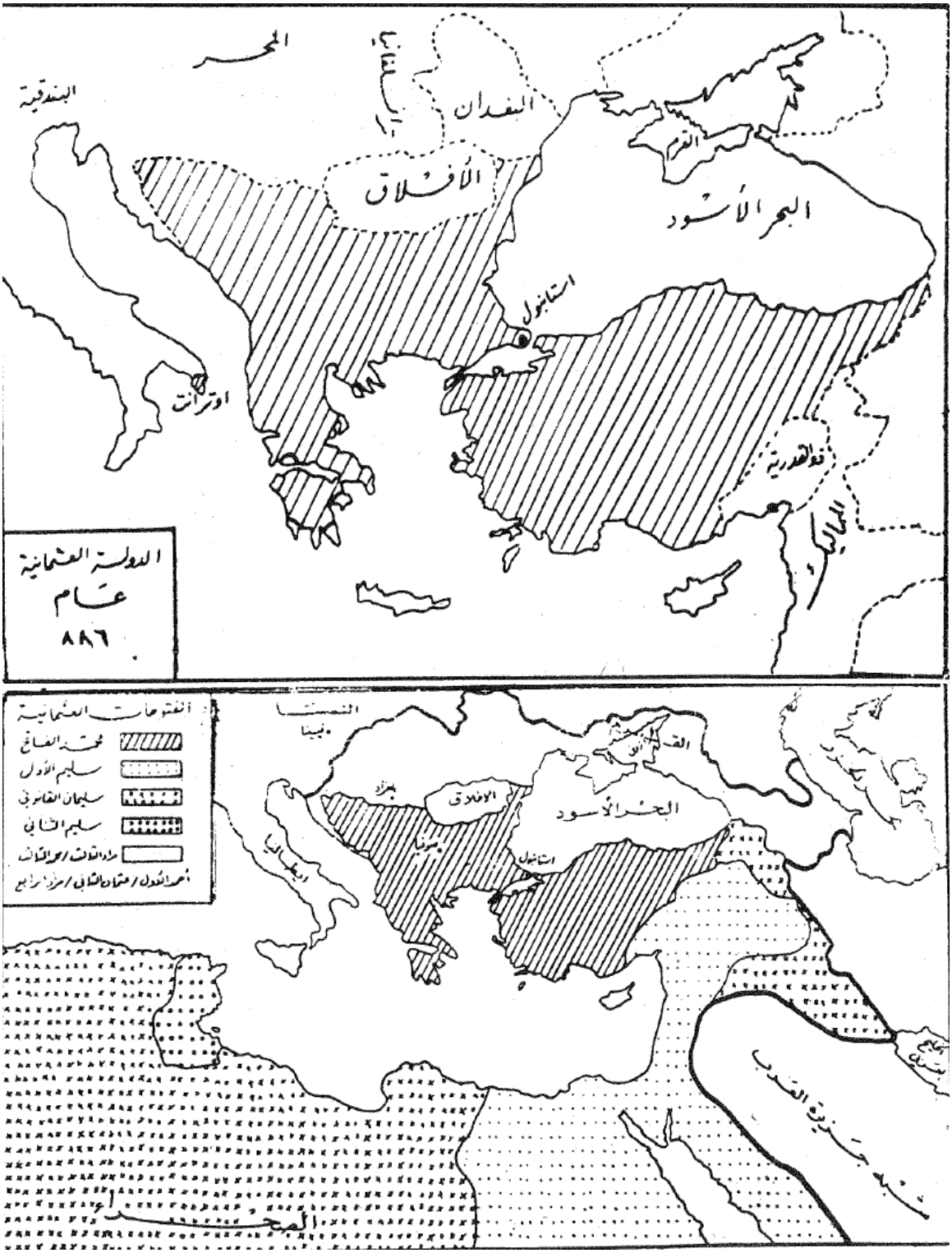
الملاحق:

الملاحق

1 – مراحل التوسع العثماني وعلاقاتها مع الدول المجاورة [1]




أوربا
البحر الأسود
القسطنطينية
الامبراطورية البيزنطية
الدولة العثمانية
سلاجقة الروم
المقياس
كيلومتر
٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠
الدولة العثمانية
عام ٧٤١
أوربا
البحر الأسود
أملاك بيزنطة
القسطنطينية
بروسة
ازمير
قونية
أنطاكية
طرسوس
قبرص
أملاك البندقية
الدولة العثمانية
عام ٨٤٨



(1) مسعود وجمعة ولبن ؛ جمال وواء وعلي ، تاريخ الأمة الواحدة – صفحات من تاريخ الدولة العثمانية ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ص 93 – 98 .

2 – الحرس السلطاني والفرسان العثمانيون (1)



فرقة من العساكر الجمالة العثمانية



أورطة بعادة من الحرس السلطاني



فرسان الجيش العثماني

[1] كامل ؛ مصطفى ، صور الجنود العثمانية المظفرة ، ملحق كتاب تاريخ الحرب بين الدولة العلية واليونان

قائمة المصادر والمراجع المستخدمة

المصادر والمراجع المعتمدة

مخطوط في دار الكتب بالقاهرة رقمه 210 وقد وضعه الشيخ محمد الطيبي.

المصادر العربية والمعربة:

1. (ابن أجا): العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك من مهدي الدوادار، صنعنه محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1986.
1. (ابن الوردي)، (عمر بن المظفر بن ابي الفوارس): تاريخ ابن الوردي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.
2. (ابن إياس): بدائع الزهور في وقائع الدهور، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1312هـ.
3. (ابن إياس): صفحات لم تنشر من بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة.
4. (ابن إياس)، (محمد بن أحمد): بدائع الزهور في وقائع الدهور، 5ج، ت: محمد مصطفى، دار الإحياء الكتب العربي، بيروت، ط1، 1922م.
5. (ابن إياس)، (محمد بن أحمد): بدائع الزهور في وقائع الدهور، ت: محمد مصطفى، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة، 1984، ج1.
6. (ابن بطوطة)، (أبو عبد الله بن محمد اللواتي): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ت: محمد عريان، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987.
7. (ابن خلدون): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، 2000م.
8. (ابن زنبل)، (الشيح أحمد الرمال): واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، ت: عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1997م.
9. (ابن طولون)، (شمس الدين بن خمارويه): مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، دار الكتب العلمية بيروت، 1998م.
10. (ابن عربشاه)، (أحمد بن محمد الدمشقي): عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق: أحمد فايز الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ب، ت.
11. (ابن كثير): البداية والنهاية، 14ج، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت.
12. (أبو الفداء)، (إسماعيل بن علي): المختصر في أخبار البشر، ت: محمود أيوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
13. (أبو الفداء)، (جمال الدين اسماعيل): المختصر في أخبار البشر،4ج، القاهرة، 1323هـ.
14. (أفندي)، (إبراهيم): مصباح الساري ونزهة القاري، د.ن، بيروت، ط1، 1855م

15. (البدليسي)، (إدريس): شرفنامة في تاريخ الدولة العثمانية، 2ج، ت: محمد علي العوني، دار الزمان، دمشق 2006م.
16. (البدليسي)، (إدريس): شرفنامة، ت: محمد علي العوني، 2ج، القاهرة، 1962.
17. (البصروي)، (علاء الدين): تاريخ البصروي، تحقيق أكرم حسن العلبي، دار المأمون، دمشق، 1988.
18. (الجرماني) (بيشوف): تحفة الأنباء في تاريخ حلب الشهباء بيروت 1880م.
19. (الحموي)، (ياقوت): معجم البلدان دار الفكر، بيروت، د.ت.
20. (الحنبلي)، (أبي الفلاح عبد الحي بن العماد): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1979.
21. (الزركلي)، (خير الدين): الأعلام ((قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 2002م.
22. (السخاوي)، (شمس الدين أبي الخير): التبر المسبوك في ذيل السلوك، القاهرة، 1896م.
23. (السخاوي)، (شمس الدين أبي الخير): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، د.ت.
24. (الصديقي)، (البكري): المنح الرحمانية في الدولة العثمانية وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، ت: ليلى الصباغ، دار البشائر، دمشق، ط1، 1995م.
25. (الصيرفي)، (علي بن داؤد): نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ت: حسن حبشي، القاهرة، 1970م.
26. (العسقلاني)، (شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر): أبناء الغمر بأنباء العمر في التاريخ، دار الكتب العلمية، 1986م.
27. (الغياثي)، (عبد الله بن فتح الله البغدادي): التاريخ الغياثي، ت: طارق نافع الحمداني، مطبعة أسعد، بغداد، 1972م.
28. (القرماني)، (أحمد بن يوسف): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ت: فهمي سعيد وأحمد حطيط، عالم الكتب، ط1، 1992م.
29. (القلقشندي)، (أبو العباس أحمد): صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م.
30. (المحامي)، (محمد فريد بك): تاريخ الدولة العلية، ت: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط1، 1981م.
31. (المقريزي)، (تقي الدين أحمد بن علي): السلوك لمعرفة دول الملوك، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
32. (المقريزي)، (تقي الدين أحمد بن علي): السلوك لمعرفة دول الملوك، ت: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1941م.

33. (المقريزي)، (تقي الدين أحمد بن علي): السلوك لمعرفة دول الملوك، ت: محمد زيادة، نشر التاليف والترجمة، القاهرة، 1956م.
34. (الميلاري)، (إسماعيل سرهنك): حقائق الأخبار عن دول البحار، د.م.ن، د.ت.ن، ج2.
35. (أوزتونا)، (يلماز): المدخل إلى التاريخ التركي، ت: أرشد الهرمزي، الدار العربية للمطبوعات، بيروت، 2005م.
36. (أوزتونا)، (يلماز): تاريخ الدولة العثمانية، 2ج، ترجمة محمود سليمان، استنبول، 1988م.
37. (بردي)، (ابن تغردي): المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد أمين، دار الكتب، القاهرة، ط2، 1990م.
38. (بردي)، (ابن تغرى): النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، القاهرة، ط1، 1975.
39. (بردي)، (ابن تغري): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 14ج، المؤسسة المصرية للتأليف، القاهرة، 1963م.
40. (بردي)، (ابن تغري): حوادث الدهور في معرفة الأيام والشهور، تحقيق: وليم بوبر، كاليفورنيا، 1931م.
41. (ابن زنبل)، (أحمد): أخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، 1998م.
42. (ابن طولون)، (محمد): إعلام الورى، ت: محمد دهمان، وزارة الثقافة، دمشق، 1964م.
43. (حليم)، (إبراهيم بك): تاريخ الدولة العثمانية العلية (التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية)، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ط1، 1988م.
44. (حليم)، (إبراهيم بك): تاريخ الدولة العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 2000م.
45. (كوبريلي)، (محمد فؤاد): قيام الدولة العثمانية، ت: أحمد سليمان، دار الكاتب العربي، بيروت، 1965م.
46. (ليسترنج)، (كي): بلدان الخلافة الإسلامية، ت: بشير فرنسيس توكوكيسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م.
47. (محمد)، (الشوكاني): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تعريب محمد حلاق، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 2006م.
48. (منجم باشي)، (أحمد بن لطف الله): جامع الدول (التاريخ العثماني 1299- 1481م)، تح وتع، وتر: أحمد أغير أقجة، إنسان يانلري، استانبول، د.ت.

المراجع العربية

1. (أحمد)، (إبراهيم خليل) و(مراد)، (خليل علي): إيران وتركيا دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الموصل 1992م.
2. (أحمد)، (إبراهيم خليل): تاريخ الوطن العربي في العصر الحديث والمعاصر، جامعة الموصل، عام 1976م.
3. (أحمد)، (إبراهيم خليل): تاريخ الوطن العربي في العصر الحديث والمعاصر، جامعة الموصل، عام 1987م.
4. (البعلبكي)، (منير): معجم أعلام المورد (موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد) دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1992م.
5. (البغدي)، (صفي الدين عبد الحق): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ت: محمد علي البجاوي، بيروت، عام 1954.
6. (الجاف)، (حسن): الوجيز في تاريخ إيران، 2ج، بغداد، 2003م.
7. (الجميل)، (سيار): بقايا وجذور التكوين العربي الحديث، دار الأهلية، عمان، 1997م.
8. (الجواهري)، (عماد): صراع القوى السياسية في المشرق العربي من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني، دار الكتب للطباعة، الموصل، 1990م.
9. (الحصري)، (ساطع): البلاد العربية الدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1998م.
10. (الحلاق)، (حسن): مدن وشعوب إسلامية، دار الرائد، بيروت، د.ت.
11. (الحويري)، (محمد): تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات القاهرة، 2002م.
12. (الخطيب)، (مصطفى عبد الكريم): معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996م.
13. (ألدم)، (خليل): تاريخ الدول الإسلامية، مركز الشارقة للابداع الفكري، 1996م.
14. (الرفيعي): العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، 4ج، دار الفرات، بيروت، ط1، 2002م.
15. (الزعبي)، (محمد بن عبد الملك): مئة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، دار التقوى، القاهرة، ط1، 2010.
16. (الزيدي)، (مفيد): موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر العثماني)، دار أسامة، عمان، 2011م.

17. (السلمان)، (محمد حميد): الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة مابين 1507- 1525 مركز زايد للنشر والتوزيع، دبي، 2000م.
18. (الشيبي)، (كامل مصطفى): الطريقة الصفوية ورواسبها في العراق المعاصر دراسة عامة للشبك والنحل الصفوية في شمال العراق، دار النهضة، بغداد 1977م.
19. (العابدين)، (شمس الدين نجم الدين زين الدين): تاريخ الدولة العثمانية، دار الميسرة، عمان، 2010م.
20. (العاني)، (نوري عبد الحميد): العراق في القرن الخامس عشر، بغداد، 2002م.
21. (العزاوي)، (عباس): موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين،7مج، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2004م.
22. (العطار)، (عدنان): الدولة العثمانية من الميلاد إلى القوة، دار وحي القلم، دمشق، ط1، 2006م.
23. (العفيفي)، (عبد الكريم): موسوعة 1000 مدينة إسلامية، دار أوراق شرقية، بيروت، ط1، 2000م.
24. (العلبي)، (أكرم): دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، الشركة المتحدة، دمشق، 1982م.
25. (الناطور)، (شحادة)، (وآخرون): تاريخ العرب الحديث، دار الأمل، إربد، 1992م.
26. (النهار)، (عمار): تاريخ المماليك، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ط1، 2014م.
27. (أمين)، (واصف بك): معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، ت: أحمد زكريا باشا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1916م.
28. (أنيس)، (محمد): الدولة العثمانية والمشرق العربي 1514- 1914، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.
29. (أوغلو)، (أكمل الدين إحسان): الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، 2ج، ت صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ، استانبول، 1999م.
30. (أولسن)، (روبرت دبليو): حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية 1718- 1742، الترجمة: عبد الرحمن بن أمين الجليل، الرياض، 1983م.
31. (ايرينا)، (بيتروسيان): الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية، مركز جمعة الماجد للثقافة، دبي، 2006م.
32. (إيفانوف)، (نيقولاي): الفتح العثماني للأقطار العربية (1516- 1574)، ت: يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1988.
33. (إيناس) (عبد الله السعدي): تاريخ العراق الحديث 1258- 1918، دار عدنان بغداد، د.ت.
34. (اينالجيك)، (خليل): تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، دار المدار الاسلامي، بيروت، ط1، 2002م.
35. (باروت)، (محمد جمال): الصراع العثماني- الصفوي وآثاره في الشيعة في شمال بلاد الشام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط1، 2018م.

36. (بروكلمان)، (كارل): تاريخ الشعوب الإسلامية، ت: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 2005م.
37. (بيات)، (فاضل): دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2013م.
38. (بيضون)، (جميل): تاريخ العرب الحديث، دار الأمل، إربد، 1991م.
39. (جون)، (براون): تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة: علي المرزوقي، دار الأهلية الأردن، ط1، 2006م.
40. (حسن)، (علي إبراهيم): مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، القاهرة، 1954م.
41. (حسون)، (علي): العثمانيون والبلقان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1986م.
42. (حسون)، (علي): تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4 2002م.
43. (حسين)، (نصار): الموسوعة العربية الميسرة المكتبة المصرية، بيروت، 2009م.
44. (حلاق)، (حسن) و(الصباغ)، (عباس): المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1999م.
45. (حمزة)، (محمود أفندي): البرهان على بقاء ملك بني عثمان إلى آخر الزمان، بيروت، 1890م.
46. (دهمان)، (محمد): معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1990م.
47. (س)، (موستراس): المعجم الجغرافي للدولة العثمانية، ت: عصان محمد الشحادات، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2002م.
48. (سامي)، (شمس الدين): قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي استانبول 1308هـ.
49. (ستانلي)، (لين بول): تاريخ الشعوب الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ت: أحمد السعيد، دار المعارف، مصر، 1972م.
50. (سليم)، (محمود رزق): عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مصر، 1965م.
51. (سليمان)، (عبد الحميد حامد): تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1995م.
52. (شاكر)، (محمود): التاريخ الإسلامي، 22ج، المكتب الإسلامي، 2000م.
53. (شرف)، (عبد الرحمن): زبدة القصص، دار الطباعة العامرة، استانبول، 1325هـ، ايكنجي، جزء 143.
54. (شعباني)، (رضا): المنتخب من تاريخ إيران، ترجمة سعد رستم، دار مجموعة الهدى ردمك، ط1، 2015م.
55. (صائغ)، (سليمان): تاريخ الموصل، القاهرة، 1923م.
56. (صباغ)، (ليلى): تاريخ العرب الحديث والمعاصر، مطبعة ابن حيان، دمشق، 1982م.
57. (طرخان)، (ابراهيم علي): مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة 1382- 1517، القاهرة، 1960م.

58. (طقوش)، (محمد سهيل): التاريخ الإسلامي الوجيز، دار النفائس، بيروت، ط5، 2011م.
59. (طقوش)، (محمد سهيل): تاريخ الدولة الصفوية في إيران (1501- 1736)، دار النفائس، بيروت، ط1، 2009م.
60. (طقوش)، (محمد سهيل): تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، القاهرة، ط1، 1997م.
61. (عاشور)، (سعيد عبد الفتاح): العصر المماليكي في مصر والشام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965م.
62. (عاشور)، (سعيد عبد الفتاح): مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت، 1972م.
63. (عاشور)، (عبد الفتاح): العصر المملوكي في مصر وبلاد الشام، مكتبة النهضة المصرية، 1965م.
64. (عامر)، (محمود علي)، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، دار الرحاب، دمشق، ط1، 2001م.
65. (عامر)، (محمود علي): تاريخ الدولة العثمانية، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2007، ص22-23.
66. (عامر)، (محمود علي): جواري القصور السلطانية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2019م.
67. (عامر)، (محمود علي): المكاييل والأوزان والنقود منذ فجر الإسلام حتى العهد العثماني دراسة وثائقية، مطبعة ابن حيان، دمشق، 1997م.
68. (عبد الدايم)، (عبد العزيز محمود): مصر في عصر المماليك والعثمانيين (1250- 1798)، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1996م.
69. (عثمان)، (حسام الدين): موسوعة دول العالم، دار العلوم القاهرة، ط1، 2012م.
70. (علي)، (أورخان محمد): روائع من التاريخ العثماني، دار الكلمة، القاهرة، ط3، 2007م.
71. (عمر)، (عبد العزيز): تاريخ المشرق العربي (1516- 1922م)، دار النهضة العربية، بيروت، 1984م.
72. (عودة) (عبد الله)، و(الخطيب)، (إبراهيم ياسين): تاريخ العرب الحديث، دار الأهلية، عمان، 1989م.
73. (فراج)، (سمر): موسوعة التاريخ الإسلامي (دولة المماليك)، مركز الراية، القاهرة، ط1، 2007م.
74. (فريدون بك)، (أحمد): منشآت السلاطين، 2ج، الاستانة، 1264هـ.
75. (فننك) (وآخرون): دائرة المعارف الإسلامية، ت: أحمد زكي باشا، المكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1916م.
76. (قداوي)، (علاء محمود): تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو (1411- 1508م)، دار غيداء للنشر، عمان، 2012م.
77. عبد السلام فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة، 1981م.
78. (كوثراني)، (وجيه): الفقيه والسلطان (جدلية الدين والسياسية في تجربتين تاريخيتين العثمانية والصفوية- القاجارية)، المركز العربي للأبحاث، بيروت، ط4، 2015م.

79. (لافاتان)، (نيقولا): صعود العثمانيين 1362-1451 في الدولة العثمانية، ت: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1993م.
80. (لويس)، (برنارد): استانبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية، تعريب: سيد رضوان علي، بيروت، د.ت.
81. (لويس)، (برنارد): اكتشاف المسلمين لاوروبا، ت: ماهر عبد القادر، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 1996م.
82. (لين)، (استانلي): طبقات سلاطين الإسلام، ت: مكي طاهر الكعبي، بغداد، 1968م.
83. (مانتران)، (روبير): تاريخ الدولة العثمانية، ت: بشير السباعي، دار الفكر للنشر، القاهرة، 1993م.
84. (متولي)، (أحمد فؤاد): الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة، مركز الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1995م.
85. (متولي)، (أحمد فؤاد): تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، ايتراك للنشر، القاهرة، ط1، 2002م.
86. (مصطفى)، (أحمد عبد الرحيم): في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، 2003م.
87. (مصطفى)، (نادية): العصر العثماني حتى بداية المسألة الشرقية، 2ج، القاهرة، 1996.
88. (مكاريوس)، (شاهين): تاريخ إيران، القاهرة، 1898م.
89. (موير)، (وليم): تاريخ دولة المماليك في مصر، ت: محمود عابدين وسليم حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1995، ص43-44.
90. (نافع)، (غيثاء أحمد): العلاقات العثمانية المملوكية 1464- 1517، المكتبة المصرية، بيروت، ط1، 2005.
91. (هريدي)، (صلاح أحمد): دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار عين للدراسات والبحوث، الإسكندرية، ط1، 2004م.
92. (هريدي)، (محمد عبد اللطيف): الحروب العثمانية- الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوربا، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 1987، ص44.
93. (وبوزورث)، (كليفور): الأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي دراسة في التاريخ والنسب، ت: حسين اللبودي، مؤسسة الشراع العربي، ط2، 1995م.
94. (وجدي)، (محمد فريد): دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، ط1، 1971م.
95. (ولبر)، (دونالد): إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة: عبد النعيم محمد حسنين، القاهرة، 1958م.
96. (يحيى)، (جلال): مصر الحديثة 1517- 1805، الإسكندرية، د.ت.
97. (الشناوي)، (عبد العزيز): الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، 2ج، مطبعة جامعة القاهرة، 1980م.

الأطاريح العلمية

1. (الزهري)، (حنان جاسم): العثمانيون في السياسة المملوكية 1382- 1517، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2002م.
2. (الطائي)، (إلهام عبد القادر حمودي): الدولة العثمانية في عهد السلطان بيازيد 1481- 1512 رسالة ماجستير بإشراف ابراهيم علاف، جامعة الموصل، 2005م.
3. (دحدح)، (عبد الحفيظ): العلاقات العثمانية الصفوية خلال القرن 16 (مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ العراق الحديث، إشراف: د. محمد دراج، جامعة الجزائر، 2015م.
4. (كهية)، (سعيد قاسم كريم): الدولة العثمانية في عهد مراد الثاني (1421- 1451)، رسالة ماجستير منشورة كلية التربية، جامعة تكريت، 2011م.

المجلات:

1- (جاسم المحمد)، جاسم المحمد: "العلاقات المملوكية العثمانية خلال الفترة 699-923 هـ / 1299-1517 م"، مجلة جامعة تكريت للعوم الإنسانية مج 14، عدد10، تشرين الثاني من عام 2007م.

2- (العدوان)، (شاديه حسن): "موارد ابن اياس في كتابه بدائع الزهور عن الصراع المملوكي العثماني 1516- 1517"، المجلة الادبية للتاريخ والآثار، مج6، العدد2، 2011.

3- (المحيميد)، (علي بن صالح): ((إمارة بني قرمان ودورها السياسي في آسيا الصغرى خلال العصر المملوكي (1256- 1483) مجلة أم القرى للدراسات الإسلامية، عدد 55، ربيع الثاني، 1433م.

4- (حسن)، (طالب محيبس): "هزيمة العثمانيين في أنقرة 1302 دراسة في مقدمات النزاع التتاري العثماني ومجريات الحرب" مجلة كلية التربية، عدد4، جامعة واسط.

5- (خليل)، (علي أحمد): ((سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة قرمان (1362- 1487) دراسة تاريخية))، مجلة كركوك للدراسات الإنسانية مج11، عدد3، 2016م.

6- (ظاهر)، (ياسين طه): "قراءة في عوامل نهوض الدولة العثمانية وفي أسباب سقوطها"، مجلة كلية المأمون، عدد 18، 2011م.

7- (محمد)، (عبد الفتاح رجب حمد)، ((سلطان محمد الثاني (الفاتح 1451-1481 فتحه للقسطنطينية وسياسته الداخلية))، عدد 29، ليبيا 2015م.

الكتب الأجنبية الكتب باللغة الانكليزية

1. :Ayalom, David, Gunpowder, And Firearms In The Mamluk Kingdom A Challenge To dieaval Society, LondonAme1965.
2. Aikterini Dimitriadou, The Bihist Of Idris Bidlist Cthereign Of Bayezid Ii (1481- 1512) The University Of Edinburagh ,2000.
3. Chai, Har: Struggle For Domination In The Middle East, New York, 1995,
4. Holt, P.M Egypt And The Fertile Crescent 1516 -1922, Apolitical History ,London, 1966,
5. Holtand, Other: The Cambridge History Of Islam, Cambridge, P1967
6. Knolles, Richard: The Turkish History From The Original Of The Nation To The Growth Of The Ottoman Empire, 6thed , London , 1687,
7. Creasy, Edward S, History Of The Ottoman Turks, London, 1978
8. Minorsky, V: The Qara Qounlu And The Qutb Shahs ((Turmenica , 10)) Vol. Xvii, Part 1, 1955.
9. Parry. V,1," the region of bayezid II and selim 1481- 1520" in M.A , cook (ed), a history of the ottoman empire to 1730, cambridage ,1976,
10. Romer, H.R: Thurkmen Dynasties, Vol.6 Der Oslam (D.1.)
11. Seory, R.M, " The Struggle For Supremacy In Persia After The Death Of Timur" Der Islam, Band 40, Heft 1, Mai 1964,
12. Shaw standford, history of the Othman empire and modern turkey ,v1, Cambridge, 1977, ,
13. Shaw, Stam Ford: History Of The Ottoman Empire And Modern Turkey, Cambridge, 1976,
14. Stanley Lane – Pool: A history Of Egypt In The Middle Ages, 4ed Hoarlem. 1968.

الكتب باللغة الفرنسية:

1- alphonse de lamartine, historie de la turquie,vIII, librairie du constitutionnel, paris, 1863,
2- Darraj, Ahmad Assayed; L, Egypt Sous Le Regne de Barsbay(828-841) , Damascus, 1961,

الكتب باللغة العثمانية:

1- إبراهيم حقي: تاريخ عمومي، قصبار مطبعة س، دار سعادت، 1306. أوجنجي جلد.

2- عبد الرحمن شرف: تاريخ دولت عثمانلي، قره بت مطبعة س، استانبول، 1309.

3- علي جواد: مكمل عثمانلي تاريخي، قصبار مطبعة سى استانبول 1316هـ.

4- (جودت)، (أحمد): تاريخ جودت، ترجمة: عبد القادر أفندي الدنا، بيروت، 1980.

الكتب باللغة التركية الحديثة:

1. Ismail Hami Danismend, Izahli Osmanli Tarihi Kronolojisi, Ankara. 1,Clit ,
2. jorage, Nicolae: Osmanli Imparatorlugu Tarihi, (1300—1451) Istanbul, 2009,
3. Nuripasa, Mustafa, Netayicul: Vukaat Kurumari Ve Orgutreriyle Osmanli Tarihi, Ankara, 1979, S 38
4. Ostuna Yilmaz: Turkiye Tarihi, Istanbul,1964.
5. Öztuna, Yalimaz, Büyük، Osmanli Tarihi, Istanbul, 1992
6. Uzunçarşılı, Ismail Hakki, Osmanli Tarihi, Istanbul, 1976,
7. Uzunçarşılı, Ismail Hakki: Anadoalu, Beylirlri, Ve Ak koyunlu kara koyunlu ,Dev Leteri, Ankara, 1969,
8. Yilmaz Ostuna: Turkiye Tarihi, Istanbul,1964 ، C5, S.43,35

كتب باللغة الفارسية:

1. والتر هينتس: تشكيل دولت ملي در إيران، ت: كيكاووس جهانداری، ج2، تهران، انتشارات خوارزمى 1361هـ.
2. (الطهراني)، (أبو بكر): ديار بكرية، تصحيح واهتمام نجاتي لوغال وفاروق سومر، أنقرة، 1962م.

المواقع الالكترونية:

1. الموسوعة الحرة وكيبيديا: سمرقند 15-3-2018م

abstract

Ottoman-Mamluk relations between 1453-1517 political study

Study summary:

When examining the Ottoman-Mamluk relations between the years 1453-1517, I studied how the Turkoman Emirates were established in Anatolia and their relationship with both Mamluk and Ottoman countries and what impact did the establishment of those Emirates have on the relations between the two countries.

After studying, it was clear that what has fueled competition and conflict between them is the endeavor of each party to appointing loyal persons to them in those Turkmen Emirates, especially the Emirate ofQaraman and Dalgadir. And when the country was exposed to the Mongol threat, it was not allied to repel it, due to the violation of the Thunderbolt Sultan Beyazid and his attack on the Mamluk protection areas. This made it easy for Tamerlane to attack the Levant and then his attack on Anatolia and his victory over Bayazid Thunderbolt in a battle.

Ankara in 1402. After the death of the Mongol leader Tamerlane in 1405, relations were characterized by friendliness and exchange of gifts, But when Constantinople was conquered by Sultan Mehmed II in 1453, and despite the celebrations that were held in the Mamluk countries, it increased the envy of the sultans of the Mamluk dynasty secondly, And the latter is the main reason that Resulted in conflict and conflict between the two countries. After the death of Sultan Mehmed in 1480, a dispute arose between his sons (Beyazid and Jem) The Ottoman Sultanate, and that Sultan Qaytbay stood by Prince Jem, aggravated the conflict, and resulted in a direct clash between them, 1486, and did not end until the signing of the peace treaty between them in 1491.

With the coming of Sultan Qansuh al-Ghouri in 1500, who was keen to fix things with Sultan Beyazid II because of the emergence of the Portuguese danger and its threat to holy places, cities on one side, and the emergence of the Safavid danger on the other hand, so relations continued in the best condition of cooperation and the establishment of friendly and respectful relations through exchanging gifts and embassies until the death of Sultan Bayazid II and the receipt of his son Prince Salim the throne of the Sultanate in 1512 Although he fought a war with his brothers for two years, he took the initiative to launch two wars to lead the Islamic world, the first with the Safavids in Galderin in 1514 and the second with the Mamluks in the Dabiq runway in 1516 and the liquidation of the Sultanate Mamlukism is final in the Battle of Al-Raydaniyah in 1517 after he was hanged by Sultan Tuman Bay at Bab Zuweila In Cairo, and turning Egypt into a state under the Ottoman Empire.

Syrian Arab Republic
Damascus University
Faculty of Arts and Humanities
Department of History

Mamluk Ottoman Relations Between the years 1453 - 1517 AD

«Political study»

A research project prepared for the master's degree in the history of modern and contemporary Arabs

Submitted By

Julia awad

Supervised By

Professor. Dr. Abdul Moneim Al Ahmad

Academic year
1439 AH / 2019 AD